في
فقه الإصلاح والتجديد
عند الإمام حسن البنا



ركن العمل

أو

مَنهجُ الإصلاحِ الإسلامي للفردِ والمجتمع

تحليل وشرح أعده

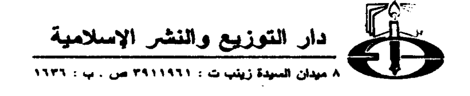
الدكتور على عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر

ت : ٣٩١١٩٦١

الطبعة الأولي

١٩٩٤



إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

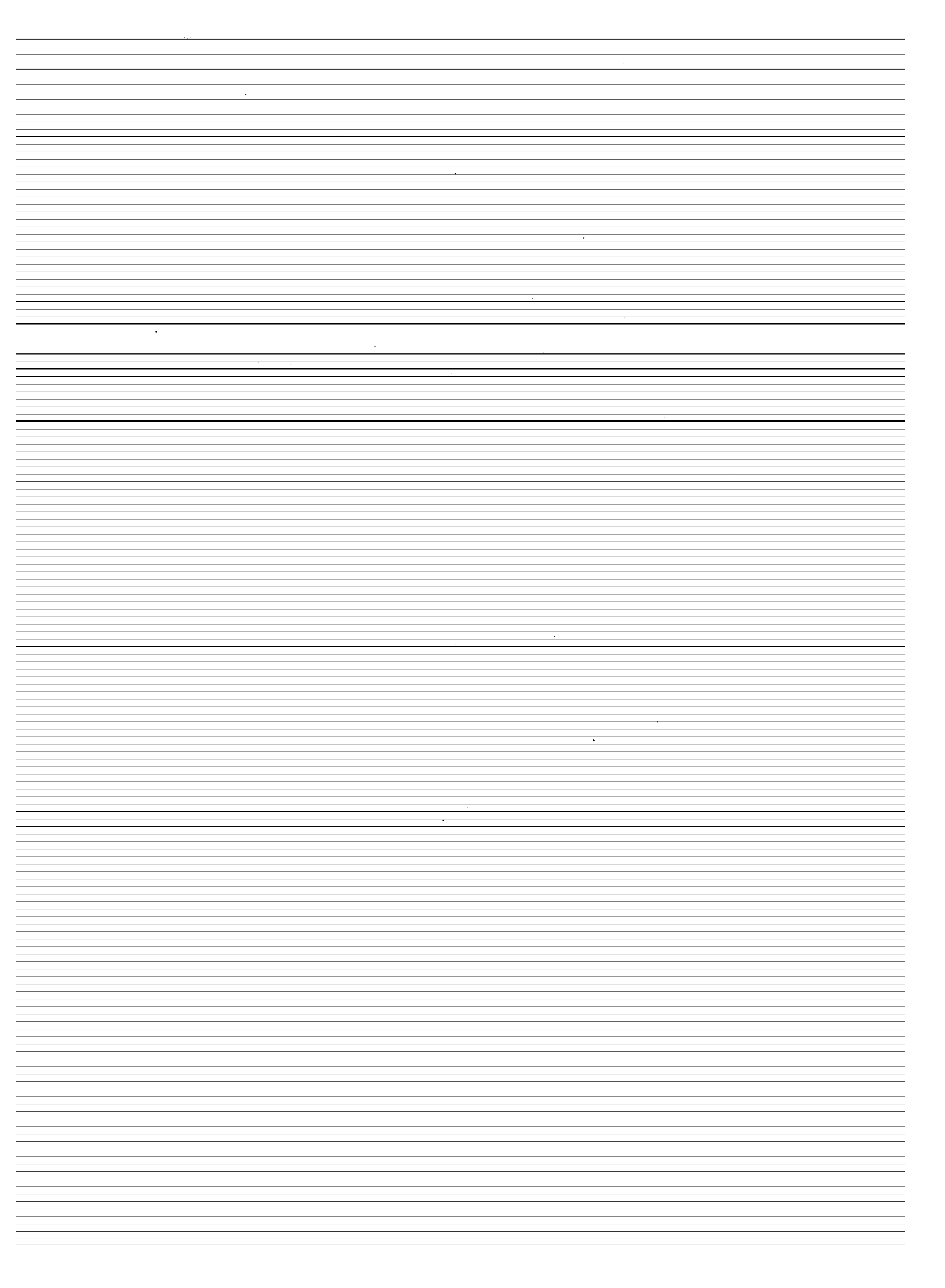
إلي المؤمنين الذين يعملون الصالحات ،

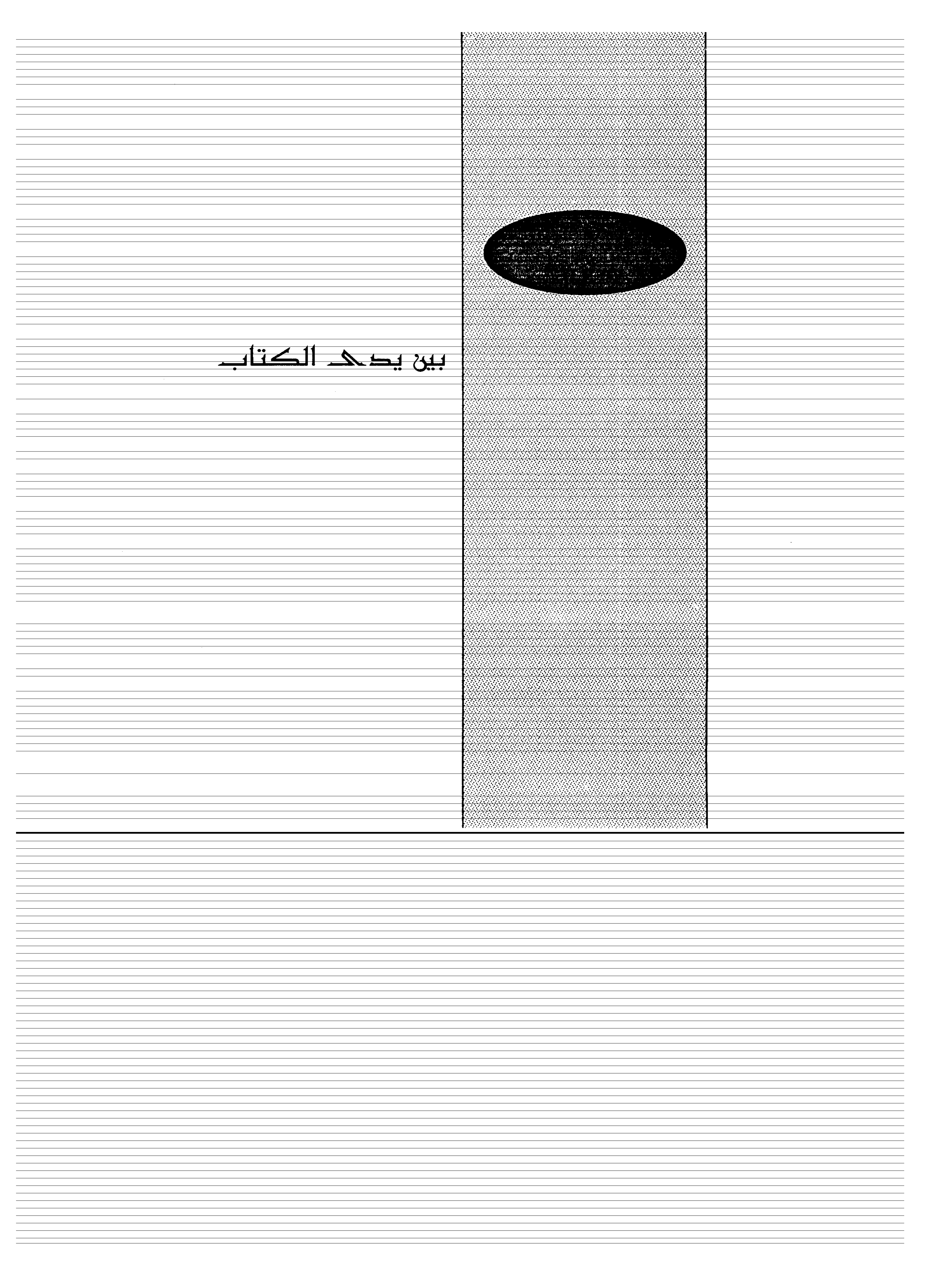
وإلي الذين هداهم الله إلي الحق وإلي الطريق المستقيم،

وإلي كل من ينادون مخلصين بأن الإسلام هو الحل لكل مشكلات الإنسان .

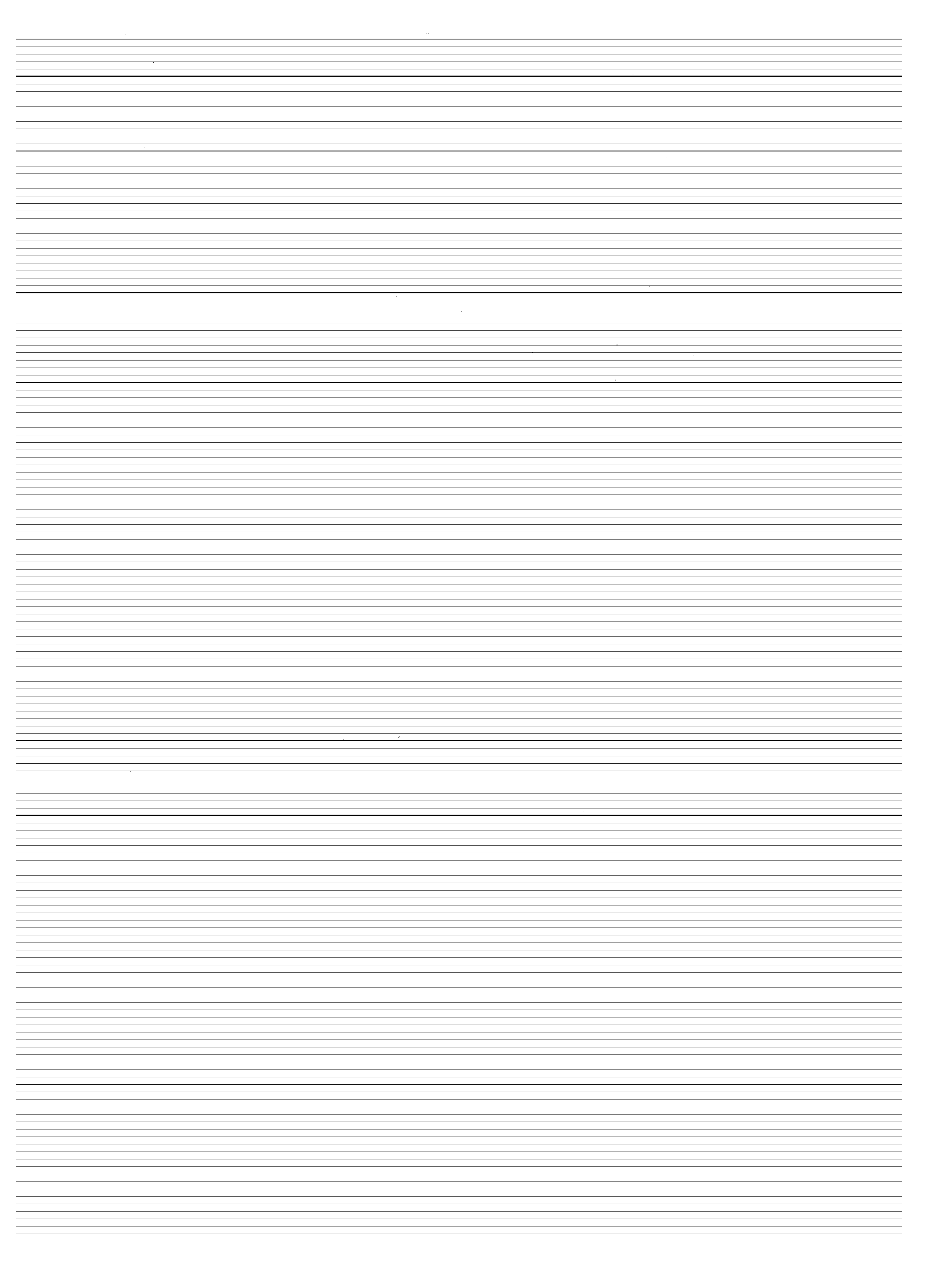
أقدم إليهم شرحا لفكر الإمام حسن البنا في الإصلاح والتجديد وحركة الإحياء الإسلامي ، من خلال ركن العمل في رسالته الجامعة « رسالة التعاليم » التي تضمنت أركان الإصلاح الإسلامي.

علي عبد الحليم محمود





بين يدي الكتاب



الحمد لله رب السموات والأرض ومن فيهن رب العالمين ، والصلاة والسلام علي محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الرحمة المهداة إلي الناس أجمعين ، وعلي آله وصحبه والتابعين وعلي المصلحين المجددين لأمر هذا الدين في رأس كل قرن من القرون ، وعلي كل مخلص يسير علي هذا الدرب القويم إلي يوم الدين.

وبعد : فقد سبق لي أن شرحت الركن الأول والثاني من أركان البيعة في رسالة التعاليم للإمام حسن البنا رحمه الله ، وهما ركنا «الفهم» «والإخلاص» وهذا شرح وتفسير للركن الثالث وهو ركن العمل ، سائلا الله تبارك وتعالى العون والتوفيق إنه علي ما يشاء قدير .

وقد كان لي – وأنا أقدم الركن الأول « الفهم » حديث عن تفرق وحدة المسلمين في هذا العصر ، مما جعلهم يتراجعون حضاريا عما كانوا عليه في عصور وحدتهم ، وأشرت هناك في إيجاز إلي الأسباب التي أدت إلي هذا التراجع الحضاري[1] وأرجعتها إلي نوعين من الأسباب أحدهما فُرض علي المسلمين بتألب أعدائهم عليهم والآخر كان نابعا من داخل المسلمين يوم تخلوا هم بأنفسهم عن أحكام دينهم وأدابه وأخلاقه فكانوا بذلك أعداء أنفسهم وعونا لعدوهم !!!

وأشرت هناك إلي مناهج المصلحين المجددين من المسلمين عندما رأوا هذا التراجع الحضاري ، وأوضحت ما أنطوي عليه منهج كل منهم من تصور للإصلاح ، وأكدت أنهم جميعا كانوا مخلصين في تصوراتهم – ولا أزكي علي الله أحدا – على الرغم مما شاب هذه المناهج من قصور أو نقص.

(١) للتوسع في أسباب التراجع الحضاري للمسلمين اليوم والتعرف علي طريق التغلب عليه : أنظر للمؤلف : التراجع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلب عليه – نشر دار الوفاء ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

وأكَّدْت هناك أن المصلح المجدد الإمام حسن البنا كان تصوره للإصلاح أشمل وأعمق وقدمت علي ذلك الشمول وذاك العمق ما ذكره من مبادئ بلغت عشرين مبدأ في فهم الإسلام فهما صحيحا علميا عمليا ، نابعا من الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

واليوم أؤكد من خلال تصوره رحمه الله لركن العمل من أركان الإصلاح والتجديد شمول منهجه في الإصلاح وعمق نظرته لواقع المسلمين ، ودقة معرفته للأدواء التي أدت بالمسلمين إلي الفرقة والانهزام والخضوع لأعدائهم وتخليهم عن أسباب نهضتهم وتقدمهم ، ومعرفته الدقيقة لأسباب العلاج والخروج من هذا المأزق.

ولقد حرص الإمام المؤسس علي أن يرسى دعائم الإصلاح والتجديد في رسالته الجامعة « **رسالة التعاليم** » وهي الرسالة العلمية العملية التي كتبها بعد أن عانى العمل الإسلامي في كل ميادنيه الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدعوية والحركية والتنظيمية مدة خمس عشرة سنة من يوم أن أنشأ جماعة « الإخوان المسلمون » عام ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م إلي أن ألَّف هذه الرسالة عام ١٣٦١ هـ - ١٩٤٣ م وهي سنوات صقلتها التجارب وزكتها الصراعات بين الجماعة وأعدائها في الداخل والخارج فكانت رسالة التعاليم مرحلة عُليا من مراحل الدعوة إلي الله والحركة من أجل الإسلام وتنظيم الصفوف ، وإعداد العاملين من أجل الإسلام والمجاهدين في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، لذلك كانت هذه الرسالة موجهة إلي صفوة الإخوان المسلمين الذين اجتازوا مرحلتي التعريف والتكوين ، ووقفوا علي أبواب مرحلة التنفيذ يريدون أن يترجموا الإسلام إلي عمل وجهاد.

ومن أجل هذا يطيب لنا أن نذكر الكلمات التي صدر بها الإمام هذه الرسالة وحدد فيها الخطاب والمخاطبين ، حيث قال :

« أما بعد : فهذه رسالتي إلي الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين ، الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم ، وعزموا صادقين علي أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها .

إلي هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة ، وهي ليست دروسا تحفظ لكنها تعليمات تنفذ .

فإلي العمل أيها الإخوة الصادقون : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[1] ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾[2].

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات ، وكتب ومقالات ، ومظاهر وإداريات ، ﴿ **ولكلٍ وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات** ﴾[3] ﴿ **وكلاً وعد الله الحسنى** ﴾[4] والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقد اشتملت هذه الرسالة – التي تعد أهم وثائق الجماعة – علي أركان الإصلاح والتجديد أو علي أركان البيعة علي العمل من أجل الإسلام ، حيث يقول الإمام المؤسس رحمة الله :

« **أيها الإخوان الصادقون : أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها : الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد، والأخوة ، والثقة** » .

وقد شرحنا في كتابنا عن أصول الفهم معاني الكلمات : « أركان والبيعة ، واحفظوها » مما يغنى عن إعادة شرحها هنا ، فلتعد إليها أيها الأخ الكريم.

أما هذا الركن الثالث : « العمل » فإن الإمام المؤسس جعل له مراتب ودرجات كل واحدة منها تعتبر ركيزة لما بعدها ، وإن كانت جميعا يأخذ بعضها بحجز بعض وتمثل تكاملا بحيث لا يغني بعضها عن بعض وهي كما سنوضحها في نصها بعد قليل :

* إعداد الفرد المسلم ،
* وإعداد البيت المسلم ،

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥.
(٢) سورة الأنعام : ١٥٣.
(٣) سورة البقرة : ١٤٨.
(٤) سورة النساء : ٩٥.

* وإرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ،

* وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي غير إسلامي ،

* وإصلاح الحكومة حتي تكون إسلامية بحق ،

* وإعاد ةالكيان الدولي للأمة الإسلامية ،

* وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه ، ﴿ **حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .

إن هذا البرنامج السباعي الوحدات أو الخطوات يشكل عند تنفيذه أملا كبيرا عاشت الأمة الإسلامية تنتظره أجيالا وأجيالا ، لكنها كانت تنتظر هذا الأمل دون إعدادٍ له أو استعداد ، وتحسب أنها سوف تحققه ، ولكنها كانت واهمة إذ لا أمل بغيرِ عمل.

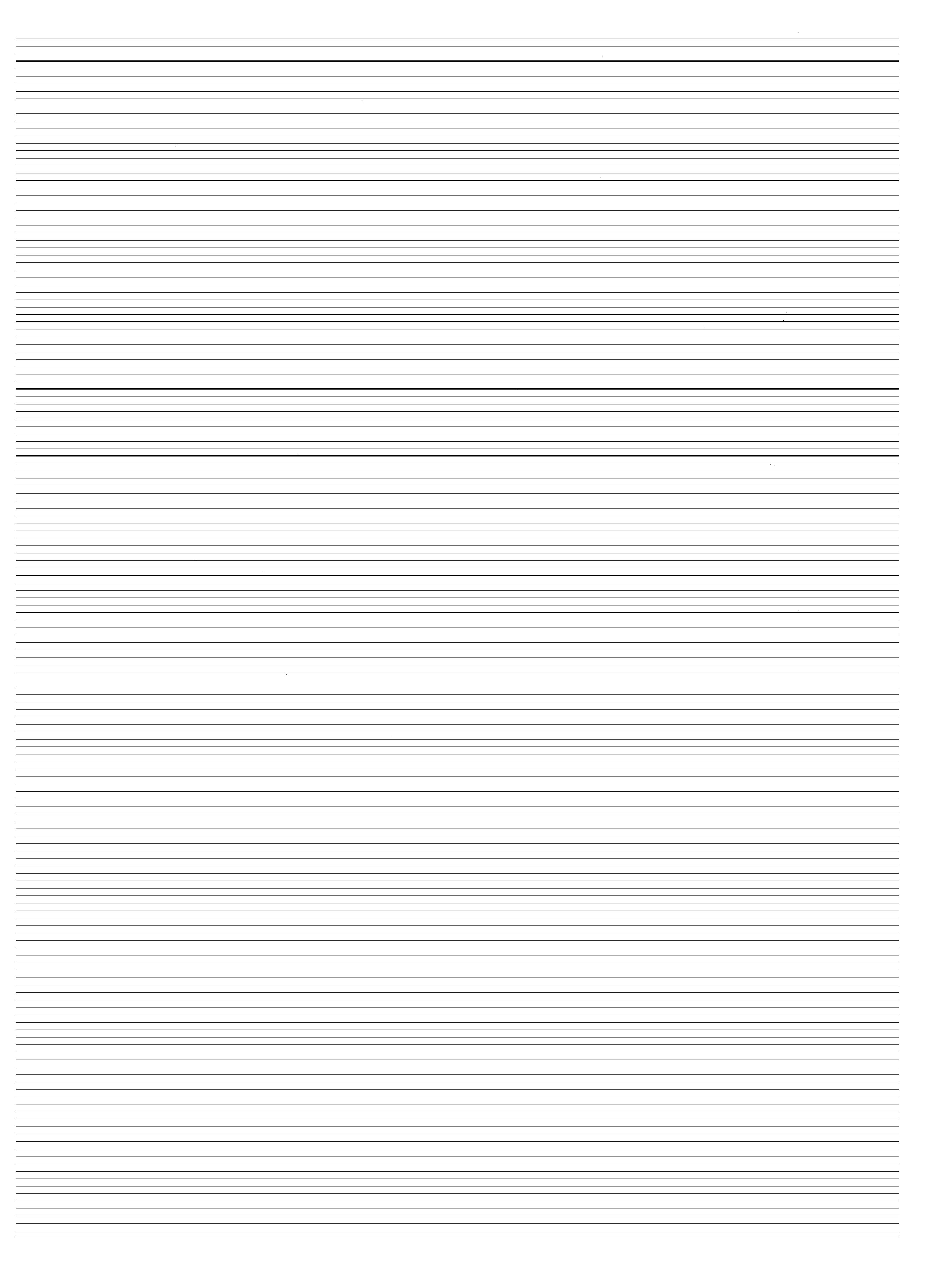
أما الإمام البنا فقد وضع مفردات العمل وخطواته ، وكان من حقه أن ينتظر تحقيق الأمل انتظار العامل الواثق من فكره وعمله وخطوات هذا العمل، ولئن قضى الإمام شهيدا في سبيل الله وفي طريق الدعوة والحركة والتنظيم، فإن الصحوة الإسلامية المعاصرة ، وحركة الإحياء والتجديد التي تعم العالم الإسلامي اليوم ، لتؤكد لكل ذى بصيرة أو بصر أن المسلمين بالإسلام لابد بالغون نهاية الطريق محققون تلك الآمال بإعادة الكيان الدولي للخلافة الإسلامية أو للحكم الإسلامي ، وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه.

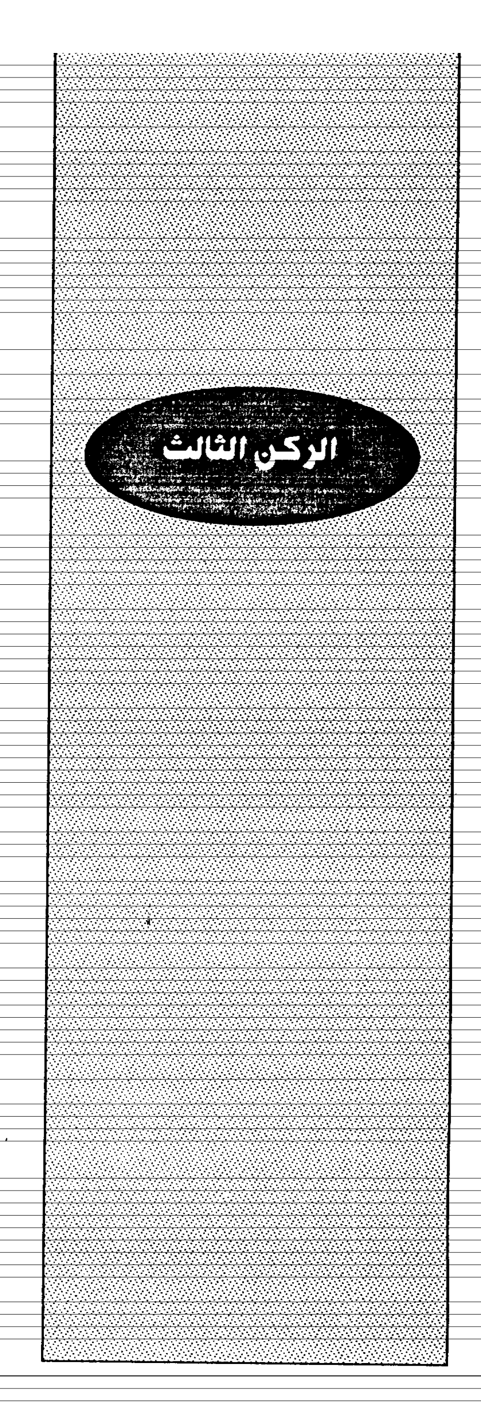
ولئن كان الغرب كله أوربا وأمريكا أصبح يخشي الصحوة الإسلامية ويكيد لها ويعلن هذا علي السنة عدد من رؤساء دوله صراحة قائلين - بعد انهيار الشيوعية - لم يعد أمامنا من خطر يهددنا إلا الإسلام والصحوة الإسلامية ، ولئن كان الشرق - الذي انهارت فيه الشيوعية وخَزِيْت الاشتراكية في ربوعه - أصبح يعلن خوفه من الإسلام ويتحدى الوجود الإسلامي في أي مكان - لئن أصبح كل ذلك كائنا ، فإن له عندنا دلالة مبشرة هي أن الصحوة الإسلامية أصبحت واقعا بفضل برامج الإصلاح المتكاملة التي وضعها الإمام البنا وقد

أخذ العالم يحسب لها ألف حساب وحساب ، وتلك عندنا إحدى البشارات ، وصدق رسول الله ﷺ الذى بشرنا بتلك البشارة التي حملها إلينا الحديث النبوي الصحيح الذي رواه الإمام مسلم والإمام أحمد وابن حبان والبيهقي رحمهم الله تعالي بأسانيدهم عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بَشّرِ هذه الأمة بالسنا ، والرفعة ، والدين ، والنصر والتمكين في الأرض . . » كما حمل إلينا بشارة مماثلة تثلج صدور المؤمنين العاملين هذا الحديث النبوي الذي رواه الطبراني بسنده - في الأوسط - عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله استقبل بي الشام، وَوَلّى ظهرى اليمن ، وقال لي : يا محمد : إني جعلت ما تجاهك غنيمة ورزقا ، وما خلف ظهرك مددا ، ولا يزال الإسلام يزيد ، وينقص الشرك وأهله ، حتي تسير المرأتان لا تخشيان إلا جورا ، والذي نفسي بيده ، لا تذهب الأيام والليالي حتي يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم » .

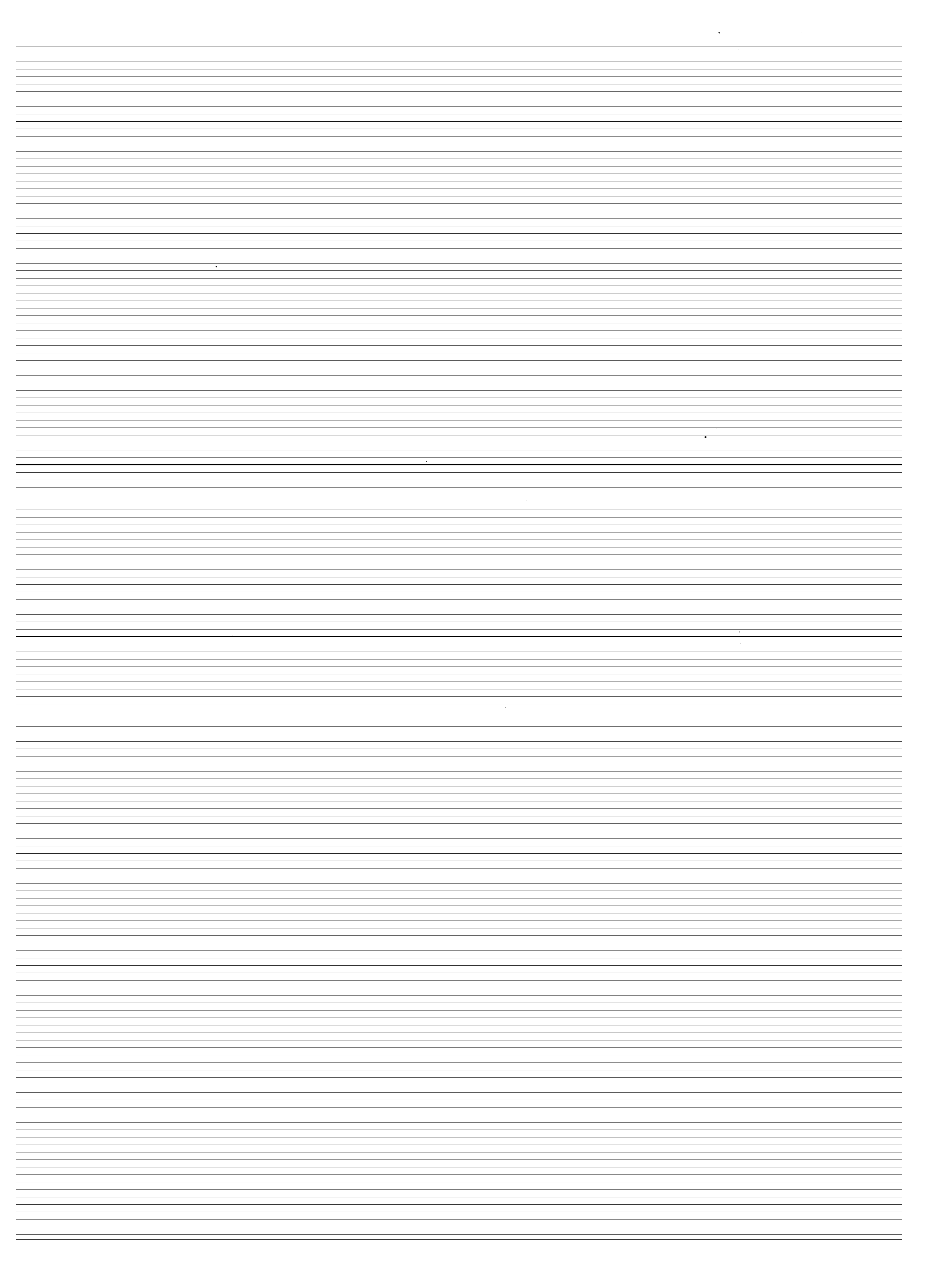
إن هذه البشارات قد أحس بها الإمام البنا ووضع البرامج التي تخرجها من حيز الأمل إلي حيز العمل ، في هذا الركن الراسخ من أركان البيعة وهو ركن العمل.

نسأل الله تعالي أن يوفقنا إلي شرحه وتفسيره ووضع مفرداته حية نابضة أمام شباب العالم الإسلامي اليوم ، ليدركوا من خلالها علما وعملا أن الإسلام الحنيف هو الحل لكل مشكلات المسلمين في أي زمان وأي مكان ، والله من وراء القصد وهو الهادى إلي سواء سبيل.





العمـل



العمل

والنص الذي تناوله هو :

قول الإمام المؤسس عن هذا الركن :

« وأريد بالعمل ثمرة العلم - الفهم - والإخلاص ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [1] ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق :

١- « إصلاح نفسه حتي يكون قوى الجسم متين الخلق مثقف الفكر قادراً علي الكسب سليم العقيدة صحيح العبادة ، مجاهدا لنفسه حريصا علي وقته منظما في شئونه نافعا لغيره ، وذلك واجب كل أخ علي حدته ».

٢- « وتكوين البيت المسلم بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة علي آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية ، وحسن اختيار الزوجة وتوقيفها علي حقها وواجبها ، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم علي مبادئ الإسلام ، وذلك واجب كل أخ علي حدته كذلك » .

٣- « وإرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ، ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمبادرة إلي فعل الخير ، وكسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية ، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائما ، وذلك واجب كل أخ علي حدته ، وواجب الجماعة كهيئة عامة.

٤- « وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي غير إسلامي ، سياسى أو اقتصادي أو روحي » .

٥- « وإصلاح الحكومة حتي تكون إسلامية بحق ، وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل علي مصلحتها ، والحكومة إسلامية ما كان

---
(١) سورة التوبة : ١٠٥.

أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه ، ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة ، ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه في نظام الحكم الإسلامي.

ومن صفاتها : الشعور بالتبعة والشفقة علي الرعية والعدالة بين الناس والعفة عن المال العام والاقتصاد فيه .

ومن واجباتها : صيانة الأمن وإنفاذ القانون ونشر التعليم وإعداد القوة وحفظ الصحة ورعاية المنافع العامة وتنمية الثروة وحراسة المال وتقوية الأخلاق ونشر الدعوة .

ومن حقها متي أدت واجبها : الولاء والطاعة والمساعدة بالنفس والأمول ، فإذا قصرت فالنصح والإرشاد ، ثم الخلع والإبعاد ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ».

العمل على قيام الدولة الصالحة التي تنفذ تعاليم الإسلام.

٦- « وإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها ، وإحياء مجدها وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها ، حتي يؤدي ذلك كله إلي إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة ».

٧- « وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه ﴿ **حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ (١) و ﴿ **ويأبي الله إلا أن يتم نوره** ﴾ (٢) وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب علي الجماعة متحدة وعلي كل أخ باعتباره عضوا في الجماعة.

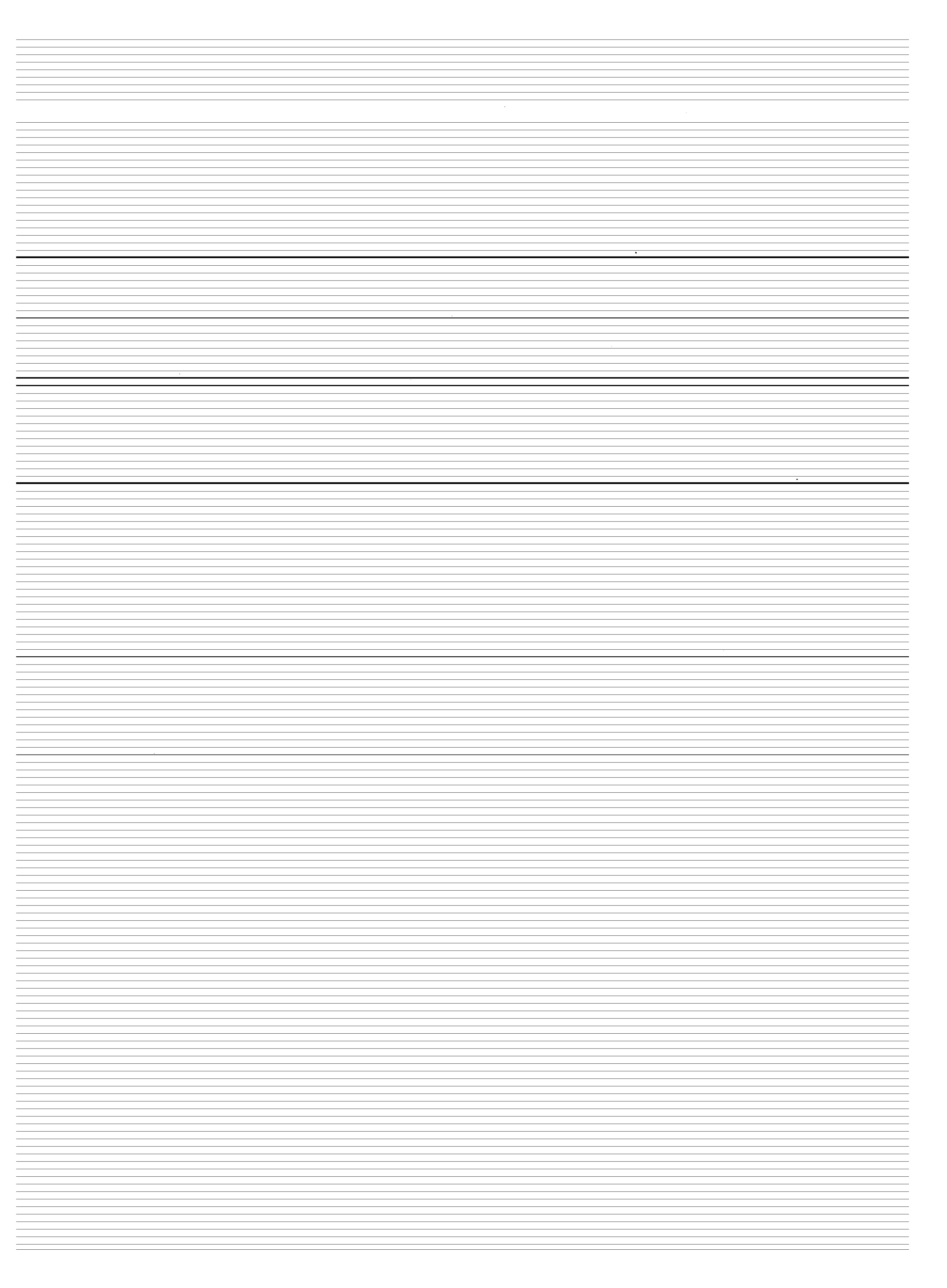
وما أثقلها تبعات ، وما أعظمها مهمات ، يراها الناس خيالا ويراها الأخ المسلم حقيقة ، ولن نيأس أبدا ، ولنا في الله أعظم الأمل ﴿ **والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٣).

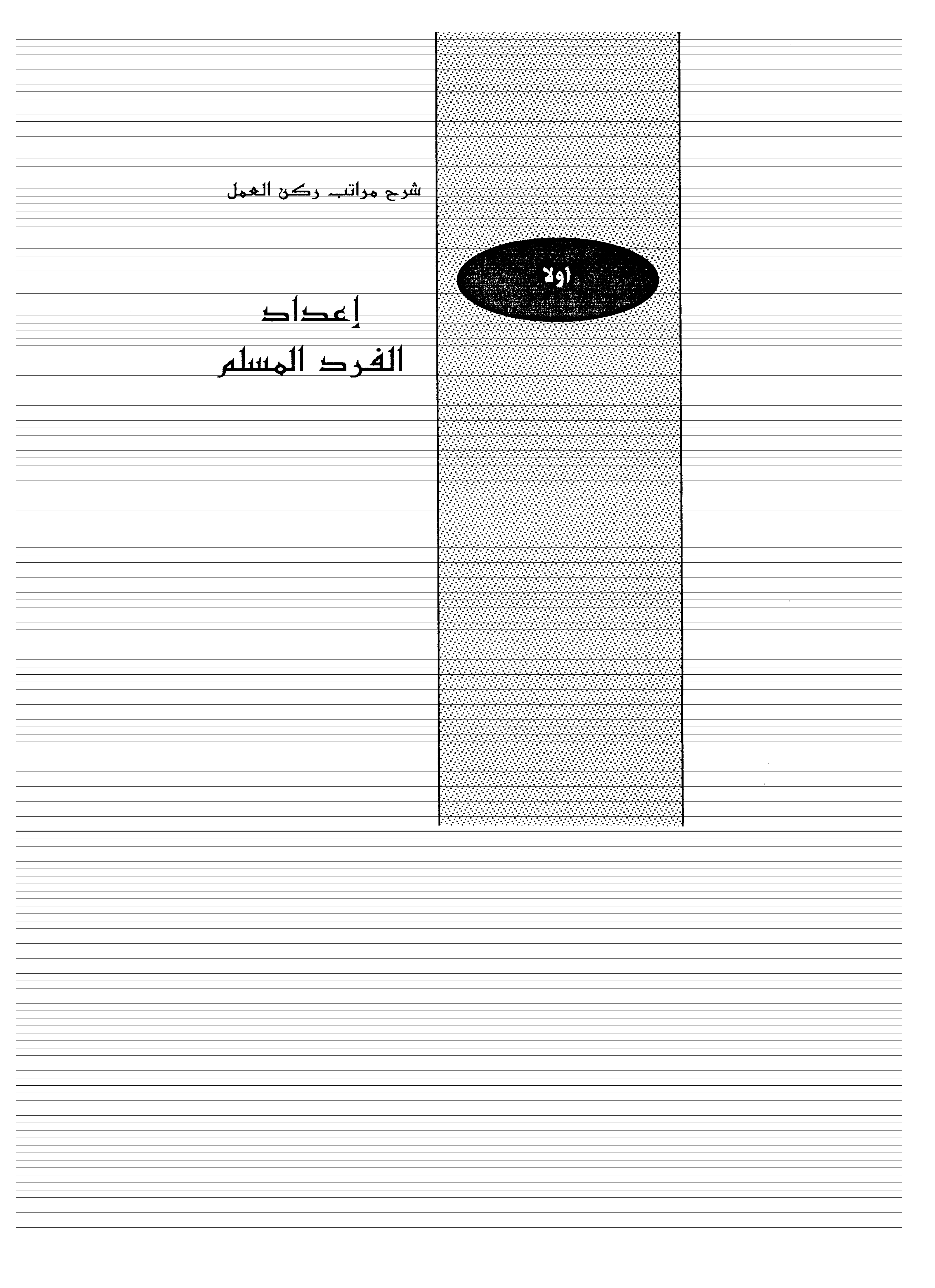
---

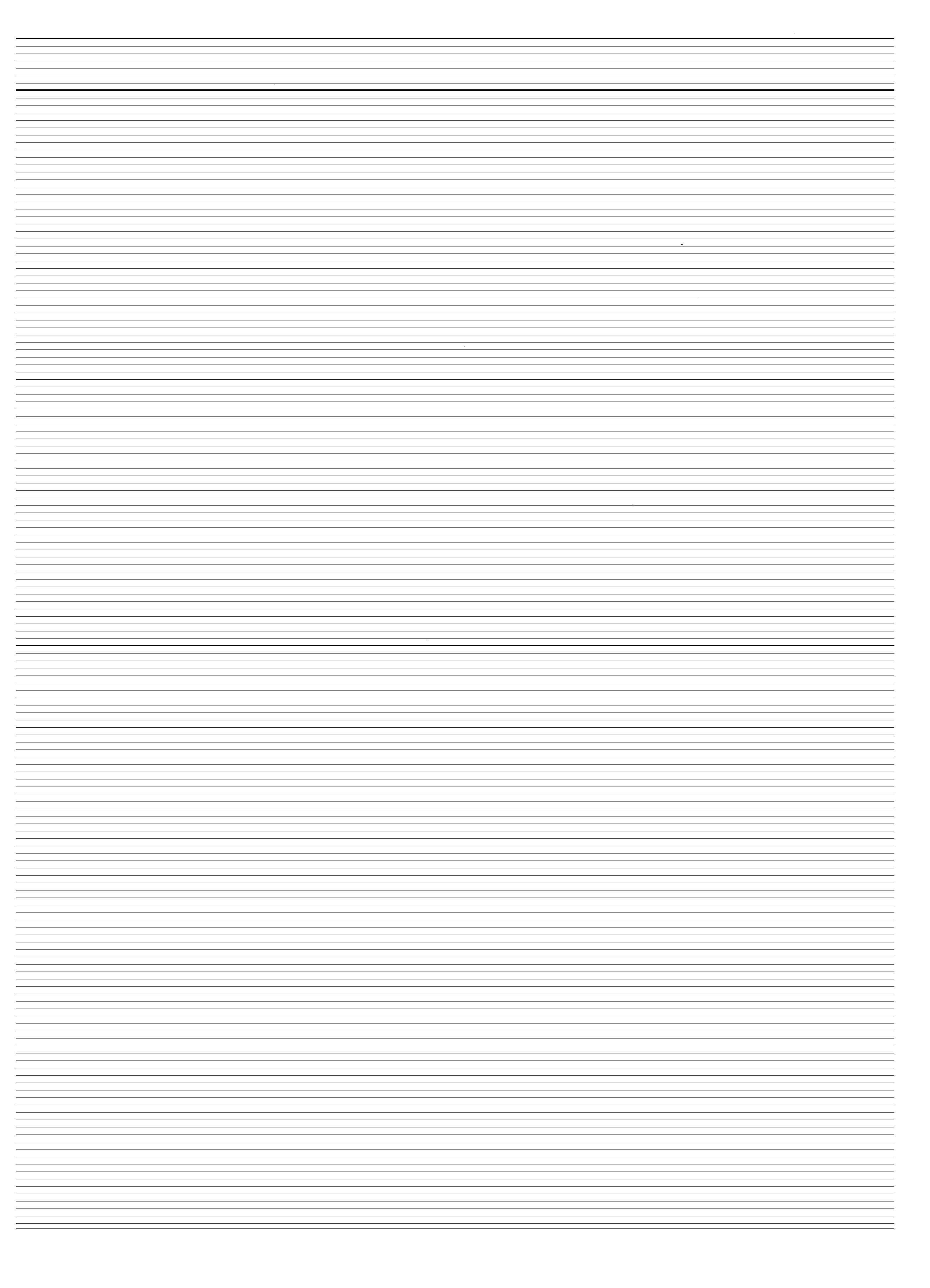
(١) سورة الأنفال : ٣٩. (٢) سورة التوبة : ٣٢.

(٣) سورة يوسف : ٢١.

ولنبدأ بعون من الله وتوفيقه في شرح مراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق كما أجملها الإمام المؤسس رحمه الله تعالي ، سائلين الله تعالي أن ينفع بها المسلمين.




شرح مراتب ركن العمل
أولا
إعداد
الفرد المسلم



إعداد الفرد المسلم

ولا يعد الفرد إعدادا إسلاميا متكاملا إلا إذا توفرت فيه صفات معينة ، حددتها وثائق الجماعة علي النحو التالي :

١- أن يكون قوي الجسم ،

٢- وأن يكون متين الخلق ،

٣- وأن يكون مثقف الفكر ،

٤- وأن يكون قادرا علي الكسب ،

٥- وأن يكون سليم العقيدة ،

٦- وأن يكون صحيح العبادة ،

٧- وأن يكون مجاهدا لنفسه ،

٨- وأن يكون حريصا علي وقته ،

٩- وأن يكون منظما في شئونه ،

١٠- وأن يكون نافعا لغيره (١).

ولنلق بعض الضوء علي كل صفة من هذه الصفات التي إذا اجتمعت في فرد فهو الفرد الذي أعد إعدادا إسلاميا متكاملا .

---

(١) الإمام المؤسس : رسالة التعاليم ركن العمل.

أن يكون قوي الجسم

١- أن يبادر إلي توقيع الكشف الطبي علي جسمه للتعرف علي ما به من أمراض ، وأن يأخذ في علاجها ، وذلك واجب الأخ المسلم كما دلت علي ذلك وثائق الجماعة كما سنذكر ذلك بعد قليل - أي في واجبات الأخ الصادق.

٢- وأن يأخذ بكل أسباب تقوية الجسم من طعام وشراب طيبين مما أحل الله - ولا يحل الله إلا الطيب - دون إسراف ولا حرمان ، وإنما هو الاعتدال والوسط دائما .

٣- وأن يمارس الرياضة البدنية وأن يجعلها من عاداته المستمرة اللازمة لما فيها من إعطاء مرونة وقدرة علي العمل والحركة صبر علي تحمل الجهد ، ونشاط وحيوية .

٤- وأن يبتعد عن كل ما يضر الجسم من أعمال وعادات سيئة مثل : السهر والإسراف في تناول المنبهات كالشاي والقهوة وغيرهما .

٥- وأن يعتاد العادات الحسنة التي تفيد الجسم وتكسبه القوة والنشاط مثل:

أ- النوم المبكر بعيد العِشاء ،

ب- واليقظة المبكرة قبيل الفجر ،

جـ- والإقلال من الطعام ، ورفضه إلا عند الجوع ،

د- والالتزام ببرنامج رياضي يومي ،

هـ- والنظافة بصفة عامة - نظافة الثوب والمكان الذي يوجد فيه ،

و- والالتزام بسنن الفطرة في النظافة وهي :

- الاختتان ،
- والسواك ،

- وتقليم الأظافر ،
- ونتف الإبط ،
- وحلق العانة ،
- وإحفاء الشارب ،
- والتيامن ،
- وحلق الرأس كله أو تركه كله ،
- والطيب ،
- والاكتحال ،
- وإكرام الشعر وترجيله .

إذا راعى الفرد ذلك كله فقد قَوِّي جسمه وأصبح أحب إلي الله من المؤمن الضعيف ، وقد ورد ذلك في وثائق الجماعة في واجبات الأخ الصادق حيث جاء فيها ما يلي :

« أن تبادر بالكشف الصحي العام وأن تأخذ في علاج ما يكون فيك من أمراض ، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية ، وتبتعد عن أسباب الضعف الصحي .

وأن تبتعد عن الإسراف في قهوة البن والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة، فلا تشربها إلا لضرورة ، وإن تمتنع عن التدخين نهائيا .

وأن تعني بالنظافة في كل شئ في المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل ؛ فقد بني الدين علي النظافة »[1].

---

(١) السابق : واجبات الأخ الصادق .

أن يكون متين الخلق :

أي قوي الخلق - والخلق هو السجية أو الطبيعة - ومعني قوة الخلق الالتزام بأخلاق القرآن الكريم والاقتداء بالرسول ﷺ في أخلاقه ، فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت : كان خلقه القرآن ألا تقرءون : ﴿ **قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ،**

والذين هم عن اللغو معرضون ،

والذين هم للزكاة فاعلون ،

والذين هم لفروجهم حافظون إلا علي أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغي وراء ذلك فأولئك هم العادون ،

والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ،

والذين هم علي صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ (١) .

وأوضح ما يكون الخلق الإسلامي في الفرد المسلم إذا تمثل في سلوكه بالأخلاق التي وصف الله سبحانه بها عباده في سورة الفرقان فقال سبحانه : ﴿ **وعباد الرحمن**

الذين يمشون علي الأرض هونا ،

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ،

والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ،

والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما ،

---

(١) سورة المؤمنون : ١ -١١ .

والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ،
والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ،
ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ،
ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة
ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب
إلي الله متابا

والذين لا يشهدون الزور ،

وإذا مروا باللغو مروا كراما ،

والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليهم صما وعميانا.

والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين
إماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما ﴾ [1].

وكذلك الصفات التي وردت في سورة الشوي وهي :

﴿ فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى ،

للذين آمنوا ،

وعلي ربهم يتوكلون ،

والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ،

وإذا ما غضبوا هم يغفرون ،

والذين استجابوا لربهم ،

وأقاموا الصلاة ،

وأمرهم شوري بينهم ،

ومما رزقنهم ينفقون ،

---

(١) سورة الفرقان : ٦٣ - ٧٦.

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ،

وجزاء سيئة سيئة مثلها ،

فمن عفا وأصلح فأجره علي الله ، إنه لا يحب الظالمين ،

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما سبيل علي الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ،

ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [1].

---

(١) سورة الشورى : ٣٦ - ٤٣.

أن يكون مثقف الفكر:

والثقافة التي يطالب بها المنهج ذات شعب ثلاثة :

الشعبة الأولى :

ثقافة دينية : بمعني أن يكون الفرد ملما بالأديان السماوية كاليهودية والنصرانية ، وبالأديان المشهورة كالبوذية وغيرها ، إلماما يكفي فيه أن يعرف عن هذه الأديان أنها كانت أصلا من عند الله كاليهودية والمسيحية وأن الله أنزل التوراة والإنجيل ولكن اليهود والنصارى حرفوا فيهما وغيروا وبدلوا ، حتي ضيعوا التوحيد وكفروا بمحمد ودينه مع أنهم مطالبون في كتبهم بأن يؤمنوا به إذا ظهر ، يلم بذلك دون توسع أو تعمق فذلك من شأن المتخصصين.

الشعبة الثانية :

ثقافة إسلامية وهي ذات فروع كثيرة نذكر منها :

أ- المعرفة الدقيقة والعلم المستوثق من مسائل العقيدة ، وكل ما يتصل بذات الله وصفاته وأفعاله .

ب- والمعرفة الدقيقة والعلم المستوثق من كل مسائل العبادة الفروض منها والنوافل .

جـ- والعلم الدقيق بكل مسائل عالم الغيب « السمعيات » من بعث وحشر وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار وصراط وميزان . . الخ .

د- والإلمام الكافي بعلوم القرآن وعلوم السنة النبوية ، وعلوم الفقه وأصول هذه العلوم ، وعلوم العربية لغة القرآن .

هـ- والمعرفة الجيدة بتاريخ الإسلام والمسلمين - السيرة وتاريخ المسلمين - علي مر العصور لأخذ العبرة والعظة .

والشعبة الثالثة .

ثقافة عامة تتناول فروعا عديدة نذكر منها :

أ- الإلمام بتاريخ الحركات الإسلامية الإصلاحية في القديم والحديث في مختلف أقطار العالم الإسلامي .

ب- والمعرفة الجيدة بالتيارات الموالية أو المعادية للإسلام والمسلمين .

جـ- والمعرفة الجيدة بالجماعات والجمعيات التي تعمل للإسلام .

د- والمعرفة الجيدة للجماعات والجميعات التي تدعي العمل للإسلام وهي علي غير ذلك مثل :

القاديانية ،

والبابية ،

والبهائية ، وغيرها .

هـ- والمعرفة الجيدة بالثالوث الذي يناصب الإسلام العداء وهو :

الإلحاد أو الشيوعية

واليهودية أو الصهيونية ،

والصليبية .

و- والإلمام بالفلسفات والنظريات المناهضة للإسلام مثل :

الوجودية ،

والعدمية ،

والفوضوية ،

والعراة ،

وأنصار الشذوذ الجنسي وغيرها .

ز- والإلمام الجيد بتاريخ الثالوث الذي يخطط دائما ضد الإسلام وهو :

الاستشراق ،

والتنصر « التبشير »

والاستعمار .

ح- والمعرفة الجيدة بالعالم الإسلامي المعاصر جغرافيا وتاريخيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

ط- والمعرفة الجيدة بالأقليات الإسلامية وتوزيعها علي بلدان العالم وظروف كل أقلية ومدى ما تتمتع به من حقوق ومدى ما تتعرض له من متاعب ومشكلات ، ومدي ما هي في حاجة إليها من المسلمين علي مستوى العالم.

أن يكون قادرا على الكسب

وهذه الصفة تعني أن الفرد المسلم لا بد له من عمل وكسب من هذا العمل، لأن العمل في الإسلام هو الذي يترجم عن الإيمان ويؤكد وجوده ، وليس لمسلم أن يعيش عالة علي غيره ، ولا أن يعيش يتكفف الناس وهو قادر علي العمل.

والقدرة علي الكسب أمان من الفقر بإذن الله ، وخروج بالإنسان عن دائرة العجز والكسل ، أما من كان عاجزا عن العمل فإن له الحق كل الحق في عيش كريم في المجتمع المسلم ، لأن المجتمع لا يكون مسلما كامل الإسلام إلا كان أفراده متعاونين متكافلين .

وقد كانت الجماعة دائما في توجيهاتها للأفراد تدعو إلي تعلم الحرف ، وقد ورد فيما كتبه الإمام المؤسس عن العمل والكسب والحث عليهما قوله :

«واعتبار الكسب واجبا علي كل قادر عليه ،

والثناء الثناء علي العمال المحترفين ،

وتحريم السؤال ،

وإعلان أن أفضل العبادة العمل ،

وأن العمل سنة الأنبياء ،

وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد ،

والزراية علي أهل البطالة والذين هم عالة علي المجتمع مهما كان سبب تعطلهم ولو كان الانقطاع لعبادة الله ، فإن الإسلام لا يعرف هذا الضرب من التبطل ، ولا يقبل أن يسمى هذا توكلا علي الله ، لأن التوكل علي الله هو الأخذ بالأسباب وأيضا بالنتائج فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل.

والرزق المقدور مقرون بالسعي الدائب ، والله تبارك وتعالى يقول : « **وقل**

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[1] .

والرسول ﷺ يقول : « **ما أكل أحَدٌ طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده** » ويقول عمر : « **يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة** » .

وفي الحديث : « **لا يزال الرجل يسأل الناس حتي يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم** »[2] .

ومن أجل هذا كان جزءا من برنامج الأسرة في جماعة الإخوان المسلمين ، التدريب علي بعض الحرف ، بحيث يقوم صاحب الحرفة من أعضاء الأسرة بتعليم إخوانه وتدريبهم علي حرفته ، والأسرة التي لم تكن تنفذ ذلك كانت تعتبر مخالفة للبرنامج ومتنكبة طريق المنهج التربوي للجماعة.

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥.

(٢) الإمام البنا : مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي .

أن يكون المسلم سليم العقيدة :

وللإمام المؤسس في ذلك قوله : « الناس أمام العقائد أقسام :

- منهم من تلقاها تلقيا واعتقدها عادة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشبهات.

- ومنهم من نظر وفكر فازداد إيمانه وقوي يقينه ،

- ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر واستعان بطاعة الله وامتثال أمره وإحسان عبادته ، فأشرقت مصابيح الهداية في قلبه فرأي بنور بصيرته ما أكمل إيمانه وأتَمَّ يقينه وثبت فؤاده ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم**﴾[1] .

والعقائد الإسلامية تنقسم إلي أربعة أقسام رئيسية ، تحت كل قسم منها فروع عدة :

القسم الأول :

الإلهيات وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالي من حيث صفاته وأسماؤه وأفعاله ، ويلحق بها ما يستلزمه اعتقاده من العبد لمولاه .

والقسم الثاني :

النبوات وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم والحاجة إلي رسالتهم ، ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوان الله عليهم والمعجزة والكرامة والكتب السماوية .

والقسم الثالث :

الروحانيات ، وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي كالملائكة عليهم السلام والجن والروح .

(١) سورة محمد ١٧ .

والقسم الرابع :

السمعيات ، وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية والحياة الأخروية ، كأحوال القبر وعلامات القيامة والبعث والموقف والحساب والجزاء »[١] .

ومعني سلامة العقيدة أن يحرر الفرد عقله وقلبه من كل وهم أو خرافة أو ضلال فيما يتصل بالعقيدة ، وأن يوقن بأن المعين الصافي الذي يتزود منه بالعلم والمعرفة عن العقيدة الإسلامية هو كتاب الله الكريم وسنة نبيه المعصوم ﷺ فإن غم عليه شئ فليرجع إلي ما كتبه في ذلك السلف الصالحون رضوان الله عليهم [٢].

وكل مسلم مطالب شرعا بأن يكون سليم العقيدة وأن يتخذ لذلك من السبل ما يحقق غايته ، فذلك واجب كل مسلم علي حدته .

---

(١) الإمام المؤسس : العقائد : ضمن مجموعة الرسائل .

(٢) خير ما أحيل عليه من كتب العقائد كتاب : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية للطحاوي .

أن يكون صحيح العبادة :

ومعني صحة العبادة أن يعبد الله سبحانه وتعالي وفق ما شرع ، وكما أوضح عنه رسوله الخاتم محمد ﷺ في سنته المطهرة وسيرته العطرة ، أي أن كل مسلم مطالب بأن يكون طهوره وصلاته وصيامه وزكاته وحجه للبيت الحرام ، كما كان رسول الله ﷺ يفعل ، فقد قال تعالي : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [1].

وعبادة الله سبحانه هي التعبد له بما افترض علينا ، وإظهار منتهي الذل والخشوع له سبحانه ، والانقياد لمنهجه ، ومنهج الله سبحانه قد اشتمل علي كل ما ينفع الإنسان في معاشه ومعاده .

وعبادة الله أعم من أداء أركان الإسلام وهي الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع ، لأن تلك فرائض فرضها الله علي كل مسلم ، ولكن في التنفل بما كان من جنس العبادة المفروضة سعة أي سعة وعبادة تحبب الله في المتقربين إليه بالنوافل .

وإذا كان الأصل في خلق الله للإنس والجن أن يعبدوه سبحانه وتعالي ، فإن هذه العبادة هدف في ذاتها وهي وسيلة كذلك من باب أنها عمل صالح يتقرب بها إلي الله ، لأن من استجاب من الناس فانقاد لمنهج الله وعبده وفق هذا المنهج نجا من النار ومن عذاب يوم القيامة بإذن الله وفضله ، ثم هو بهذه العبادة يتعرض لرحمة الله سبحانه وحسن جزائه وجميل ثوابه في الآخرة.

والآخرة كما يعلم كل مسلم هي الحياة الحقة الأبدية التي تكون فيها المتع الأبدية الحقيقية لمن عبدوا الله حق عبادته وفق ما شرع ، وعلي نحو ما سن رسوله الخاتم ﷺ.

---

(١) سورة الحشر : ٧.

وإن كل عمل أو ترك يمارسه الإنسان بنية التقرب إلي الله ، والتَّقَوِّي علي عبادته فهو عبادة لله مشكور مأجور صاحبها بفضل من الله ورحمة ، ومن رحمة الله بنا أن جعل كل عمل نقوم به أو نتركه قاصدين به وجه الله عبادة له سبحانه .

وإن العبادات كلها في الإسلام لا مجال أبدا للتعديل فيها ولا التبديل ، فهي هكذا كما جاء بها محمد ﷺ ، بل إن البحث عن أسرارها ليس مطلبا شرعيا ، وعلي عكس ذلك العادات فإنها يمكن أن تتغير وتتبدل حسب ما تقتضيه الظروف والأحوال ، وهي كذلك يمكن البحث عن أسرارها والحكمة في فعْلها أو تركها .

ولذلك وصف الله عباده المخلصين له في عبادتهم بما وصفهم به من صفات رفيعة القدر عالية المنزلة في الآيات الكريمة التي سقناها آنفا من سورة الفرقان والتي بدأها الله سبحانه وتعالي بقوله : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون علي الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** . . . الآيات ﴾ .

إن واجب كل مسلم أن يعبد الله سبحانه وفق ما شرع .

أن يكون مجاهدا لنفسه

والنفس - كما هو معروف أمارة بالسوء إلا من رحم الله - وجهادها وهي تأمر بالسوء ومنعها من ممارسته واجب شرعي ، لأنها حين تأمر بالسوء أو تزينه فإنما يتلبس بها الشيطان لتخالف منهج الله ، ومخالفة منهجه سبحانه عصيان وإثم يوجب العقاب ، ولذلك كانت مقاومة النفس التي تأمر بالسوء واجبة .

ومن مجاهدة النفس التقرب إلي الله بالطاعات ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي فراس الأسلمي خادم رسول الله ﷺ ومن أهل الصُفَّة رضي الله عنه قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته ، فقال : «سلني» فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، فقال : « أو غير ذلك»؟ قلت : هو ذاك قال : « فأعني علي نفسك بكثرة السجود » [1].

وجهاد النفس في مجال التربية درجات وأنواع :

- فهناك جهادها لكي لا تقع في الشر أو المعصية والمخالفة لمنهج الله سبحانه، وهذا الجهاد واجب شرعا كما أسلفنا .
- وهناك جهادها بمعني عدم تركها علي حالة من السلبية لا تفعل الخير ولا تنشط إليه ، فبذلك تظلم صاحبها وتحول بينه وبين التقرب إلي الله بفعل الخير ، وهذه النفس هي التي تغلب سيئاتها حسناتها ، والأصل أن تغلب الحسنات السيئات حتي تذهبها .
- وهناك النفس التي تقتصد في فعل الخير ، وتكتفي منه بما هو الحد الأدني، ومجاهدتها تعني حثها وتشجيعها علي أن تكثر من الخير وتجدَّ في ذلك ما وسعها حتي تحظى عند الله بمنزلة أعلي وأرفع.
- وهناك مجاهدة النفس التي تبحث لصاحبها عن مبررات القعود والتخلي

(١) الإمام النووي : رياض الصالحين : ٦٣ .

في مجال التقرب إلي الله بالأقوال والأعمال ، ومجاهدتها تعني إبطال هذه الحجج وإفاد تلك المبررات ، والإقبال علي الله ، وعلي كل ما يقرب إليه، ﴿ **ففروا إلي الله ...** ﴾ [1].

والذي يجاهد نفسه علي هذا النحو ، فإما يجاهد معها أو فيها شيطانه ، لأن الشيطان هو الذي يسول لها المخالفة ويزين لها القعود عن فعل الخير ، ويعد ويُمَنِّي وما يعد إلا غرورا.

---

(١) سورة الذاريات : ٥٠.

أن يكون حريصا علي وقته :

والوقت هو الحياة ، والذي يحسن إنفاق وقته فيما يعود عليه بالخير فذلك الموفق ، ومن ترك نفسه وما تهوى فأنفق وقته فيما لا يفيد ولا يعود عليه بالخير فذلك الغافل الضائع الذي خدعته الحياة الدنيا وزينتها فأنسته الحياة الحقة الآخرة.

إن الحرص علي الوقت وإنفاقه في النافع المفيد في المعاش والمعاد آية عقل ودليل حكمة ، وعلامة علي النجاح والتوفيق.

فكيف يحرص الإنسان علي وقته ؟

إن التدقيق في إنفاق الوقت ضرورة للعمل المثمر ، وإن العمل أي عمل إذا استغرق الوقت الذي من شأنه أن يستغرقه دليل علي أن هذا العالم فاهم لدينه متفهم لواجباته ، أما إذا استغرق أكثر مما يجب من الوقت فذاك تبديد للحياة وتضييع للإنتاج ودليل تراخ وكسل وضعف همة وفساد إرادة .

إن للعمل وقتا لا يجوز التهاون فيه .

وإن العبادة علي رأس كلٍّ لها كذلك وقتها الذي لا تهاون فيه .

وإن للراحة وقتا لا يجوز التهاون فيه .

وإن لزيارات الناس أوقاتا ملائمة وآدابا عامة ما ينبغي لمسلم أن يقصر فيها ولا أن يخلطها بغيرها من الأوقات.

وإن التقيد بذلك هو احترام للوقت أي احترام للحياة .

وإن المسلم لا يجوز له أن يفرط في شيء من وقته فيضيع دون أن يحصد منه خيرا لدينه أو دنياه .

وإن المسلم مطالب كذلك بأن يحرص علي أوقات الناس فلا يتسبب في

ضياع جزء منها ، فإنه إن فعل فإنما يضيع عليهم جزءا من حياتهم.

والمنهج الإسلامي في الحياة قد دقق في احترام الوقت وملئه بالنافع المفيد ، فقد جعل للنوم وقتا وأجب احترامه ، وللراحة بالنهار وقتا ، وللعبادة وقتا ، وللعمل وقتا وللسمر وقتا ، بل إن كل عبادات الإسلام موقوتة :

الصلاة : خمس فرائض في اليوم والليلة في أوقات معينة لكل فريضة.

والصوم : موقت بشهر رمضان من كل عام .

والزكاة موقتة بحول الحول علي النصاب أو بصوم رمضان إذا كانت زكاة فطر.

والحج موقت بأشهره المعروفة ، بل إن مفردات الحج موقتة كذلك باليوم والليلة والساعة كالوقوف بعرفة والمبيت بمني والرجم وغير ذلك من مناسكه.

ولو ذهبنا نجمع الشواهد والأدلة والبراهين علي ذلك من نصوص الدين لما وسعنا هذا المجال الذي نحن فيه .

أن يكون منظما في شئونه :

والإسلام كله دين نظام وتنظيم وانضباط ، فكل شئ مما فرض الله علينا أو شرع لنا منظم ودقيق وخاضع لترتيب معين .

والأمثلة علي ذلك أوضح من أن أتحدث فيها :

فالصلاة لها نظامها وترتيبها ولا يجوز الإخلال بها عمدا وإلا فسدت .

وهكذا الصوم والزكاة والحج بل سائر الأعمال.

والجهاد في سبيل الله له نظامه وآدابه لا يجوز الإخلال بها بحال ، وإلا أثم هذا المخل بهذا النظام.

وفي الأمور العادية كتناول الطعام والشراب واللبس والركوب والقيام والقعود والسفر والاقامة ، بل قضاء الحاجة ، كل ذلك خاضع لنظام وترتيب وله سنن معروفة لا يشذ عنها إلا مقصر في حق دينه ونفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه ، وذلك أن كل نظام وضعه الإسلام ، فإن فيه مصلحة للفرد ومصلحة للمجتمع ، أي فائدة للمعاش وللمعاد.

النظام أساس لكل عمل في الإسلام ، والمسلم مطالب بأن يتبع هذا النظام ويلزمه ويلتزم به في صغير أموره وكبيرها.

والأخ المسلم في ظل منهج التربية للجماعة عليه أن يكون منظما في شئونه كلها ، وأبرز هذه الشئون ما يلي :

أ- أن يكون منظما في عمله فلا يهمل ولا يكسل ولا يؤخر عمل الساعة إلي التي تليها فضلا عن اليوم الذي يأتي في الغد.

ب- وأن يكون منظما في نومه ويقظته فلا يطغي هذا علي ذاك ، ولا ذاك علي هذا ، بل يلتزم السنة النبوية في كليهما.

جـ- وأن يكون منظما في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، فلا إسراف ولا تقتير ولا إهمال ولا تباهي ، دائما أدب الإسلام وأخلاقه في كل الأمور.

د- وأن يكون منظما في توزيع أوقاته علي واجباته العامة والخاصة فيعطى لكل واجب وقته الملائم له وفرصة الأداء والإحسان لأن الإسلام أوجب علي كل من يقوم بعمل أن يحسنه .

ولا ينبغي تقصير في واجب علي حساب واجب ، فقد كان في تاريخ الجماعة أفذاذ استطاعوا أن يوائموا بين واجباتهم الشخصية وواجبات العمل الإسلامي فأدوا هذا وذاك علي أكمل صور الأداء.

ولقد تميزت الجماعة في ماضيها الذي نتكلم عنه بانضباط لافت للنظر في الأداء بالنسبة لأعداد كبيرة من الأفراد وأعداد كبيرة من المسئولين ، ولعل ذلك هو الذي يبرر به أي مراقب للجماعة سرعة انتشارها وتعدد شعبها في مصر وفي العالمين العربي والإسلامي ، كان ذلك لأن كل واحد من الأفراد كان منظما في شئونه.

أن يكون نافعا لغيره :

ومنطلق هذه الصفة أن يكون محبا للخير للناس جميعا ، لأن حب الخير للناس أفضل نفع لهم في حياتهم .

والمسلم مطالب بأن يفعل الخير دائما ، قال الله تعالي ﴿ **يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[١] فهو مطالب بأن يفعل الخير عموما في التعامل مع الله ومع نفسه ومع الناس ، والله سبحانه يقول : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره** ﴾[٢] ويقول سبحانه : ﴿ **وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** ﴾[٣] .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقي أخاك بوجه طليق » .

وروى مسلم أيضا بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مر رجل بغصن شجرة علي ظهر طريق فقال : والله لانحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأدخل الجنة » .

وروي أيضا عنه بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة » .

روي البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

---

(١) سورة الحج : ٧٧.   (٢) سورة الزلزلة : ٧.

(٣) سورة البقرة : ٢١٥.

ورويا أيضا بسنديهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع :

أمرنا :

بعيادة المريض ،

واتباع الجنائز ،

وتشميت العاطس ،

وإبرار المقسم ،

ونصر المظلوم ،

وإجابة الداعي ،

وإفشاء السلام ،

ونهانا عن :

خواتيم أو تختم بالذهب ،

وعن شرب بالفضة ،

وعن المياثر الحمر – وهي شئ يتخذ من حرير ويُحشى قطنا . . . »

وعن القسي ،

وعن لبس الحرير ،

والإستبراق ،

والديباج .

وأي نفع للمسلمين أعظم من أن يمارس المسلم معهم هذا الذي أمر به الإسلام أو حبب فيه ؟ أو يساعدهم علي تجنب ما نهي عنه ؟

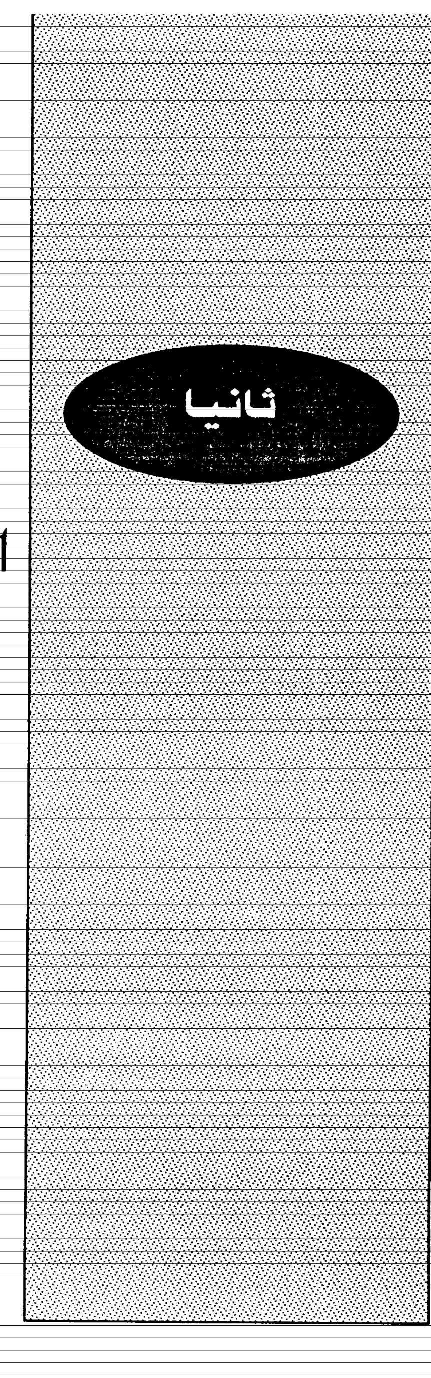
وشأن الأخ المسلم أن يكون نافعا لكل من يتعامل من الناس :

نافعا لأخيه في الله .

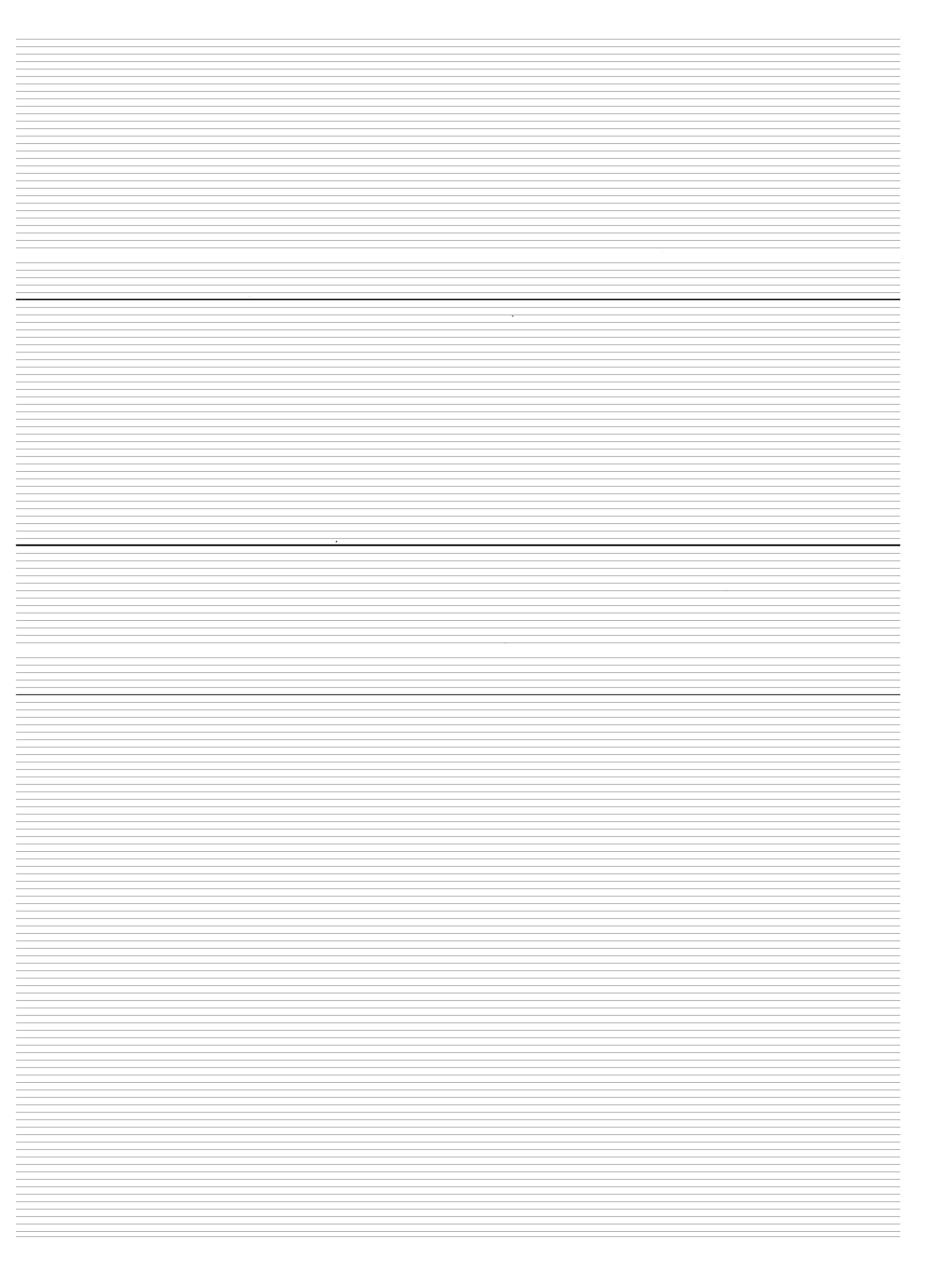
نافعا لدعوته يقوم بواجباتها دون أن يطلب منه ذلك فضلا عن أن يلح عليه أحد فيه .

نافعا للناس عموما لأن هذا أدب الإسلام وخلقه والتطبيق العملي لمنهجه ونظامه .

هكذا يعد المنهج التربوي للجماعة الفرد إعدادا إسلاميا ، وهكذا تتضح مفردات المنهج في تحقيق هذا الهدف .



إعداد البيت المسلم



ثانيا

إعداد البيت المسلم

وقد جاء في وثائق الجماعة عن تفصيل هذا الإعداد ما ذكره الإمام المؤسس في رسالة التعاليم - في ركن العمل - وهو يحدد واجب الفرد المسلم المنتمي للجماعة في قوله :

« وتكوين البيت المسلم

بأن يحمل أهله علي احترام فكرته ،

والمحافظة علي آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية .

وحسن اختيار الزوجة ،

وتوقيفها علي حقها وواجبها ،

وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم علي مبادئ الإسلام .

وذلك واجب كل أخ علي حدته كذلك ».

ولنلق ضوءا علي كل مفردة من مفردات تكوين البيت المسلم ، فنقول :

إن البيت المسلم نواة للمجتمع المسلم ثم الأمة المسلمة ، وإن هذا الهدف للمنهج التربوي للجماعة ليعد من أهم الأهداف ، طالما أن البيت هو اللبنة الأولي للمجتمع ، وبقدر ما تكون هذه اللبنة قوية صلبة بقدر ما يكون المجتمع متماسكا قويا صلبا.

فكيف يكوّن الأخ المسلم بيتا مسلما ملتزما ؟ وما هي مفردات هذا البيت أو أجزاؤه التي يتكون منها بناؤه ؟

إنها كتلك جملة صفات الفرد المسلم الذي يكوّن البيت المسلم ، وإذا اتصف بها البيت المسلم نفسه ، فقد تكونت اللبنة القوية في بناء المجتمع ، وأبرز هذه الصفات كما أوضحها المؤسس هي :

أن يحمل أهله على احترام فكرته :

وأهل الرجل زوجته أولا ، وقد يدخل في معني الكلمة الأولاد ومن يرعاهم في بيته ، وعلي الأب أن يكون مع أهله علي الصورة التي تحملهم علي احترام فكرة الإسلام وقيمه ، وآدابه ، وأن يكونوا مع رب البيت وإلي جانبه فيما يدين به من مبدأ وما يحترمه من نظام ومنهج ، وأن يكون هو علي مثل إيمانه وحماسه للعمل من أجل دعوة الله .

فكيف يستطيع ذلك ؟

أ- أن يلتزم بالعمل من أجل دعوته ويقوم بكل متطلباتها في حياته المنزلية وأهله يرون ويسمعون ، فيحسون أن عائلهم كما يعيش بينهم مؤديا واجبه نحوهم فإنه كذلك يؤدي واجب العمل الإسلامي ولا يقصر في شيء منه.

ب- وأن يعطي دعوته من وقته وجهده وماله ما تسمح به ظروفه علي مشهد من أهله ، ليسهل عليهم الشعور بشعوره نحو دعوته ونحو العمل الإسلامي كله .

جـ- وأن تكون معاملته لأهله معاملة رجل الدعوة أي المعاملة الإسلامية الصحيحة التي تعترف لكل صاحب حق بحقه وتؤديه له بنفس رضية ملتزمة بالحق والواجب.

وعلي سبيل المثال فإنه لا يستطيع أن يجعل أهله يحترمون فكرته وهم يرونه علي أي قدر من التقصير في التمسك بآداب دينه وقيمه كأن يروا فيه تخليا عن بذل المعروف والخير ، أو ملبسا بشر أو حسد أو حقد علي أحد من الناس .

وإن الزوج الذي لا يعطي لأهله كامل حقوقهم بروح سمحة ونفس رضية لا يمكن أن يجد أهله معه علي طريق الحق والدعوة .

وإن رب البيت الذي لا يمد أهله ما بين الحين والآخر بالزاد الروحي

الإيماني، والزاد المعرفي الثقافي ويحدثهم في أوقات يقطعها من وقته لهم يحدثهم فيها عن دعوته وهمومه فيها وهموم العالم الإسلامي وواجبه وواجبهم نحو كل هذا ، فإنه سريعا ما يشعر أن أهله قد انفصلوا عن دعوته انفصالا شعوريا في أول الأمر ثم انفصالا حقيقيا بعد ذلك ، ثم يصبحون معوقات له هو عن المضي في ركب الدعوة.

وإن الجماعة قد دأبت منذ نشأتها علي أن تجعل للأخوات المسلمات نشاط يجعلهن قادرات علي مواكبة ركب الدعوة مع الإخوان ، حتي إذا أصبحت زوجا ثم أُمًّا أمكنها أن تتفهم بدقة واجبات الزوج والابن في العمل للإسلام ، وقد كان المتبع أن يصل الأخ أهله بالأخوات وأن يصل ابنه وبنته بالأقران والقرينات ، ليهيئ لهم جميعا الجو الإسلامي النقي الذي يفتح أمامهم طريق العمل للإسلام واحترام الفكرة الإسلامية .

إن احترام الأهل للفكرة ليس كلمات تقال ولا دعاوي تدعى ، وإنما عمل والتزام يستوجب كثيرا من الأمور أهمها :

أ- الالتزام بالآداب والأخلاق الإسلامية .

ب- والبذل والتضحية من أجل العمل للإسلام.

جـ- وبث أفكار الإسلام وآدابه في الأقران والجيران والأصدقاء وكل من يلقون من الناس .

د- ومعاونة رب العائلة في أداء واجبه نحو الدعوة إلي الله ونحو العمل الإسلامي في موقعه الذي يشغله.

هـ- وتبني الأفكار والمبادئ والبرامج التي تدعو إليها الجماعة والعمل وفقها بإخلاص وتجرد.

كل هذه الصفات في صالح البيت وفي صالح أهل بيته ، وتوفر هذه الصفات والحرص عليها هو الذي يمكن المسلمين من أن تقوم لهم قائمة وأن يعودا إلي ما كانوا عليه من تقدم وتفوق ، وأما بغير ذلك فما أبعد المدى وما أصعب الوصول إنه محاولة لقطع طريق طويل بلا زاد ولا راحلة ، وهل يفعل ذلك العقلاء من الناس ؟ .

إن أعداءنا ما استطاعوا زحزحة المسلمين عن دورهم الإنساني الحضاري الذي قادوا به الدنيا فترة غير قصيرة من الزمان إلا بعد أن وجهوا ضرباتهم لبيوتنا المسلمة فأفسدوا النساء بدعوى الحرية والتحرر من الملبس والخلق ففسدن، وبعد ذلك فسد الأبناء وتراجع المسلمون عن دورهم الحضاري ، إن ذلك تلخيص وتركيز للقضية في كلمات.

المحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية :

إن الحياة المنزلية إذا اصطبغت بصبغة الإسلام ، أسهمت بقدر كبير في تنشئة جيل مسلم صالح ، تتفتح عيونه علي الإسلام نظاما وسلوكا وشكلا وموضوعا في البيت الذي ينشأ فيه ، وإن ذلك لأفعل مئات المرات من أن ينشأ في بيت لا تسوده الصبغة الإسلامية ثم توجه إليه ألوف العظات والمحاضرات.

وإن مظاهر الحياة المنزلية تتمثل في أمور بسيطة ولكنها مؤثرة ، ومن أبرزها:

- الأثاث الذي يستخدم في البيت ،
- والأواني المستعملة فيه ،
- والكماليات ووسائل التجميل ،
- وآداب النوم واليقظة والدخول علي الآباء ،
- وآداب الطعام والشراب ،
- وآداب الكلام والسؤال والحوار ،
- وآداب التعامل مع الإخوة والأكبر سنا والأصغر سنا ،
- وآداب التعامل مع الخدم والعاملين في البيوت .

فإذا أخذت كل هذه الأمور الصبغة الإسلامية المشروعة لها ، فإن البيت ومن فيه يسهمون إسهاما ضخما في بناء مجتمع إسلامي جيد .

وإن أي تهاون في شيء من ذلك في البيت ينعكس أثره بشكل مباشر علي أنفس أهل البيت ثم علي أخلاقهم وسلوكهم في الحياة ، وعلي سبيل المثال فإن الإسراف في تغيير أثاث البيت وأوانيه وكمالياته ، ربما كان دافعا لأهل البيت بشكل غير مباشر علي أن يسلكوا في حياتهم سلوكا لا يقره الإسلام في أي جانب من جوانب حياتهم ، ولو كان تقتيرا لا إسرافا ، لأنه ألف عدم

الالتزام بآداب الإسلام في بيته .

وعلي وجه اليقين فإن عدم تطبيع أهل البيت علي خلق الإسلام في النوم واليقظة وأدب الدخول علي الآباء من قبل صلاة الفجر وفي الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء - كما رسم الإسلام هذه الأبعاد بدقة وجدية - يؤدي بالضرورة إلي سلبيات وسوء أخلاق في أهل البيت ، واستهتار بالقيم وبالواجبات ، فإذا ما شبوا وخرجوا يمارسون حياتهم في المجتمع كانوا علي قدر من التسيب هو الذي تشكو منه المجتمعات الإسلامية اليوم ، وهو الذي أدي بها إلي ضعف الإنتاج وعدم الإكتفاء الذاتي والغرق في ديون الأعداء ، ما أبالغ والله ولكن ذلك نتيجة لهذا عند من يتدبر ويربط النتائج بأسبابها.

وكذلك الشأن إذا حدث تهاون في أدب الطعام والشراب ، لأن الإسلام وضع منهجا ونظاما وأبدي أهمية كبري وسن آدابا ألزم بها في الطعام والشراب، فإذا حدث في ذلك تهاون فإن أقل نتائج هذا التهاون ضررا وشرا أن يشب الأبناء بعيدين عن التأدب والتهذب والالتزام ، وبيان ذلك صراحة أن الطعام يتكرر في اليوم ثلاث مرات في غالب الأحيان ، فإذا ما شعر أهل البيت بأن هذا العمل متكرر أكثر من مرة في اليوم له الآداب التالية :

أدب قبل تناول الطعام يستوجب غسل اليدين والتسمية .

وأدب في الجلوس علي الطعام ،

وأدب في بدايته ،

وأدب في تناوله ،

وأدب في أثنائه ،

وأدب في النظر إليه ،

وأدب في الاكتفاء منه ،

وأدب في حمد الله عليه ،

إذا ما شعر أهل البيت المسلم الملتزم أن كل تلك الآداب حول الطعام والشراب فإن ذلك يجعلهم جديرين بأن تتكون فيهم أحسن العادات ، بل

يقوى فيهم الإيمان بالله سبحانه ، فينعكس ذلك علي كل عمل يقومون به ، ويتساءلون دائما في كل أعمالهم عن أدب الإسلام في هذه الأعمال ، لأنهم نشئوا علي ذلك .

النشأة في بيت مسلم ملتزم تفعل في نفوس أهله ما لا يفعله السلطان .

وليس شأن الكلام والسؤال والحوار بأقل من شأن الطعام والشراب ، فإن الإسلام شرع للكلام نظاما وأدبا ،

وشرع أدبا للسؤال والاستفهام ،

وأدبا للتعبير عن الرأي ،

وأدبا لاحترام الرأي الآخر ،

وأدبا للاختلاف في الرأي ،

وأدبا في الإعراض عن بعض الكلام ،

وأدبا في مجلس العلم ،

وأدبا في رفع الصوت أو خفضه ،

وأدبا في التعصب للرأي ،

وأدبا في انتقاء الألفاظ ،

ولو التزمنا بأدب الإسلام في ذلك لشب أبناؤنا وأهلونا علي أدب الإسلام في كل شيء ولتخلصنا من الكثير الكثير من عيوبنا الاجتماعية .

إن الأبناء يتعلمون أحيانا أسلوب مقاطعة المتحدث من مذيع أو مذيعة متحذلقة لا تعرف شيئا عن أدب الحديث فتقاطع ضيفا استضافته لشأنه الكبير وتوشك أن تفرض عليه ما يقول وهي تعلم بذلك أنها تنافق المسئول عنها وتتملق رؤساءها ومع ذلك تقتحم علينا بيوتنا وأهلنا ، وتفسد علينا أخلاق بيوتنا والأعجب من كل هذا أنها تؤجر أجرا علي هذا الإفساد لأخلاق الناس ، لكم شعرنا أنها تملك وحدها حق الكلام وحق الرفض وحق فض الحديث ، وتتنجح ولا تدري وتتألق ويعلو نجمها وكل رصيدها الذي تملكه هو «الميكرفون» !!!.

أي قيم يأخذها أبناؤها وأبناؤنا من هذا الإسفاف ؟.

وكذلك الأمر في التعامل مع وسائل الإعلام كلها بالنسبة لرب البيت المسلم من مذياع وتلفاز وصحيفة ومجلة وكتاب ، إذ ليست هذه الوسائل شرا في ذاتها - كما يتوهم بعض الناس - وإنما تستطيع أن تقدم للمجتمع ما ينفعه حقا، ولكن إذا قام عليها المتأدبون بأدب الإسلام ، القادرون علي غرس الفضائل والقيم الرفيعة في نفوس المشاهدين والسامعين والقراء.

إن وسائل الإعلام في معظم بلدان العالم الإسلامي أبواق للحكام تردد ما يرغبون فيه وتحارب ما يكرهون ، حتي لو كرهوا الحق ، وحتي لو رغبوا في الفساد ، إنها أجهزة الحكام وموظفوا الحكام ، ومن لم يصدق فليرني أي وسائل إعلام في أي بلد إسلامي تعطي المواطن حقه في الإعلام ؟.

إن الحديث ذو شجون . . . وإن كثيرا من وسائل الإعلام في بعض بلدان العالم الإسلامي لم تستحِ أن تسب اليوم من كانت تكيل له المديح بالأمس ، وأن تجرم العمل اليوم وتشيد به غدا !!!

كل رب أسرة مطالب أمام الله أن يرشد تعامل أهله مع وسائل الإعلام . وألا يأخذ من هذه الوسائل إلا ما هو متأكد من نفعه لنفسه وأهل بيته ، مهما كان قليلا إنه إن يفعل فقد أسهم في بناء بيت مسلم ملتزم بالإسلام يمثل لبنة قوية في بناء المجتمع الذي تتعلق به آمال المسلمين .

وهكذا نجد للإسلام أدبا في كل شيء داخل البيت ، وعلي سبيل المثال كذلك ، فإن لتعامل الكبار مع الصغار أدبا .

وفي تعامل الصغار مع الكبار أدبا ،

وفي التعامل مع الخدم أدبا ،

وفي التعامل مع كل من في البيت أدبا خاصا ،

وكل ذلك خاضع لمنهج ونظام لا يجوز التخلي عنه ولا التساهل فيه أو في شئ منه سواء أكان ذلك التخلي أو التساهل تقصيرا أو تقليدا لبعض العادات الوافدة علينا من بلاد غير المسلمين ، لأن ذلك هدم حقيقي لشخصيات أبنائنا

وأهلنا وإغراق لنا ولهم في التبعية المنظورة أو غير المنظورة لأعدائنا ومن يكيدون لنا الكيد كله لنبعد عن أدب الإسلام ، ثم هو في النهاية تأخير متعمد لتكوين المجتمع الإسلامي فالأمة الإسلامية فالدولة الإسلامية ، فنظام المسلمين العالمي الذي يحمل عبء إسعاد البشرية كلها في ظل منهجه ونظامه ، كما كان حاملا لهذا العبء زمنا غير قصير في تاريخ الإسلام .

حسن اختيار الزوجة :

لهذا الاختيار أكبر الأهمية وأعظم الأثر في بناء البيت المسلم ، لذلك كان هذا الاختيار من الصفات البارزة في الفرد المسلم الذي يريد أن يبني بيتا مسلما، ذلك أن البيت وما يسوده من قيم وآداب وعادات وعلاقات تكون المرأة فيه أقدر علي إقرار هذه القيم والآداب والعلاقات والعادات ، أو نفيها من حياة البيت ، فهي أكثر ملازمة للبيت من الرجل - في غالب الأحيان - وهي التي تهيئ البيت وتشرف عليه ويعد مملكتها الخاصة في حقيقة الأمر.

فإذا أضفنا إلي ذلك أن المرأة هي تحضن الأطفال وتربيهم وتؤثر فيهم قبل ذهابهم إلي المدرسة بأكثر مما يؤثر الأدب ، لأن مجال حركة الأب في البيت وملازمته له ولمن فيه أقل كثيرا من مجال حركة المرأة فيه وملازمتها له ، ومن هنا تكون المرأة ذات خطر بالغ في البيت ومن فيه .

وإذا كانت المرأة هي التي تحدد بسلوكها وأخلاقياتها علاقاتها بالأقارب والجيران والأصدقاء ، فإن ذلك يضاف أيضا إلي فاعليتها وأهميتها في حياة الأسرة .

ثم إن المرأة هي المسئولة عن استقرار البيت وسعادته ابتداء من الزوج وانتهاء بأي أحد في البيت ، وبالتالي يتبين لنا ما ينبغي أن يكون عليه الأمر في التدقيق الشديد في اختيارها لتدبر هذه المملكة.

ومن أجل هذا كله فإن الإسلام حدد أسلوبا وطريقا لاختيار الزوجة الصالحة لإدارة البيت المسلم ، بل وضح صفاتها ومايز بَيْن هذه الصفات ، وجعل في قمتها صفة التدين - والتدين في حقيقته هو مراعاة للواجبات وأداء لها ، وخوف من الله والتزام بمنهجه كما أنه حب لله والتزام بمنهجه - ومن كانت هذه صفتها فهي الأقدر علي إدارة البيت المسلم إدارة واعية تعرف حدود الحقوق والواجبات وتجيد الالتزام بالقيم والآداب الإسلامية.

إن ذات الدين وحدها هي القادرة علي ذلك استجابة للمنهج الذي شرعه الله وحدد فيه الحقوق والواجبات تحديدا عادلا.

إن ذات الدين هي التي تعرف واجب الزوجة نحو زوجها ويسعدها أن تقوم به طمعا في رضا ربها ، وخوفا من مخالفة منهجه وإن الزوج الذي يحظى بذات الدين هو الزوج السعيد الهانئ المعان بهذا البيت المسلم علي أن يؤدي واجباته نحو ربه ونحو دعوته ونحو بيته ونحو الناس جميعا.

إن ذات الدين وحدها هي التي تعرف كيف تؤدي واجب الأم نحو أبنائها برضى وسعادة فضلا عن الفطرة التي تحكم كل أم ، إن غير ذات الدين تتحاكم في هذا إلي فطرتها ، وكثيرا ما تفسد هذه الفطرة عند بعض النساء نتيجة لتربية غير موفقة أو نتيجة لغير ذلك من الأسباب ، فإذا كانت هذه الفطرة قد فسدت أو قاربت الفساد فإن الأبناء ضائعون لا محالة ، لأن حاجة الأبناء وبخاصة في طفولتهم إلي الأم التي تعرف واجباتها نحوهم أكثر من حاجتهم إلي أي شئ آخر، أما ذات الدين فلو تعرضت فطرتها لعوامل الفساد - وما أكثر هذا في مجتمعاتنا المسلمة المتفلتة من قيم الإسلام - فإن دينها والتزامها المنهج سريعا ما يردها عن انحراف الفطرة ويعيدها إلي سواء الصراط .

وإن ذات الدين وحدها هي التي تجيد المحافظة علي شرف البيت المسلم وأخلاقياته لأنها تعرف حدود ما أَحَلّ الله لها وما حرم عليها ، وما حبَّب فيه وما كرّه ، فدينها يعصمها دائما من أن تَّضِل أو تُضَل أو تجهل أو يجهل عليها، فهي من خلال الدين مطالبة بالتحلى بمحاسن الأخلاق والتخلى عن مساوئها وسفّافها ، وإن البيوت ما تشقى وتبتئس بشيء مثل ما يشقيها ويبئسها أمٌّ ضالة أو مضلة أو تافهة فضلا عن أن تكون حمقاء تخدع عن الحق بالباطل .

إن ذات الدين وحدها هي التي تحافظ علي مال البيت فلا تنفقه إلا في وجهه ولا تمسكه إلا حين يجب إمساكه ، لأن الدين علمها ذلك ، علمها العيش والإنفاق في غير سرف أو مخيلة ، كما علمها أن هذا المال فيه حقوق لغير أصحاب البيت ، فهي تحرص علي أن تؤدي هذه الحقوق لأصحابها غير ضنينة بها ولا مقصرة ، إنها بذلك تضبط الإنفاق بضباط عدم الإسراف وعدم

التقتير ، وترتب لبيتها استقرارا ماليا يستطيع أن يواجه الظروف الطارئة لبيتها مواجهة رشيدة .

إن معيار الدين والتدين في اختيار الزوجة هو أهم المعايير ، فإن اجتمع معه توفر الجمال أو المال أو الحسب ففضل من الله ونعمة ، أما أن يكون معيار الاختيار هو الجمال أو المال أو الحسب أو كلها مجتمعة دون الدين ، فإن كل تلك الصفات أعراض وأشكال سريعا ما تذهب لأنه لا يوجد دين يحافظ عليها.

وإن جمال الشكل قد يطغي عليه قبح الجوهر ، وقد يجر - إذا لم يكن هناك دين - إلي معاصي وآثام ، وإنه قد يزول لسبب أو لآخر .

وإن المال قد يذهب به السفه والتباهي والإسراف والمخيلة ، إذا لم يكن معه دين ، وإن الحسب قد يضيع ويمحى في وسوسة شيطان بالتعالي والكبرياء علي الناس ما لم يكن معه دين يعصم من هذه الشرور.

إن اختيار الزوجة وفق معيار الدين والتدين يعني أن الرجل قد أحسن اختيار زوجته وأم أولاده ومدبرة بيته ومرشدة أبنائه إلي طريق الخير ، وبهذا يكون قد أسهم في تكوين بيت مسلم.

إن ذات الدين أقل اختلافا مع زوجها لأن دينها يعصمها من أن تظلم أو تُظلم ويحول بينها وبين التعصب للرأي فضلا عن الاستبداد وتناسى الواجبات، وإن ذات الدين هي التي تتقرب إلي الله بعملها في بيتها لصالح زوجها وأولادها فتسيطر عليها روح العطاء والرضى ، ولا يخالجها أبدا الشعور بأنها دائما هي التي تعطي كما تتشدق بذلك البعيدات عن الدين والتدين.

وإن ذات الدين هي التي تحظي من زوجها وأولادها وكل من كان في بيتها بالحب والتقدير ، وإذا حظيت بذلك فإنها تكون قد أخذت المقابل الدنيوي المسعد ، وفي انتظار المقابل الأخروي المجزئ علي الالتزام بمنهج الله وأداء واجباتها كاملة غير منقوصة .

إن ذات الدين هي الأمن والأمان والثقة والاطمئنان في البيت المسلم فضلا

عن كونها عونا علي الزمان وما يأتي به الغد .

ولن يكون البيت إسلاميا وقد فرط الرجل في اختيار الزوجة ولم يلتزم معيار الدين فآثر صفة أخرى علي الدين والتدين ، إذ كل تلك الصفات مرجوحة إذا قورنت بصفة التدين ، ولو أنه فعل فقد اختار الغث دون الثمين وآثر المتغير علي المستمر ، وخدعته خضراء الدمن ، وإن النبي ﷺ يدعو بالخير لكل من آثر صفة التدين علي غيرها في الحديث الشريف المعروف الذي جاء في نهايته : « فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

إن ذات الدين هي التي تعين زوجها علي أن يكون له في مجال العمل الإسلامي حضور وممارسة ، لأنها ترى الأمور علي حقيقتها وتعلم أن المسلمين لن تقوم لهم قائمة إذا لم يشاركوا ويتعاونوا علي البر والتقوي ، ولأنها تعرف بدقة أي الأعمال هو الباقي وأيها الزائل ، وأيها الذي يحصل علي الثواب من الله سبحانه وتعالي ؟ .

وفي ختام هذه الصفة : نقول : إن ذات الدين هي التي تمد المجتمع المسلم بالذرية الصالحة التي تلتزم بمنهج الله ونظامه في الحياة ، وتعتز بالانتماء لهذا الدين الذي أكمله الله وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينا .

أن يوقفها على حقوقها وواجباتها :

إن من الأمانة بالنسبة للرجل أن يوقف امرأته علي حقوقها وواجباتها من بداية حياتهما الزوجية ، فالمرأة التي تعرف حقوقها وواجباتها ، فتتمسك بحقها، هي التي تستطيع أن تؤدى واجبها ولا تقصر في شيء منها ، لأن الحياة أخذ وعطاء وحق وواجب ، ومخطئ من يدعي أنه يستطيع أن يعطى ولا يأخذ أبدا أو يؤدي واجباته ويتنازل دائما عن حقوقه ، لأن الحياة الإنسانية لا تستقيم في ظل الادعاء ، لأن تلك سنة الفطرة البشرية السوية في بناء العلاقات الاجتماعية بين الناس.

فما حقوق المرأة وما واجباتها ؟

إن المنهج الإسلامي الذي يقيم البيت المسلم علي أسس قوية راسخة ، هو المنهج الأكثر قدرة علي التجاوب مع ما ينفع الناس في معاشهم ومعادهم ، وهو الذي جعل للمرأة حقوقا وألزمها واجبات وطالبها بأن تعيش حياتها بين هذه الحقوق والواجبات ، وليس هو اجتهادات مجتهدين ولا تملق رجال أو نساء إنه العدل والحق .

وإن من غير المستطاع هنا أن أتحدث عن حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام، فإن لذلك مظانه وأماكنه من الكتب والدراسات ، وهو هناك مبسوط ميسر لكل من أراد أن يقرأ ويعرف ، ولكنني هنا أكتفي بالإشارات واللمحات ، وأري في ذلك مقنعا وكفاية بإذن الله .

وإن حقوق المرأة أو الزوجة في صورة مجملة ، بل غاية في الإجمال علي نوعين :

حقوق معنوية أو أدبية ،

وحقوق مادية .

أ- فمن حقوقها المعنوية :

الحب والتقدير والاحترام ،

والمعاونة في البيت وأعماله ،

والنصيحة المخلصة الهادفة ،

والعدل ، والمشورة ،

والرحمة والحنان ،

كل هذه الحقوق أوجبها الله علي الزوج ، فهي إذن واجبات الزوج المعنوية نحو زوجته إذا قصر فيها فقد خالف المنهج وإن جحدها والعياذ بالله فقد أنكر معلوما من الدين .

ب- ومن حقوقها المادية :

المسكن والملبس والمأكل والمشرب ،

والإنفاق علي ما هي في حاجة إليه دون تعنت منها ودون تقتير من الزوج، لأنها حبست نفسها علي الزوجية والأمومة والبيتوتة ، فلابد أن يكفل لها الزوج هذه الحاجات ، وتلك الحقوق المادية هي بالتالي واجبات الزوج لا يستطيع منها فكاكا ما دام قادرا عليها ، ولا يقبل منه في ذلك تقصير فضلا عن جحد ونكران ما دام الزوج مسلما حريصا علي رضا الله تبارك وتعالي .

فإذا كانت المرأة تعمل خارج بيتها في عمل يناسب المرأة المسلمة ويقره الإسلام وتكسب من هذا العمل ، فإن عملها وكسبها لا يفقدها حقوقها المعنوية أو المادية كما أنه لا يعيطها القوامة علي الرجل بما تنفق من مال ، وإنما يجب أن يكون بين الزوجين تفاهم علي العمل وعلي الأجر الذي يأتي من العمل ، تفاهم رائده إرضاء الله تبارك وتعالي بإحقاق الحق والعدل ورفع الظلم ، لأن ذلك هو الذي يجعل الحياة الزوجية قائمة - كما أراد الله - علي المودة والرحمة.

وأما واجباتها في صورتها المجملة كذلك فهي علي نوعين :

واجبات معنوية أدبية ،

وواجبات مادية .

أ- فمن واجباتها المعنوية :

طاعة الزوج في غير معصية لله .

ورعايته ورعاية الأولاد ،

والمحافظة علي المال والأمانة فيه ،

ومعاونة الزوج علي فعل الخير ،

وحسن التعامل مع أقارب الزوج ،

وهذه الواجبات هي في ذات الوقت حقوق للزوج عليها ، لا تستطيع أن تقصر فيها فضلا عن أن تجحدها أو تنكرها ما دامت المرأة تؤمن بالله واليوم الآخر .

ب- ومن واجباتها المادية :

واجب الزوجية ،

وأن تسره إذا نظر إليها أي تتجمل له ،

وأن تحفظه في ولده وماله إذا غاب عنها ،

وأن تطيعه إذا أمرها في غير معصية - كما قدمنا .

وأن لا تدخل بيته أحدا إلا بإذنه .

وهذه هي نفسها حقوق الزوج عليها ، ولا يقبل منها في ذلك تقصير أو إهمال فضلا عن جحد ونكران ما دامت تؤمن بالله واليوم الآخر .

وعند التقصير أو الإهمال في هذه الحقوق والواجبات من أي طرف منهما يكون النصح والتذكير بمنهج الله ونظامه ، فإن لم تكن استجابة لذلك كان التحكيم بينهما بحكمين من أهله وأهلها ، وعلي المقصر منهما أن يتحمل تبعة هذا التقصير أمام الله .

فإذا استحالت بينهما الحياة الزوجية لأسباب تقبلها الشريعة ، كان لابد من اللجوء إلي أبغض الحلال عند الله وهو الطلاق ، فإن الإسلام إنما شرع فيه

الطلاق لهذه الأسباب ، فإذا تم الطلاق فإن لها حقوقا معروفة يجب أداؤها إليها ، إلا أن تتنازل عنها لسبب من الأسباب.

والتوسع في الحديث عن الزوجية وما يحيط بها وما يترتب عليه - كما قلت آنفا - مبسوط في كتب الفقه الإسلامي .

ويكفي المرأة المسلمة فخرا بدينها واعتزازا بتكريمه لها ، أن الشريعة لا تسمح لها بعد الزواج أن تتسمي باسم عائلة زوجها وتتجاهل من أنجبوها - كما هي حال المرأة المتحضرة جدا في الغرب - إن الإسلام يحترم كيانها وشخصيتها ولا يسمح بأن تذوب في الزواج فتنتمي إلي غير أبيها.

وبحسبها فخرا بدينها أنه احترم ذمتها المالية وأعطاها حق التملك والإرث والتجارة ولم يحولها إلي تابعة ذليلة لا تملك بل تكون ملكا لزوجها - كما هو مشاهد في نظم المرأة في الحضارة الغربية التي لا تورثها ولا تعترف لها بذمة مالية.

وبحسبها كذلك أن الإسلام جعل البر بها واجبا علي الأبناء قبل بر الأب أو أكثر من بر الأب فكرمها بذلك أما ، وأنه أوجب رعايتها أختا علي أخيها الذكر، وأوجب رعايتها وحسن تربيتها بنتا علي أبيها.

إن الأخ المسلم مطالب شرعا بأن يوقف زوجته علي حقوقها وواجباتها وألا يمطلها شيئا من ذلك ، وأن يساعدها في أداء واجباتها.

وما بين الحقوق والواجبات قد يكون بين الزوجين تسامح وتغاض ، وهذا ما يوجبه الدين وترضاه الأخلاق الإسلامية ويجزي الله عليه أحسن الجزاء.

حسن تربية الأولاد والخدم
وتنشئتهم على مبادئ الإسلام

إن الأولاد زينة الحياة الدنيا ، وهم مع ذلك أمانة عند الآباء ، أمَّنهم عليها الله سبحانه ، وأوصاهم بهم خيرا .

وأوجب علي الآباء نحو أبنائهم :

- حسن اختيار الأم - كما قدمنا - ،
- وحسن اختيار الاسم عند الميلاد ،
- والإنفاق عليهم ،
- وتربيتهم وتعليمهم ،
- وتزويجهم - أي تزويج البنين إذا كان الأب قادرا علي ذلك - .

قال الله تعالي : ﴿ **وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ [(١)].

وقال عز وجل : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها** ﴾ [(٢)].

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي عبد الرحمن ثوبان بن بجدل مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل دينار ينفقه علي أصحابه في سبيل الله ».

وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » .

وروى البخاري بسنده عن أبي حفص عمر بن أبي مسلمة ربيب رسول الله ﷺ قال : كنت غلاما في حجر النبي ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصفحة

---
(١) سورة البقرة : ٢٣٣ .
(٢) سورة الطلاق : ٧ .

فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك » فما زالت تلك طعمتي بعد .

روي أبو داود بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

وإن الأبناء - في الغالب - ليتخلقون بأخلاق الآباء منذ نعومة أظفارهم ، وهذا يوجب علي الآباء ألا يتساهلوا في شئ مما يجب أن يتحلوا به من آداب الإسلام ولا في شئ مما يجب أن يتخلوا عنه مما نهي الله عنه.

وإن تربية الأبناء تبدأ في وقت مبكر بل مبكر جدا منذ وعيهم بما يدور حولهم ، واستيقاظ حواسهم وإدراكها لما يحيط بها . فإذا استطاع الآباء - الأب والأم - أن يصونوا عيون أبناء عن كل ما لا يجوز لمسلم أن يطلع عليه ، وأن يصونوا آذانهم عن كل ما لا يجوز الاستماع إليه ، وأن يصونوا ألسنتهم عن كل ما لا يجوز للمسلم أن يتكلم به ، فقد أحاطوهم بالبيئة الإسلامية الصالحة منذ هذا الزمن الباكر من أعمارهم الذي يتشكل فيه سلوكهم ، وينطق اللسان وتسمع الأذن وتألف العين.

فإذا ما قصر الأباء في ذلك فقد خالفوا الله إذ لم يقوموا بواجب من استرعاهم الله ، وقد ضيعوا أبناءهم فساء سلوكهم وما يعلمون ، وربما كان الآباء أول من يعانون من هذا السوء .

إن تعليم الأبناء الصدق والأمانة وسائر الفضائل لا يكون بموعظة ، وإنما يكون بقدوة أي يروا الآباء متحلين بهذه الفضائل ، لا يتساهلون في شيء منها أبدا .

وإن اصطحاب الأبناء إلي المسجد - ابتداء من قدرتهم علي ضبط أنفسهم وقبيل دخول المدرسة - وتعويدهم علي ذلك ، وتنبيههم إلي أن المساجد بيوت الله وأن لها حرمة وقداسة ، وتدريبهم علي الوضوء وأعمال الصلاة في البيت قبل الذهاب إلي المسجد ، إن ذلك لمن أفضل وسائل طبع الأبناء بطابع هذا الدين الإسلامي العظيم ، وهو تربية إسلامية جيدة.

وإنّ جَمْع الأطفال مع نظرائهم من الأقارب والأصدقاء والإشراف عليهم في رحلة أو نزهة أو زيارة مسجد ، أو زيارة لرجل من العلماء الصالحين ، إن ذلك من خير الوسائل في تأديبهم بأدب الإسلام وتخلقهم بأخلاقه.

وإن تحفيظ الأبناء قدرا من كتاب الله قبل ذهابهم إلي المدرسة ، وإسماعهم قدرا من أحاديث الرسول ﷺ ، مع توضيح مناسب لما غمض عليهم من المعاني والألفاظ ليجذبهم منذ طفولتهم إلي هذا المعين الثرى الذي لا ينضب ولا يخلق علي كثرة الرد ، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، إن ذلك ليجعل هؤلاء الأطفال ضيوفا محبوبين علي مائدة القرآن الكريم والسنة البنوية المطهرة وإن ذلك لهاديهم بإذن الله إلي الصراط المستقيم.

وإن عقد علاقات بين الأبناء في أعمار معينة متقاربة ، وبين بعض الكبار المشغولين بالتربية والتوجيه والإرشاد ليعد من الفوائد الكبري للأولاد ويطبعهم بطابع الإسلام في احترام الكبير وتوقيره وفي الذهاب إلي العلماء وقصدهم ، وإلي توقير العلماء .

وإن التفكير المستمر في أحسن الوسائل التي تجعل هؤلاء الأبناء معتزين بأنهم مسلمون ، فخورين بانتمائهم إلي أكمل دين وأتم منهج لمن واجب الآباء مجتمعين وواجب كل واحد منهم علي حدة.

إن الأبناء يتشكلون في البيوت قبل الذهاب إلي المدرسة ، ومن فاته أن يشكل أبناءه وفق منهج الإسلام ونظامه في هذه الفترة فقد ضيع علي نفسه وعلي أبنائه خيرا كثيرا ، وقد تخلي عن واجب الرعاية فيمن استرعاه الله ، فإن رسول الله ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته :

الإمام راع ومسئول عن رعيته ،

والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ،

والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ،

فكلكم راع ومسئول عن رعيته » متفق عليه .

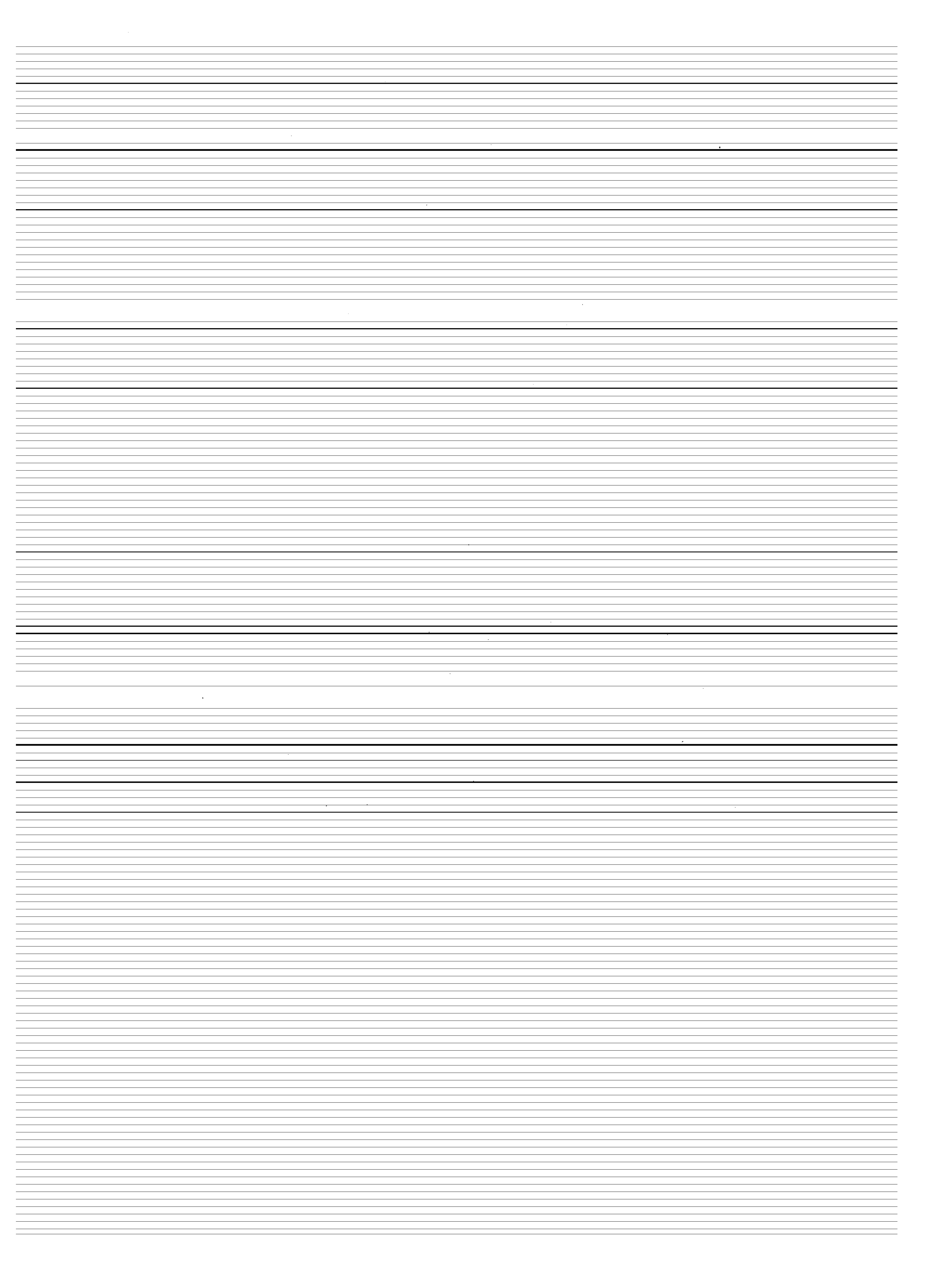
وكل ما يجب علي الآباء من حسن تربية الأبناء وتنشئتهم علي أخلاق

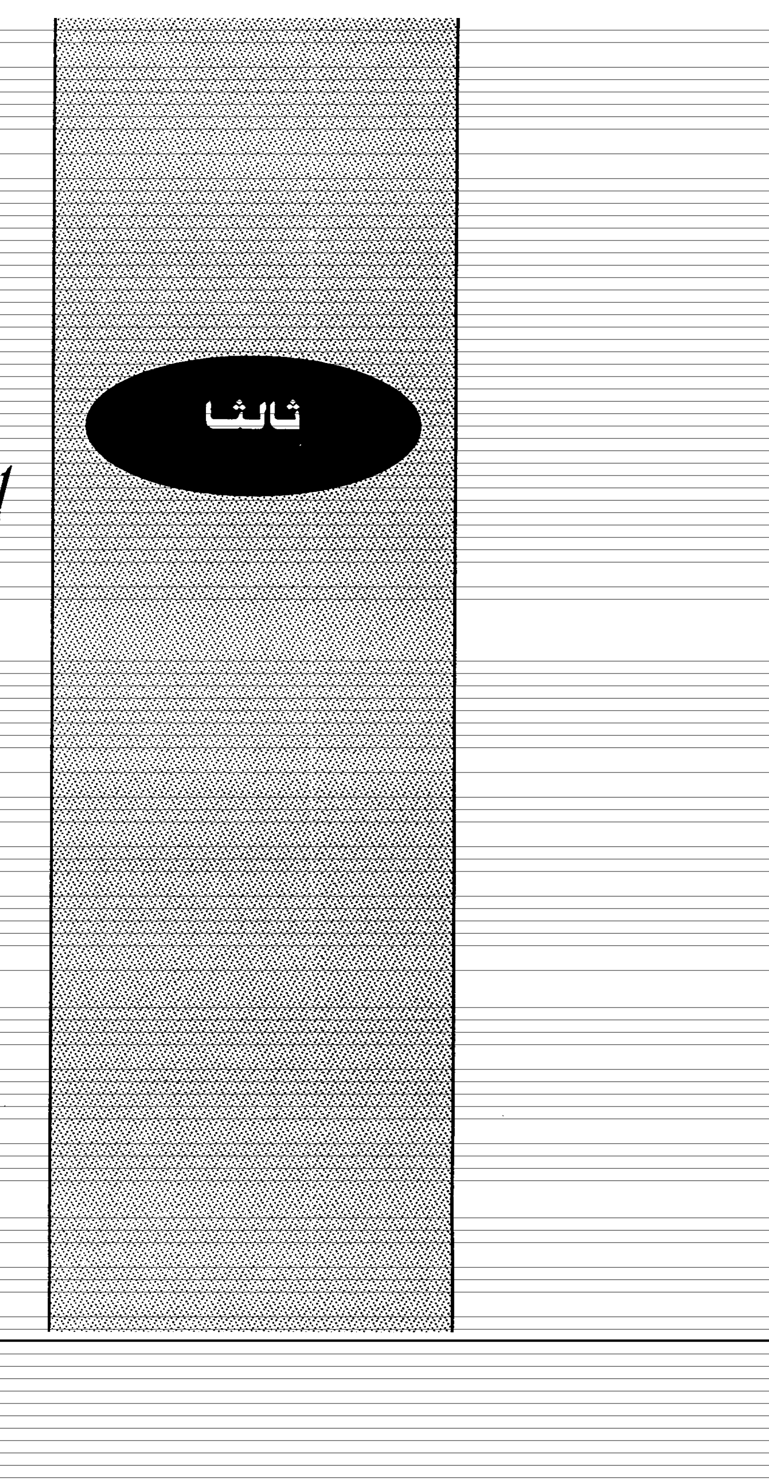
الإسلام وآدابه ، واجب عليهم كذلك نحو كل من يلون أمره ممن يساكنهم البيت من أخ صغير مات والده أو خادم أو عامل في البيت المسلم.

إن تنشئة الأبناء علي مبادئ الإسلام عمل جوهري في مستقبل هؤلاء الصغار وفي مستقبل العمل الإسلامي كله ، لأن الذين ينشئهم آباؤهم علي هذه الأخلاق صغارا هم الذين يستطيعون إذا كبروا أن يعطوا للإسلام والعمل الإسلامي عطاءً إيجابيا فاعلا عندما يحتاج العمل الإسلامي إلي ذلك ، وهو علي الدوام في احتياج .

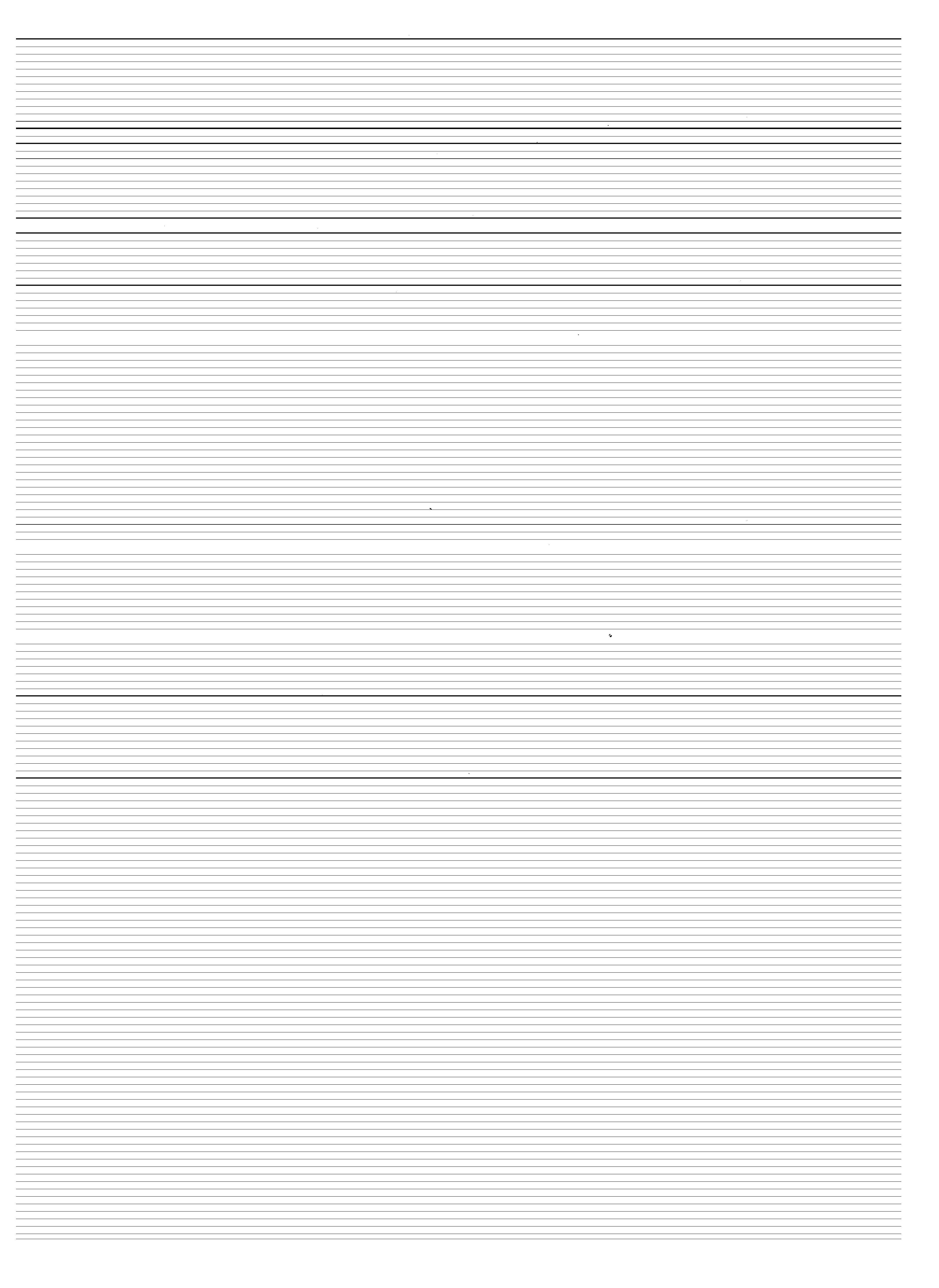
إن المنهج بهذا يستوعب الحاضر والمستقبل ويعتني بالحاضر تخطيطا للمستقبل وما ذلك إلا واحدا من الأدلة علي أن المنهج التربوي الإسلامي في كل مفرداته أعمق وأوسع نظرا وأبعد رؤية من أي مناهج أخري يضعها الناس للناس.

ألا ما أحوج المسلمين اليوم إلي أن يعوا هذه الحقيقة وأن يدركوا أن ما جاءهم من منهج لا يدانيه منهج أو نظام ، إنهم لو أدركوا فعملوا به لكان حالهم غير الحال ولكان عطاؤهم الحضاري الذي سجله لهم التاريخ مستمرا إلي يوم الناس هذا ، أفتراهم يدركون ، وإذا أدركوا أتراهم يعلمون ؟.





إرشاد المجتمع



ثالثاً

إرشاد المجتمع :

هذه المرتبة طور طبيعي من أطوار تكوين الفرد المسلم فالبيت المسلم ، وإنما ركز عليه الإمام المؤسس ، لأن طبيعة العمل فيه ، مختلفة عن طبيعة العمل بالنسبة للهدفين السابقين .

وقد أوضح الإمام المؤسس معالم هذه المرتبة من مراتب العمل وهي إرشاد المجتمع في نقاط أساسية هي :

١- نشر دعوة الخير فيه ،

٢- ومحاربة الرذائل والمنكرات ،

٣- وتشجيع الفضائل ،

٤- والأمر بالمعروف ،

٥- والمبادرة إلي فعل الخير ،

٦- وكسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية ،

٧- وصبغ مظاهر الحياة العامة بالفكرة الإسلامية ،

وذلك واجب كل أخ علي حدته ،

وواجب الجماعة كهيئة عامة »[1].

ولنفصل القول في هذه النقاط أو الأعمال أو الأسس التي يقوم عليها إرشاد المجتمع :

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم . ركن العمل .

نشر دعوة الخير في المجتمع :

دعوة الخير هي دعوة الإسلام ، ودعوة الإسلام تشمل كل خير وتأمر به وكل معروف وتدعو إليه وتطالب به ، وكل ما يعود علي الإنسانية كلها بالخير في الدنيا والأخرة ، وقد جاء ذلك كله في منهجها .

كما أنها دعوة الحق والعدل والإحسان ، وهي قادرة بمنهجها ومبادئها علي أن تحل كل مشكلة في حياة الناس وأن تعالج كل ما يعاني منه الناس في حياتهم الدنيا .

وكما يعني المنهج بالفرد والبيت فإنه يعني بالمجمتع ، وإن المجتمع المسلم الملتزم بالمنهج الإسلامي ليس خيالا - كما يتوهم بعض الناس - وإنما هو حقيقة استطاع المسلمون أن يقيموه في فترات غير قصيرة من تاريخ الإسلام ، وكان مجتمعا متفردا في إحقاق الحق وإقرار العدل ، كما كان متفردا في نشر الدعوة وسُرعة انتشار الإسلام في أرجاء العالم كله ، كان مجتمعا لم يوجد فيه محتاج كما ورد ذلك علي لسان أكثر من وحد من قادة هذا المجتمع .

والإرشاد الحقيقي للمجتمع - أي مجتمع إنساني - هو بنشر دعوة الإسلام دعوة الخير فيه ، ففيها صلاح معاشه ومعاده.

فكيف يكون ذلك ؟ هذا ما سنحاول توضيحه الآن .

إن نشرة دعوة الخير في المجتمع يتطلب معرفة دقيقة واعية لأمرين أساسيين :

الأول :

معرفة ما تشمل عليه دعوة الخير من أمور يجب نشرها في المجتمع .

الثاني :

معرفة وسائل نشر دعوة الخير في المجتمع .

أما معرفة ما تشمل عليه دعوة الخير من أمور يجب نشرها في المجتمع ،

فإننا نذكر منها هذه الأمور ما يلي :

١- عبادة الله وحده لا شريك له ، والاتجاه له بكل قول وبكل عمل استجابة لأمره وابتغاء مرضاته . وعبادة الله - كما أوضحنا - أعم من أداء الفرائض والنوافل بل تشمل كل عمل صالح يقصد به وجه الله .

هذا ما يجب نشره في المجتمع أولا لأن هذا الأساس تقوم عليه أعمال كثيرة.

٢- والقيم الخلقية الفاضلة التي جاء بها الإسلام وهي كل قول أو عمل أو ترك أوجبه الإسلام ، ومفردات هذه القيم أكبر وأوسع من أن تحصي ، ولكن نشير منها إلي هذه المجموعة من الفضائل وهي الصدق والأمانة والنزاهة - طهارة الذمة - والوفاء والعفة والعدل والرحمة والبر بكل أنواعه والإخلاص والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسان ، وأخوات هذه القيم وهي كثيرة مما أمر بها الإسلام لما فيها من قدرة علي تحقيق سعادة الدنيا والآخرة .

ونشر هذه القيم واجب وإنما يكون بما يلى :

أ- التعريف بهذه القيم ،

ب- والتشجيع علي التحلى بها ،

جـ- وأطر الناس عليها إذا لزم الأمر .

وليس النشر مجرد كلام يقال ولكنه عمل وممارسة وأطر علي الحق .

٣- والنظم الإسلامية المتعددة ، فالإسلام جعل لكل شعبة في الحياة الإنسانية نظاما ومنهجا يضمن للناس لو نفذ الفلاح والنجاح وسعادة الدنيا والآخرة ، ولا تشقى الإنسانية في زمان ما أو مكان إلا إذا تنكبت هذا المنهج.

وعلي سبيل المثال فإن للإسلام نظاما في كل شعب الحياة الإنسانية مثل :

أ- شعبة الحياة الاجتماعية ، فللإسلام فيها نظام في كل ماله علاقة بالاجتماع الإنساني مثل :

- نظام التعليم والتربية ،
- ونظام الزواج والطلاق والميراث والوصايا . . الخ
- ونظام العلاقات بين الزوجين والأقارب والأصدقاء والجيران . . الخ
- ونظام العلاقات بين الناس عموما .
- ونظام العلاقات بالمحتاجين من أرامل ويتامي وعجزة . . الخ
- ونظام العلاقات بين الكبار والصغار والخدم والمخدومين . . الخ
- ونظام الإعلام أهدافه ووسائله .

ب- وشعبة الحياة السياسية ، وللإسلام فيها نظم تتناول :

- نظام العلاقة بين الحاكم والمحكوم ،
- ونظام العلاقة بين الرئيس والمرءوس ،
- ونظام للعلاقات بين سلطات الدولة وتحديد هذه السلطات ،
- ونظام للحقوق الأساسية للإنسان ،
- ونظام للجندية والجهاد في سبيل الله ،
- ونظام للتقاضي ،
- ونظام للحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
- ونظام للولايات وأنواعها ،
- ونظام لعلاقة الدولة المسلمة بغيرها من الدول ، مسلمة كانت هذه الدول أو غير مسلمة .

جـ- وشعبة الحياة الاقتصادية ، وله فيها عديد من النظم مثل :

نظام المعاملات من بيع ورهن وإجارة وصرف وسلم وشفعة ووكالة وحوالة وغير ذلك من عقود المعاملات كلها ،

- ونظام للتجارة والربح والمضاربة .
- ونظام للزكاة والصدقات ،

- ونظام للمصارف ،

- ونظام للإقراض والاستقراض ،

- ونظام لحقوق الدولة في أموال المواطنين وقت السلم ووقت الحرب.

- ونظام للخراج « الضرائب » والمكوس وغيرها .

وإن العمل علي نشر هذه النظم بالتعريف بها والتمسك بها وأطر الناس عليها إذا لزم ذلك علي كل مستوى من مستويات المجتمع هو نظر لدعوة الخير في المجتمع وإشارة بمبادئ هذه الدعوة وتمسك بها .

أما كيفية نشر هذه الأنظمة في المجتمع فتتطلب جهودا هادفة هادئة بانية متأنية في المجالات التالية :

- في البيت - وقد أعد إعدادا إسلاميا - بحيث يخرج الطفل من البيت إلي المدرسة وقد زود بما يناسبه من المعرفة عن العبادات والقيم وكل ما يمكن أن يستوعبه عقله واستعداده من النظم الإسلامية في الحياة .

- وفي المدرسة ، بحيث يستهدف ذلك مناهج التعليم بهذه المدارس ، فيصبح المنهج قادرا علي تعريف المتعلمين بأمور دينهم تعريفا نظريا عمليا ، في كل فرع من فروع المقررات الدراسية ، وعلي يد كل معلم لفرع من هذه الفروع، وليس ذلك بواجب علي معلم الدين الإسلامي واللغة العربية وحدهما - كما هو الحادث الآن في معظم بلدان العالم الإسلامي - لما يترتب علي ذلك من تضارب وتعارض بحيث يبني معلم التربية الإسلامية أو اللغة العربية ما يهدمه مدرس أي مقرر دراسي أخر ، مما يؤدي إلي فشل المتعلم واضطرابه في استيعاب دينه علي أن تراعي ظروف غير المسلمين في المدارس بما يناسب معرفتهم بدينهم كذلك .

- وفي الجامعة أو التعليم العالي كله ، بحيث تركزً هذه المعرفة ، وتعمَّق بما يلائم التخصصات المختلفة في الجامعات ، لأنه لا يمكن لأي تخصص من التخصصات أن يستغني صاحبه عن معرفة دينه وما يتضمنه من عبادات وقيم ونظم ، مهما ادعي بعض الناس أن ذلك إقحام للدين علي مواد التخصص ،

فالدين أصل في حياة الناس وفي كل شيء ، وكل مسلم مطالب بأن يعرف نظم دينه مهما كان تخصصه .

– وفي الشارع أو الحي الذي يسكن فيه الإنسان ، وما يسود الناس في هذه الأحياء من تعاملات يجب أن تخضع لنظم الإسلام حتي في الأمور العادية ، وما يجب أن يكون عليه الناس في الشارع من انضباط مع نظم الإسلام ومناهجه في كل شئ من حياته ، وهنا يبرز عمل أهل الحسبة – الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر – في حمل الناس علي الأخذ بالنظم الإسلامية حملا .

ومن أسف أن نظام الحسبة لا يؤخذ به في معظم البلدان الإسلامية مع أهميته وفاعليته وقدرته علي مقاومة الفاسدين والمفسدين وأطرهم علي الحق أطرا.

– وفي كل وسائل الإعلام مرئية ومسموعة ومقرءوة ، إذ الأصل فيها أن تخضع لنظام الإسلام في كل ما تقدمه للناس ، وأن تنقل للناس عبر هذه الوسائل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ولن ينفعهم شيء بمقدار ما ينفعهم التعرف علي نظم الإسلام في كل شعب الحياة التي يحيون.

وبعد فهذا الأساس الأول – وهو نشر دعوة الخير في المجتمع – من الأسس التي يقوم عليها إرشاد المجتمع .

محاربة الرذائل والمنكرات :

إن محاربة الرذائل والمنكرات أساس رشيد في بناء المجتمع السليم المبرّأ من أسباب التخلف والتعويق وغضب الله سبحانه وتعالي ، وذلك أن الرذيلة خصلة ذميمة في الناس تقابلها الفضيلة فيهم ، كما أن المنكر هو كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبحه الشرح أو يحرّمه أو يكرّه فيه

ومحاربة هذا وذلك واجبة شرعا ومطلوبة عقلا في كل مكان وزمان ، والمجتمع الذي لا تحارب فيه الرذائل والمنكرات مجتمع تفشو فيه الكبائر والمعاصي، ويفقد الناس فيه أمنهم فيعيشون في قلق واضطراب وبالتالي يمارسون الجرائم والكبائر لأن القلق المضطرب من الناس ليس بينه وبين الجريمة حاجز من عقل ولا ساتر من أمن ، والإنسان في مثل هذا المجتمع لا يمكن أن يؤدي نحو المجتمع واجباته ، وبناء علي هذا فإن المجتمع يأخذ في التدهور والانحلال ، وأحيانا تسيطر عليه عصابات ذات بأس وقوة فيرتد عن إنسانيته ارتدادا بعيدا .

وسؤالنا الوارد هنا هو : ما الرذائل والمنكرات التي يجب أن تحارب علي وجه التفصيل أو ما هي مفرداتها ؟.

وسؤالنا التالي هو : كيف تحارب هذه الرذائل والمنكرات ؟.

إن الإجابة علي السؤال الأول تستدعينا أن نقول : إن الرذائل والمنكرات تدخل تحت ما حرمه الشرع أو قبّحه أو كرّه فيه ، أو تحت ما حكم العقل السليم عليه بالقبح ، لأن العقل السليم لا يختلف أبدا مع الشرع ولا يتعارض مع حكم من أحكامه - كما سبق أن قررنا ذلك من قبل - وكيف يتناقض الشرع مع العقل مع أن الشرع جعل العقل مناط التكليف ؟ .

هذه المحرمات أو المقبحات أو المكروهات الشرعية التي يراها العقل كذلك كثيرة نذكر منها أصنافا يمكن أن تمثل خطوطا رئيسية لها ، وتحت كل خط فروع

قد تكثر وقد تقل :

أ- الصنف الأول :

رذائل ومنكرات علي مستوى الأفراد مثل :

العهارة والزنا ومقدماته ودواعيه واللواط وشرب الخمر وقذف المحصنين والمحصنات ، والغش والكذب والسفه والظلم والجبن والغيبة والنميمة والحسد والحقد والسرقة والعدوان . . . الخ

ب - والصنف الثاني :

رذائل ومنكرات علي مستوي الجماعات مثل :

قطع الطريق أو الحرابة والغصب وإتيان الفواحش وإشاعتها بين الناس والفساد في الأرض . . . الخ

جـ- والصنف الثالث :

رذائل علي مستوي المجتمع مثل :

عدم التناهي عن المنكر ، وعدم مقاطعة المرتكبين ، وممارسة الفساد والانحلال في مؤسسات مثل : أندية العراة ، وأندية القمار ، وأندية الروتاري - علي الرغم ما يدّعى بالنسبة لها -

وإن الإجابة عن السؤال الثاني وهو كيف تقاوم هذه الرذائل والمنكرات ؟ تستدعينا أن نصنف الطريقة كذلك إلي أصناف هي :

أ- الصنف الأول :

ما كان علي مستوى الحكام أو المسئولين ، وكل حاكم أو مسئول فهو مطالب شرعا بأن يوجه ، بل يأمر جميع أجهزة الدولة ومؤسساتها أن تحارب كل رذيلة ومنكر ، وأن تضيق علي المرتكبين وتردعهم بالعقوبات الشرعية المقررة « الحدود » وأن تعزر منهم من لم يرتكب ما يوجب حدا ، وأن تحول أجهزة الأمن بين المجرمين والجرائم ، أي تقاوم الجريمة قبل أن تقع ، إن ذلك هو واجب رجال الأمن وقاية المجتمع من الجريمة .

ومن أبرز أجهزة الدولة في هذا المجال أجهزة الإعلام ، إذ لها أثر بالغ في

محاربة الرذائل والمنكرات.

ب - والصنف الثاني :

ما كان علي مستوي المجتمع ، حيث يجب أن يتناهي الناس عن المنكر والرذيلة ويتناصحون فيما بينهم في التعامل مع المرتكبين فيوجهون إليهم النصح أولا ثم يقاطعونهم إن لم ينتهوا فلا يؤاكلوهم ولا يشاربوهم ولا يجالسوهم ، والمجتمع بذلك الأسلوب يستطيع أن يمارس ضغوطا علي المرتكبين تحملهم حملا علي الإقلاع عن الرذائل والمنكرات ، وهو أسلوب يعين الحاكم علي عمله ويصل بالمجتمع إلي التخلص من الرذائل والمنكرات .

جـ - والصنف الثالث :

ما كان علي مستوي الأفراد ، حيث يطالب الإسلام كل أحد من الناس بأن لا يكتفي بالإقلاع عن الرذائل والمنكرات بل لا بد له أن يحاربها في كل مجال يستطيع أن يحاربها فيه بادئا بأهله ومن يليهم ، ثم في أقاربه وجيرانه وأصدقائه، ثم في العمل ثم في الشارع ، ثم في كل مكان تمارس فيه الرذائل والمنكرات ، كل ذلك في ضوء القاعدة الشرعية المعروفة وهي : أن النهي عن المنكر لا ينبغي أن يؤدي إلي منكر فضلا عن منكر أشد ، فلا تحارب الرذائل والمنكرات بأسلوب يؤدي إلى منكر فضلا عن منكر أشد ، ولا تحارب الرذائل والمنكرات بأسلوب يؤدي إلي رذائل ومنكرات .

هكذا نتصور من خلال ما قدمنا كيف تحارب الرذائل والمنكرات ، تتضافر جهود الأفراد والجماعات والمجتمع والحكومة بكافة أجهزتها ومؤسساتها في حرب الرذائل والمنكرات ، وبذلك يرشد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه .

وإن السكوت عن الرذائل والمنكرات إثم ومعصية ، ولا يسكت عن ذلك إلا جبان يخشى الناس ولا يخشى الله ، وأمثال هؤلاء الجبناء الذين يؤثرون رضا الناس فيتخلون بذلك عن منهج الله ونظامه ، وهؤلاء أنكر عليهم السكوت علي الرذائل والمنكرات في قوله تعالي : ﴿ **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون**

عن منكر فعلوه لبئس ما كان يفعلون ﴾[1]. فالله سبحانه وتعالي طردهم من رحمته - لعنهم - وأنزل هذا في الزبور عل نبيه داود وفي الإنجيل علي نبيه عيسي بن مريم ، حيث كان دأب اليهود ألا يتناصحوا ، فلا ينهي أحد منهم غيره عن قبيح يفعله ، فكان ذلك منهم من أقبح ما كانوا يفعلون فاستحقوا لعنة الله .

والسنة النبوية الشريفة فيها من الأحاديث في ذلك ما هو معروف ، ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذي بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان داود وعيسى بن مريم . . . الآيات إلى قوله . . . فاسقون ، ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه علي الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم علي بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » .

هكذا ينبغي أن يرشد المجتمع المسلم من خلال حرب الرذائل والمنكرات علي كل مستوى من مستويات المسئولين ، وعلى كل مستوى من مستويات المرتكبين لهذه الرذائل والمنكرات . . . هذا أو اللعنة والعياذ بالله ، أي ضياع الدنيا والآخرة معا.

---

(١) سورة المائدة آية ٧٨ : ٧٩.

تشجيع الفضائل :

الفضائل ضد الرذائل - كما أسلفنا - والفضيلة هي : الدرجة الرفيعة في حسن الخلق ، وفضيلة الشيء : مزيته أو وظيفته التي قصدت منه .

وأمهات الفضائل هي : الحكمة والعفة والشجاعة والعدل .

والمجتمع الذي تسوده الفضائل مجتمع آمن يعيش الناس فيه سعداء راضين آمنين على أنفسهم وأبنائهم وأموالهم ، وما نزعت الفضائل من مجتمع ؛ إلا حلت محلها الرذائل .

وليس كالإسلام منهج ونظام دعا إلي الفضائل وحث عليها بل أوجبها ليملأ المجتمع بالخير ويقوده نحو ما يصلح دنياه وآخرته .

وقد روي الإمام مالك بن أنس أنه بلغه أن رسول الله ﷺ : قال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [1].

وروي الطبراني بسنده عن جابر مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأَفْعَال » [2].

ولابد أن نتساءل - كما تساءلنا آنفا قائلين :

ما هي مفردات الفضائل ؟

وكيف يتم التشجيع عليها وعلى ممارستها ؟

أما مفردات الفضائل فكثيرة كثرة تعيي وتعجز ، وحسبنا من هذه الكثرة الكاثرة أن تكون الفضيلة كل خلق حسن وكل خير وكل معروف ، وحسبنا بمفردات الخلق الخلق الحسن والمعروف كثرة واتساعا.

لكننا نذكر منها ما لابد من ذكره ، وعلى سبيل المثال نذكر :

---

(١) الإمام مالك : الموطأ : باب حسن الخلق .

(٢) الطبراني : المعجم الصغير.

الحكمة والعفة والشجاعة والعدل ، والاستقامة والصدق والأمانة والوفاء بالعهد والوعد ، والمروءة والكرم والعفو والتسامح وأداء الواجب وتحمل التبعة، والحلم والصبر ، وحب الخير للناس ، وما لا يسعني ذكره من الفضائل مما هو معروف لمعظم الناس .

أما تشجيع الفضائل فيحتاج إلى وسائل عديدة من أهمها :

أ- تمسك من يشجع علي الفضيلة بالفضيلة .

ب- وعقد العلاقات الطيبة بالمتمسكين بالفضائل تشجيعا لهم علي الاستمرار في التسمك بها .

جـ- وتفقد الناس وتزيين الفضائل لهم ، وتأليف قلوبهم ، كل ما يناسبه ، مع التأكد من أن كل جهد أو مال يبذل في سبيل تشجيع الناس علي التمسك بالفضائل بذل في سبيل الله .

د- وتقدم الأسوة والقدوة للناس في التمسك بالفضائل ، وهذا واجب الكبار والمسئولين والرؤساء والحكام ، فكلما كان هؤلاء علي مستوى جيد من التمسك بالفضائل كلما شجعوا الناس على ذلك ، فالناس مفطورون علي التأسي بمن هو أكبر .

هـ- واستعمال القصص والمواعظ واستلهام التاريخ للتأثير في الناس بذلك كله ، وتاريخنا الإسلامى حافل بمئات القصص ومئات المواعظ المؤدية إلى ذلك.

وليقرأ من شاء أن يستعين فيما يلي :

- سيرة الرسول ﷺ.
- وسير الأنبياء عليهم السلام.
- وسير الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ،
- وسير قادة المسلمين في الفكر والعلم والحرب ،

- وسير المصلحين المجددين في تاريخ الإسلام[1].

و- والتأثير في الناس بوسائل الإعلام مقروءة ومسموعة ومرئية ، ولو وفق التلفاز إلي مؤلف يرغب في إرشاد المجتمع بتشجيع الفضائل فيه وإلي مخرج جيد الثقافة الإسلامية ، لأمكن تقديم الكثير النافع في هذا المجال ، وذلك هو الإسهام الحقيقي في بناء المجتمع ، أما ما يقدم الآن فإن فيه كثيرا مما يهدم المجتمع إذ يهدم أخلاق المشاهد ، فإذا انهدمت الأخلاق انهدم المجتمع،

ولنا أن نقول بملء أفواهنا وعقولنا وحسنا الاجتماعي ونحن نعيش في المجتمع : إن مجتمعنا المسلم في العالم الإسلامي كله لا تمثله هذه المسلسلات أو الأفلام التي يقدمها التلفاز أو السينما ، وإنما تمثل في الغالب بعض الشرائح الاجتماعية المنحرفة في المجتمع ، فما لهم ينفخون في الانحراف حتي يعم ؟ وفي الفساد حتي يشيع ؟.

إن المسئولين عن الإعلام في خطر عظيم أمام الله وأمام التاريخ وأمام مئات بل ألوف الشباب الذين انحرفوا متأثرين بما شاهدوا .

وبعد : فمتى يعي المسئولون عن وسائل الإعلام ذلك ، قبل أن يعم تعاطي المخدرات ، ويشيع سوء الأدب في التعامل مع الآباء والأمهات والإخوة والأخوات كما ساء مع المعلمين والمعلمات ؟.

إنهم إن زعموا أن الهدف من وراء ذلك هو الترفيه عن الناس بإضحاكهم، فإنا نسأل الله لنا ولهم الهداية والسداد ونور الأبصار والبصائر .

---

(١) وأرشح لذلك الكتب التالية :

١- إمتاع الأسماع للمقريزي في السيرة النبوية .

٢- وقصص الأنبياء للنجار في سير الأنبياء .

٣- وحياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي في سير الصحابة .

٤- وصفة الصفوة لابن الجوزي .

٥- ومدارج السالكين لابن القيم .

٦- وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي .

وعشرات الكتب بل مئاتها في هذه المجالات.

إن الشباب علي حافة هاوية أخلاقية ستدفع الأمة ثمنها فادحا ، عندما يتمثل ويأتسي بما يقدم له في وسائل الإعلام وبخاصة المشاهد منها .

إن المجتمع المسلم يجب أن يرشد بنشر دعوة الخير فيه ، وإن محاربة الرذائل والمنكرات ، لابد أن يعقبها تشجيع علي الفضائل ومكارم الأخلاق ، وإن ذلك لهو القادر علي أن يجتث من المجتمع الجريمة والجنوح والأمراض النفسية والعصبية بأكثر مما تقضي عليه الأدوية والعقاقير ومصحات العلاج .

وإن مئات بل ألوف المصابين بالاكتئاب - مرض العصر - قد تعالجهم قصة هادفة يتمسك فيها البطل بالفضيلة ومكارم الأخلاق ثم ينتصر في النهاية ، أو يترك انتصاره كالحقيقة المؤكدة في حبكة القصة.

وإذا كان الناس قد أُتخموا من مشاهدة قصص الرذائل والشر ومتابعة أبطالها وشخوصها في مأمن من ردع أو عقاب أو رفض اجتماعي ، فلا بأس أن - إن لم يكن ذلك واجبا - نقدم إليهم قصصا وأبطالا للخير والفضيلة.

إنه مصير الأمة تتحكم فيه وسائل الإعلام المشاهدة من تلفاز وسينما ومسرح وأشرطة " فيديو " فإلى أي طريق ينبغي أن تتجه الأمة المسلمة ؟ .

إن حقيقة مرة لا يستطيع أن ينكرها إلا مكابر معاند ، أنه من يوم عرفت الشاشة الكبيرة أو الصغيرة وهي تقدم في الغالب ما لا يدفع إلي تأسي حسن أو قدوة فاضلة ، فلماذا لا يجربون أن تجمع هذه الشاشة بين الخير والشر ؟ فضلا عن تقدم الخير وحده.

إن سيطرة الفلسفة الغربية في هذا المجال وهي الإثارة للغرائز والعنف لا تلائم مجتمعاتنا الإسلامية التي تلتزم أدبا خاصا في التعامل مع الغرائز ، وتلتزم أدبا خاص في التعامل مع المشاعر . . .

وما أتصور علي سبيل المثال - أن يأتي اليوم الذي تحتذي فيه إحدي البلاد الإسلامية حذو انجلترا - مثلا - فتبيح بنص القانون الشذوذ الجنسي وتشرِّعُ زواج الرجل بالرجل. إننا شيء وهم شيء آخر ، وليس كل ما لديهم نافعا لنا، لقد بحت الأصوات في ترديد هذه البديهية ، فمتى يفيق هؤلاء الناقلون عن

الغرب كل ما فيه دون تميز ؟.

وليس شأن ما يكتب من قصص وروايات بمختلف كثيرا عما ذكرنا من شأن ما يشاهد ويُري علي الشاشتين أو المسرح ، إن قصصنا ورواياتنا في العالم الإسلامي يجب أن تستمد من القيم والمبادئ التي تسود مجتمعاتنا ، ولن يسودها في يوم أن تتزوج المرأة فتعطى جسدها لزوجها وتعطى قلبها ومشاعرها لعشيق كما تحدثنا بذلك بعض القصص والروايات ، ولو حدث فإنه شذوذ لا يقاس عليه.

الأمر بالمعروف

والمعروف – كما قدمنا – اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه ، كما أن المنكر ما ينكر بهما .

والأمر بالمعروف من الأصول العظيمة التي تقوم عليها دعوة الإسلام ، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابتة في الشريعة الإسلامية ومؤصلة بعدد من الآيات القرآنية وعدد من الأحاديث النبوية الشريفة ، وسوف نسوق طرفا منها لنؤصل بها هذه المفردة من مفردات المنهج التربوي.

أولا :

من القرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[2] .

وقال جل شأنه : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [3] .

وقال سبحانه : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾[5] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ . (٢) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٣) سورة التوبة : ٧١ . (٤) سورة الأعراف : ١٥٧ .
(٥) سورة الحج : ٤١ .

ثانيا :

من السنة النبوية المطهرة :

روي الترمذي بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[1].

وروى الإمام أحمد بسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا يعذب الخاصة حتي يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون علي أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك ، عذَّب الله الخاصة والعامة » [2].

وروى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه ، إن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلونه ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وروى الشيخان بسنديهما عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلي أثرة علينا ، وعلي ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ، وعلي أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » .

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » ورواه أبو داود أيضا.

ونكتفي بهذا القدر من الأحاديث الشريفة ففيه مقنع وكفاية [3] ونعود

(١) الإمام مسلم : صحيحه : باب الإيمان .

(٢) الإام أحمد : مسنده : ٤/ ١٩٣.

(٣) من أراد التوسع في ذلك فليرجع إلي كتابنا : فقه الدعوة إلي الله - الفصل الرابع - من الباب الأول ففيه تفصيل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كركن من أركان الدعوة الإسلامية .

فنقول:

إن إرشاد المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة جيدة تؤدي إلي أن تسود المجتمع القيم الأخلاقية الإسلامية ، التي تضمن للمجتمع إذا سادت حياة طيبة هادية هادفة ، وسوف تظلل الناس وتعينهم علي أن يحققوا سعادة الدنيا والآخرة .

فكيف تتم ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

إن للإمام الغزالي في كتابة « إحياء علوم الدين » حديثا ضافيا في هذا الموضوع نحيل عليه من أراد أن يعرف كل ما جاء عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كما أن كتب الفقه الإسلامي الموسعة عنيت بالحديث عن ذلك ، ولعل أيسر ما كتب عن ذلك وأكثره اختصارا ، كُتُب الحسبة أو كتب السياسية الشرعية ، ولابن تيمية رضي الله عنه في ذلك كتيب جيد .

وتثار هنا قضية طالما شغلت الناس في الماضي ولا تزال تشغلهم في الحاضر، وبخاصة من يعملون في الحقل الإسلامي وهي :

ما حدود ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟.

وتلك مسألة خلافية بين العلماء ، ومنهم من لا يرى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حدودا تقف عندها حدودا زمانية أو مكانية أو حدود لأشخاص لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، وهؤلاء يوجبون أمر الحكام والأمراء والسلاطين بالمعروف إن كانوا لا يفعلونه ، ونهيهم عن المنكر إن كانوا يأتونه.

وهناك طائفة من العلماء تري أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقيدان بشرط هو : ألا يؤدي الأمر بالمعروف إلي منكر ، وألا يؤدي النهي عن المنكر إلي منكر أشد .

وجمهور غفير من العلماء بل كلهم يرون التوقف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أدت ممارستها إلي فتنة بين الناس وخصوصا في مجال أن تجتمع طائفة من الناس يتقوي بعضهم ببعض ويكون لديهم إصرار علي عدم الالتزام

بالمعروف ، أو إصرار علي إتيان المنكر ، وتكون لهم قوة ومنعة ، فيكون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مؤديا إلي فتنة ، عندئذ يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجب الحاكم ، لأنه الذي يملك القوة المادية التي يمكن أن تسيطر علي قوتهم.

وفي غير هذا ما ينبغي أن يتوقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأي حال، ولقد ذكرنا فيما سلف الآية القرآنية الكريمة التي تحدثت عن بني اسرائيل لَمَّا لم يتناهوا عن المنكر فلعنهم الله أي طردهم من رحمته ، كما ذكرنا من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة ما يؤكد ضرورة الاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طالما علي ظهر الأرض عصاة أو طالما علي ظهر الأرض حياة إنسانية .

ذلك هو الإرشاد الحقيقي للمجتمع المسلم ، فإن لم يرشُد أُطر علي الحق أطرا وقصر عليه قصرا ، من أجل الخروج من دائرة المعصية والغضب الإلهي إن حدث توقف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبادرة إلى فعل الخير :

وتلك وسيلة حاسمة وسريعة في إرشاد المجتمع وتقويمه وتسديد خطاه نحو سعادة الدنيا والآخرة .

والمبادرة : الإسراع .

والخير : ما يرغب فيه عند كل الناس كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع ، وضده الشر.

والخير نوعان :

الأول : خير مطلق وهو أن يكون مرغوبا بكل حال وعند كل أحد كما وصف النبي ﷺ به الجنه ، فقال : لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة .

والثاني : خير مقيد ، وهو أن يكون خيرا لواحد شرا لآخر كالمال الذي قد يكون خيرا لواحد من الناس وشرا لآخر والدليل علي ذلك أن الله سبحانه قد وصف المال تارة بأنه خير في قوله تعالي : ﴿ **إن ترك خيرا الوصية للوالدين و ...** ﴾[1] ووصفه بأنه شر في قوله تعالي : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾[2] .

والمبادرة إلي الخيرات : مطلب قرآني أمر الله سبحانه به كل مسلم ، فقال تعالي : ﴿ **فاستبقوا الخيرات ...** ﴾[3] وقال سبحانه : ﴿ **وسارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾[4] ، وقال جل شأنه ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير** ﴾[5] ، وقال جل شأنه : ﴿ **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** ﴾ [6]، وقال عز من قائل : ﴿ **وما تفعلوا من خير**

(١) سورة البقرة : ١٨٨ .
(٢) سورة المؤمنون : ٥٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٤٨ .
(٤) سورة آل عمران : ١٣٣ .
(٥) سورة آل عمران : ١٠٤ .
(٦) سورة البقرة : ١٩٧ .

فإن الله به عليم ﴾[1] .

وفي السنة النبوية المطهرة وردت الأحاديث التالية :

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض الدنيا ».

وروي الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « بادروا بالأعمال سبعا : هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنيً مطغيا أو مرضا مفسدا ، أو هرماً مقعدا ، أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهي وأمر ».

وروي البخاري بسنده عن أبي مسروعة رضي الله عنه قال : صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر ، فسلم ثم قام مسرعا فتخطى رقاب الناس إلي بعض حجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم فرأي أنهم قد عجبوا من سرعته قال: ذكرت شيئا من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته » وفي رواية : كنت خلفت في البيت تبرا من الصدقة فكرهت أن أبيته » .

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من دل علي خير فله مثل أجر فاعله ».

وإن إرشاد المجتمع عن طريق المسارعة إلي فعل الخيرات جزء من المنهج في تربية المجتمع المسلم ، وتطبيق على أخلاق الإسلام وآدابه .

فكيف تكون المسارعة إلي فعل الخير ؟

إنها تكون إذا أوجب المسلم علي نفسه أن يتفقد المجتمع الذي يعيش فيه وأن يعرف ماذا ينقص هذا المجتمع ليمارس حياته الإسلامية من أعمال البر والخير فيسارع إلي القيام بها والدعوة إليها ، ذلك شأن الأخ المسلم في الجماعة دائما، وهو بهذا أهل للانتماء إلي الجماعة في عمله وسلوكه .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٥.

وعلي سبيل المثال - وكما شاهدنا من أفراد الجماعة أيام كانوا يسارعون إلي فعل الخير في مصر وقبل قرار الحل المشئوم علي مصر بالذات - فإن احتياج مسجد من مساجد الحي إلي مكتبة أو إلي تنظيف أو إنارة أو تزويد بالمياة كان من صميم الأعمال الخيرة التي يبادر إليها المسلمون ، قبل وقوع واحدة من السبعة التي نبه عليها الرسول ﷺ في الحديث الشريف الذي ذكرناه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن وجود أرملة تحتاج إلي معونة لتعيش شريفة عفيفة ، وتقديم هذه المعونة لها هي خير مضاعف عند الله تجب المبادرة إليه قبل أن تدهم الناس واحدة من السبعة التي نبه عليها الرسول ﷺ .

وإن رعاية يتيم أو أكثر من أهل الحي عمل خير جليل تعتبر المبادرة إليه من أحسن القربات إلي الله .

وإن شرح آيات من القرآن الكريم أو بعض الأحاديث النبوية أو السيرة العطرة في المسجد أو في أي مكان يلتقي فيه المسلمون خير عظيم كذلك.

وإن الإسهام في نظافة بعض الشوارع في الحي خير كل الخير وإن المبادرة إليه مطلوبة شرعا وعقلا وعرفا ، إذ لا مبرر لأن يعيش المسلم في مكان غير نظيف ، وإن المحافظة علي المرافق العامة في الحي لفي صميم الأعمال الصالحة.

وإن محاولة التخفيف عن الناس في أي أمر يعانون منه سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا أو نفسيا لهو خير كبير وتفريج لكربة من المسلمين ، جزاؤها عند الله عظيم وهو تفريج كربة من كربات يوم القيامة ، وذاك خير يسديه المسلم لأخيه المسلم ، بل يبادر إلي إسدائه إليه ، إن ذلك هو المسلم الملتزم بمنهج الإسلام الجدير برضى الله سبحانه.

وإن محاولة الصلح بين المتخاصمين وإزالة أسباب الجفاء بين الناس والتقريب بين المتباعدين لخير جليل القدر عظيم النفع يقتلع من المجتمع ما فيه من أسباب البغضاء والشحناء والحسد والحقد والتوتر.

وإن تشكيل لجان من أهل الخير ومحبيه من المسلمين في كل حي أو قرية لتتولي المهام التي يعجز أن يقوم بها الأفراد أو تتباطأ أو تعجز عن القيام بها أي حكومة في أي بلد مسلم ، كالخدمات الاجتماعية العاجلة التي لا يستحب الانتظار فيها كتجهيز ميت أو دفنه ، أو الإسراع في إطفاء حريق أو ما أشبه ذلك من الأعمال ، إن ذلك هو الإسلام الحقيقي والسلوك الراشد الذي دعا إليه الإسلام وطالب به ، وما يقعد عنه إلا متنكب لطريق الإسلام ومنهجه ما دام قادرا علي القيام به .

وإن القيام بمثل هذه الأعمال لمن المبادرة إلي فعل الخير ومن إرشاد الناس والمجتمع إلي ما يصلح لهم دينهم ودنياهم.

وكم للجماعة من مبادرات في فعل الخير ، كم من مساجد أنشأتها وكم من مدارس أسستها وكم من مشاغل ومصانع ومتاجر أقامتها ، وكم من يتامى وأرامل وعاجزين عن الكسب آوت ورعت وكم وكم مما يحتاج وحده إلى كتاب قائم بذاته ، كل ذلك في مصر وحدها وفي خلال عشرين عاما فقط هي الأعوام التي مارست فيها الجماعة عملها في أمن من غدر الحكام وعسف الظالمين والطغاة.

كسب الرأي العام
إلى جانب الفكرة الإسلامية

وهذا عمل سياسي بالدرجة الأولي ، لأن كسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية أو إلي جانب منهج الإسلام في الحياة هو حشد للطاقات الإنسانية وتحديد جيد للتوجه الذي يجب أن يتوجه إليه ، وهو بهذا المعيار عمل سياسي علي مستوى رفيع.

ولو أن الذين قاموا بالثورات الدموية - أو الانقلابات - من أجل التغيير ، ونصبوا المشانق لأعدائهم وقتلوا في التعذيب أكثر ممن حكموا عليه بالإعدام أمام قضاء هازل يتولاه من لا يمكن أن يكونوا قضاة بحال ، لو أن هؤلاء الدمويين المحقرين لإنسانية الإنسان بما ارتكبوا من جرائم ضد إنسانيته في سجونهم ومعتقلاتهم ، وبغوا وطغوا وتجسسوا وتحسسوا وزرعوا البغض والتحاسد بين الناس ، وافقدوا الرجل الثقة في أبيه وأخيه وزوجه ، فوشى بهم تقربا إلي الطاغوت ، فحولوا الناس إلي مجتمع من المتباغضين المتعادين المتدابرين ، لو أن هؤلاء الإنقلابيين الذين صنعوا كل منكر وكل رذيلة من أجل التغيير ، فنجحوا قليلا إذ غيروا إلي الأسوأ ، وفشلوا كثيرا إذ بقى الفساد علي حاله بل ازداد بهم سوءا . .

إن هؤلاء الحمقى سياسيا ، الذين فشلوا اجتماعيا واقتصاديا فشلا ذريعا ما عرفه بلد من بلدان العالم في تاريخه إلا على يد هؤلاء الانقلابيين أو أشباههم.

إن هؤلاء الدمويين لو تدبروا كيف يكسبون الرأي العام إلي جانب ما يدعون إليه ، لأراحوا الناس وأراحوا أنفسهم أمام الله من هذه الجرائم التي ارتكبت من أجل التغيير .

وإن طلاب الزعامات وهواة الأمجاد حتي ولو كانت جوفاء زائفة في أغلب

الأحيان ، لو أنهم بدأوا بكسب الرأي العام إلي جانبهم كسبا حقيقيا لا كسبا يقوم علي الإرهاب الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي ، لسهل عليهم الحصول علي ما يريدونه - إن كانوا مصلحين - دون حمامات الدم ودون إهانة إنسانية الإنسان ، ودون الإعنات والإرهاب لمن ينافسونهم في هذه الزعامات الجوفاء .

إن كسب الرأي العام إلي جانب قضية من القضايا هو بمثابة صدور حكم من أعلي سلطة قضائية لصالح هذه القضية ، لأن الرأي العام أهم من أي دفاع وأهم من أي دعوي ، بل أنجح وأفعل من أي قضاء.

وإن كسب الرأي العام لا يجيده إلا الدعاة إلي الحق ، ولا يمكن الوصول إليه ليكون بجانب فكر أو معتقد أو مذهب أو منهج إلا إذا كان هذا المذهب صحيحا وكان القائمون عليه رجالا مؤمنين يقدرون الرجال وقيمة الإنسان ، ومن هنا كان من مقتضيات النجاح في كسب الرأي العام أن يكون الفكر أو المذهب أو المنهج مقبولا لدى الرأي العام أولا ، ثم لابد أن يكون مأمولا كذلك ثانيا ، ثم لابد أن يكون ميسورا لا عنت فيه ولا حرج من جانب ثالث.

فماذا يستطيع أن يقدم أصحاب الأفكار والمناهج والنظم في هذا المجال ليكون ما يقدمونه مرغوبا ومأمولا وميسورا ، حتى يكسبوا الرأي العام ؟

إن ذلك لب الموضوع وجوهره .

وهنا نتساءل قائلين في غير مبالغة :

أي معتقد ذلك الذي يمكن أن يشابه المعتقد الإسلامي فضلا عن أن يضاهيه؟ وأي فكر أو مذهب ذلك الذي يقارب فضلا عن أن يساوى ما جاء به الإسلام من فكر ومذهب في أي أمر من أمور الحياة الإنسانية ؟.

وأي منهج ذلك الذي يمكن أن يشابه منهج الإسلام في الحياة بل في كل شعب الحياة ، بل في الحياة الدنيا والآخرة ؟.

وأي طلاب مجد أو زعامة أو رئاسة ، أولئك الذين يضاهئون الدعاة إلي الله ؟.

ولقد يقال : إن الرأي العام يمكن أن يكتسب إلي جانب بعض المعتقدات الفاسدة والأفكار الضالة والمناهج القاصرة والمذاهب الخاطئة والزعامات الجوفاء !!!.

وعند التأمل والتدقيق نجد أن ذلك ليس كسبا للرأي العام وإنما هو كسب للغوغاء من الناس وطلاب المنفعة والمصفقين لكل حاكم ظالم خوفا وهلعا ، أو كسب للجبناء الذين لا يستطيعون مواجهة السلطان الجائر ، أو كسب للفاسدين من الناس الذين يبيعون دينهم بعرض من أعراض الدنيا .

وكل هؤلاء لم يؤمنوا بمبدأ ولم يعتنقوا مذهبا ، ولذلك فإنهم سريعا ما يتفرقون وبخاصة إذا زالت أسباب الخوف أو الطمع - ولنا في التاريخ المعاصر في مصر خير شاهد علي ذلك في أولئك الذين كانوا يهللون بل يطبلون ويزمرون لمشئوم مصر جمال عبد الناصر ، فلما هلك كانوا أول من انقضوا عليه فمزقوا صورته وحطموا تمثاله وكتبوا فيه ما ينفي عنه كل فضيلة ووصفوه بما لم يصفه به أعداؤه والمعذبون بكلابه والمجلدون بسياط عبيده ، ولا يزالون يوالون كشف الخبيء وإظهار العورات ، ولولا بقية عند بعض الناس من جبن وخوف من فلول أتباعه لحوكم قضائيا وهو ميت ولأدين علي جرائمه السياسية والاقتصادية والعسكرية فضلا عن أكبر جريمة ارتكبها في حق المواطن في مصر وهي إهدار إنسانيته والعبث بحرمته ، وهو من الجرائم التي لا يؤثر فيها التقادم كما يقال -

أما الرأي العام الذي لا يتزحزح عن موقفه فهو رأي عام تكون حول مبدأ ومعتقد مقبول مأمول ميسر ، إن الذين يدينون بهذا يموتون في سبيله ولا يتزحزون عنه قيد أنملة .

هذا هو الرأي العام الذي تطمع الحركة الإسلامية دائما أن تكسبه إلي جانبها، الرأي العام المقتنع المؤمن بالمعتقد والمنهج ، الذي لا يبغي من وراء ذلك نفعا ذاتيا وإنما يقصد به وجه الله وسعادة المعاش والمعاد .

إن هذه الجزئية من المنهج وهي كسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية ، يعد من بين الوسائل الناجحة في الوصول إلي الغاية والهدف من

العمل الإسلامي ، لأن غاية العمل الإسلامي علي كل صعيد هي إقامة الحكومة الإسلامية - بصفاتها التي سوف نحددها - فيما بعد - تمهيدا لإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية وصولا إلي الخلافة الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية تحت تسمية تقبلها الشريعة الإسلامية خلافة كانت أو إمامة أو رئاسة، لأن ذلك شكل والشكل يتبع الجوهر .

إن الرأي العام إذا اقتنع بمنهج الإسلام في الحياة فإن ذلك سيكون عامل ضغط هادئ هادف يصر علي التغيير دون انفعال أو عنف أو عصبية ، لأن معني أن يكون الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية بمنهجها المتكامل هو أن يصبح الشارع إسلاميا في لغته وفكره وأعماله وآماله ، وهذا في حد ذاته كسب كبير لا يهون من شأنه إلا غافل ، لأنه يؤدي إلي اختصار مئات الخطوات بل ألوفها فيدنى إلي الأمل .

إن ما تعانيه الحركة الإسلامية - وهي تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة هو أنها لم تكسب الرأي العام بعد إلي جانب الفكرة الإسلامية ، فوجدت من الناس من يعترض علي تطبيق الشريعة الإسلامية متعللا بالأوهام والترهات ، متشبثا بكلمات صبها أعداء الإسلام في فكره فأصبح يلوكها دون تدبر أو عميق فكر غافلا عما وراءها من مثل :

الحكومة الدينية ،

أو الحكومة صاحبة الحق المقدس .

أو الحكومة التي تضطهد الأقليات التي لا تدين بدين الإسلام ،

وكل هذه الأصناف من الحكومات ما عرفتها الحكومة ولا هي علي استعداد لأن تعرفها لأنها تملك دستورا هو الكتاب والسنة لا يسمح أبدا بشيء من ذلك، فإن حدث ففي حكم حاكم طاغية مستبد ليس له من الإسلام إلا اسمه أو لقبه .

إن هذه الحكومات عرفتها أوربا في ظروف معينة من تاريخها يوم كانت الكنيسة تحكم الناس وتضطهدهم وتمنحهم صكوك الغفران أو تصدر ضدهم

صكوك الحرمان باسم الدين والحق الديني والحق الإلهي المقدس ، ويوم كانت تحظر علي الناس العلم والمعرفة في أمور الدين .

وما عرف المسلمون حكومة من هذا النوع في تاريخهم ، ولا اختلطت لديهم الرؤية بين ما هو حق الله وحق الحاكم وحق الناس ، إن ذلك واضح غاية الوضوح في الشريعة الإسلامية ولم يكن ولن يكون محل جدل أو خلاف بين المسلمين عموما فضلا عن العلماء منهم .

وإن الشريعة هي التي وضعت نظاما لعصيان هذا الحاكم الذي يدعى أنه مقدس وصاحب حق إلهي ، بل وضعت نظاما لخلعه ومحاسبته علي ما يأتيه من أعمال لا يقرها الإسلام .

ولو استطاعت الحركة الإسلامية أن تكسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية – ما استطاع دَعِيّ عِلْم أن يجهر بأن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تطبق علي التدرج أي جزءاً وراء جزء .

ولا استطاع جاهل غافل مقهور الفكر مضلل العقل أن يقول : إن الحدود في الشريعة الإسلامية فيها قسوة ووحشية.

إن الدعاة إلي الله قصروا في عملهم ما دام قد وجد مثل هذا القائل ، فلو فهم ما هذى بهذا الباطل.

ولقد يعتذر عن الدعاة وعن الحركة الإسلامية بأن حكومات الظلم والفساد حالت بينها وبين التأثير في الناس وكبلت حركتها في معظم بلدان العالم العربي بل والعالم الإسلامي ، ولكنه عذر إن قبل لأنه حق وواقع إلا أنه لا يجيز للدعاة أن يسكتوا مثلا عن الكتابة والتأليف ، وتغذية المكتبة الإسلامية بدراسة مستوعبة متعمقة في هذا المجال.

من أجل هذا كله كان كسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية عملا علي جانب كبير من الأهمية العملية والسياسية والاجتماعية والحركية .

إنه عمل يجب أن يستمر وأن يعطي من بين مفردات المنهج ما يستحقه من رعاية واهتمام.

صبغ مظاهر الحياة العامة بالفكرة الإسلامية

هذا الجزء من المنهج إكمال للجزء السابق - وهو كسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية - لأنه من المنطقي أن الناس إذا اقتنعوا بمبدأ الإسلام ومنهجه في الحياة فإن مما يعزز هذا الاقتناع ويقويه ويخرجه من حيز النظرية إلي مجال التطبيق أن تكون مظاهر حياة الناس مصطبغة بصبغة الإسلام.

وما لم يكن ذلك كذلك فإن الناس يصابون بقلق واضطراب إذ كيف يؤمنون بمبدأ ويلتزمون منهجا دون أن تكون الحياة التي يحيونها مصطبغة بهذا المنهج متجاوبة مع متطلباته ؟.

إن محاولة صبغ الحياة العامة ومظاهرها كلها بصبغة الإسلام ومنهجه هي التطبيق العملي للإسلام ، وبدون هذا التطبيق فإن الإسلام ومنهجه يظل مجرد نظرية ينقصها التطبيق ، وذلك أن الإيمان في مفهوم الإسلام ليس معتقدا يدين به القلب والعقل فقط ، ولكن « ما وقر في القلب وصدقه العمل » كما ناقشنا ذلك غير مرة .

فكيف يمكن أن تصطبغ مظاهر الحياة العامة كلها بصبغة الفكرة الإسلامية ؟ إن ذلك ما نحاول الآن أن نوضحه في الكلمات التالية :

إن مظاهر الحياة العامة تتمثل في أمور كثيرة وأعمال عديدة تمارس في الحياة علي المستويات التالية :

١- مستوي الفرد ،

٢- ومستوي المجتمع ،

٣- ومستوي الدولة ومؤسساتها وأجهزتها ،

وكل مستوي من هذه المستويات فإنه مطالب بأن يصبغ حياته بصبغة إسلامية في مظاهر هذه الحياة .

وعلي سبيل المثال لا الحصر :

١ – الفرد :

إنه مطالب في ذاته بأن يصبغ مظاهر حياته فضلا عن جوهوها بالصبغة الإسلامية ، في كلامه وعمله وزيه وشكله وحركته وسكونه ومطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ونومه ويقظته ، وأهله وأبنائه ، وكل من يلي أمرهم ، إنه مطالب شرعا بأن يكون ذلك كله مصطبغا بالصبغة الإسلامية .

٢ – المجتمع :

وهو مطالب كذلك بأن يكون كل ما فيه من نظم وآداب وأنماط سلوك مصطبغا بالصبغة الإسلامية .

وإن كل ما في المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف ، بل كلمات وأمثال تجري علي ألسنة الناس ، ينبغي أن يصطبغ بصبغة إسلامية .

بل إن مرافق المجتمع وطرقاته ومبانيه وحدائقه ، وبيوت الناس والمباني الحكومية ، والمساجد والمدراس والمشافي ، كل ذلك يجب أن يصطبغ بصبغة إسلامية .

إن التحية والرد علي التحية وبدأ السلام وإنهاء اللقاء وعقد المجالس وفضها والحوار بين المجتمعين والاستماع إلى الرأي الأخر ، كل ذلك يجب أن يصطبغ بصبغة إسلامية .

وإن اللغة السائدة في المجتمع – وهي لغة القرآن – يجب أن تكون لغة الحديث والحوار والحياة اليومية والتعامل بين الناس ، ولا تزحمها لغة أخري فتخمل التعامل بها ، لأن اللغة جزء أصيل من الإنسان ومن القومية ، والمسلمون قوميتهم هي الإسلام ، فلابد من الاعتزاز بلغته وهي العربية ، تلك أساسيات في ضرورة صبغ الحياة العامة بصبغة إسلامية.

وإن كل ما في المجتمع من محال ومتاجر ودواوين حكومية ومدارس ومصارف ومرافق يجب أن تتقيد بالنظام الإسلامي وبمنهجه في فتحها وإغلاقها والتعامل فيها ، وكذلك الأمر في النوادي الاجتماعية أو الرياضية أو الثقافية.

بل كذلك الأمر في المقاهي والملاهي - إن ثبت أن لنا بها حاجه - ينبغي أن تصطبغ بصبغة إسلامية - وبالطبع ليس المقصود بالملاهي ما تقدم ما حرم الله من خمور وراقصات - ولكن الملاهي البرئية التي لا تمارس شيئا حرمه الله .

وإن الشوارع والجلوس علي قوراع الطرق - إن كانت لنا بها حاجة - يجب أن يصطبغ بالصبغة الإسلامية فيعطي الطريق حقه كما أوضحه الإسلام في هذه الأمور الثلاثة :

غضُّ البصر ،

وكفُّ الأذي ،

وإفشاءُ السلام .

والخلاصة أن مظاهر الحياة الاجتماعية كلها في المجتمع المسلم يجب أن تصطبغ بصبغة الإسلام ، وأن هذا الواجب واجب الفرد وواجب المجتمع وواجب الحكومة وواجب كل قادر عليه .

٣- الدولة ومؤسساتها :

إن الدولة مطالبة كذلك بأن تصبغ كل مظاهر الحياة فيها بصبغة إسلامية ، بل إن ذلك أوجب علي الدولة منها علي أي طرف آخر فهي التي تزع الناس وتأمرهم وتنهاهم ، فلو التزمت لالتزم الناس ، ولو استقامت لاستقام الناس ، لأن الناس دائما مثل ما تكون عليه دولتهم من صلاح أو فساد .

فإذا تفشت في الناس الرذائل بعينها أو منكرات بعينها ، فمن المعقول المنطقي أن يكون في الدولة خلل في بعض المسئولين فيها في تعاملهم مع هذه الرذائل والمنكرات المتفشية ، والعكس صحيح أيضا ، ذلك أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ومؤسسات الدولة وأجهزتها جميعا وصبغها بالصبغة الإسلامية يختصر الطريق ألوف الخطوات ويدني من الهدف دُنُواً كبيرا .

غير أن المهم في هذا أن ننبه إلي أن صبغ مؤسسات الدولة بالصبغة الإسلامية لن يكون بمجرد قرار تصدره الحكومة فيلتزم به الناس ، وهيئتها هي

غير ملتزمة ، بل الأصل في ذلك أن تكون الحكومة ملتزمة تغار علي الإسلام.

وإن نمط التربية الذي يسود هؤلاء الحكام يحول دائما بينهم وبين أن يلتزموا ويلزموا الناس بذلك.

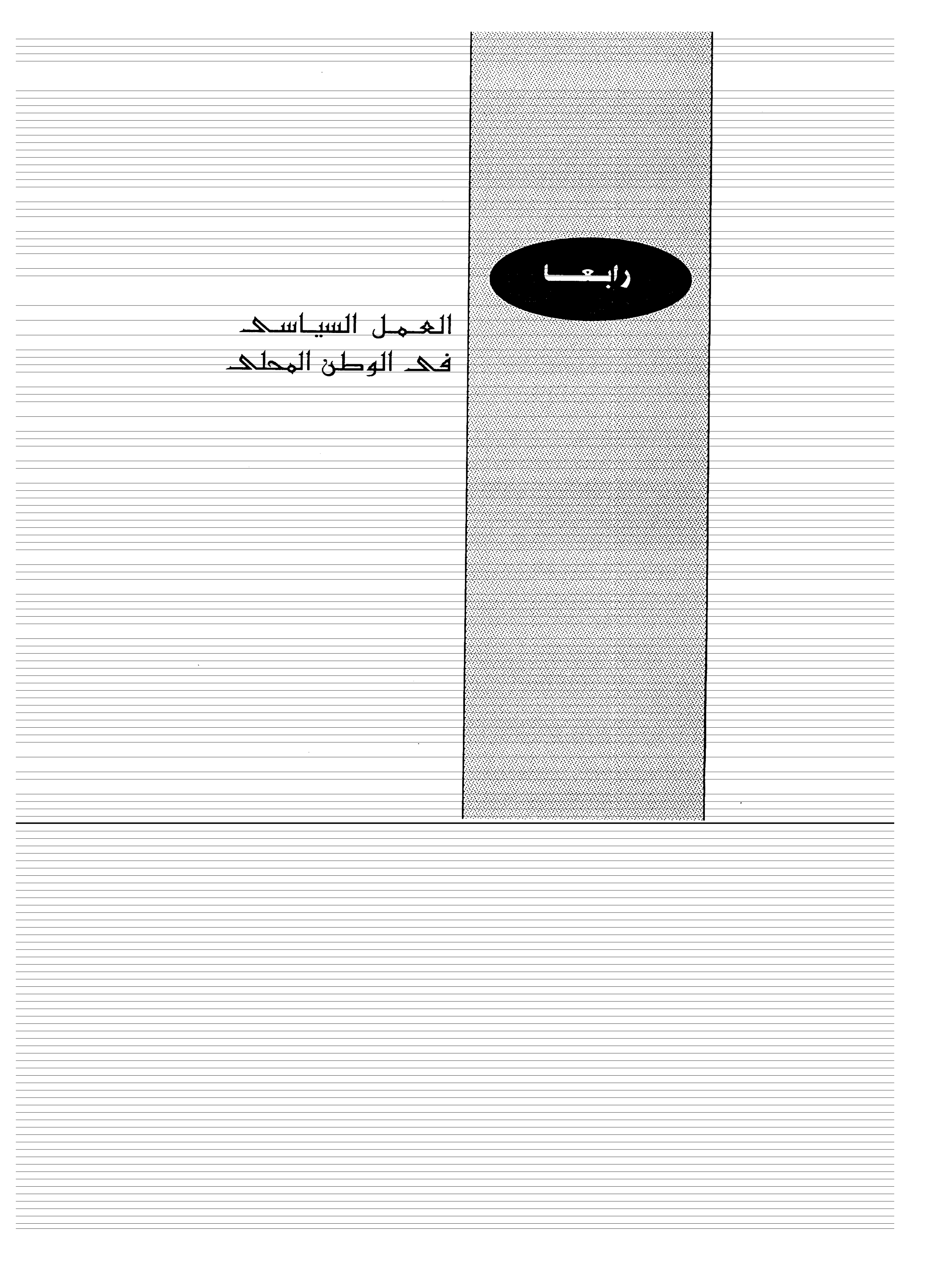
إن معظم الحكام في بلدان العالم الإسلامي قد ربوا تربية غربية فامتلأت نفوسهم بالاعتزاز بحضارة الغرب ومعطياتها دون أن يخزهم ضميرهم القومي أو الوطني فضلا عن أن يؤرقهم انتماؤهم للإسلام وتسميهم بأسمائه.

بل إن بعض الحكام يجاهرون بعداء الإسلام ومنهجه ونظامه ويتجاوزون المناهج والأنظمة الإسلامية منحازين إلي الأنظمة الأوروبية في حين هم مطالبون بأن يصبغوا كل مظاهر الحياة الاجتماعية بصبغة إسلامية !!!

وما دام الأمر كذلك فإن صبغ الحياة العامة بصبغة الفكرة الإسلامية يظل معلقا بعنق الحكام والدولة أمام الله وأمام الناس ، ولكن علي الناس أفرادا وجماعات الذين يعلمون في أجهزة الدولة ومؤسساتها أن يحاولوا ذلك مضحين في سبيله بأي جهد طمعا في الخروج من دائرة الإثم والمعصية .

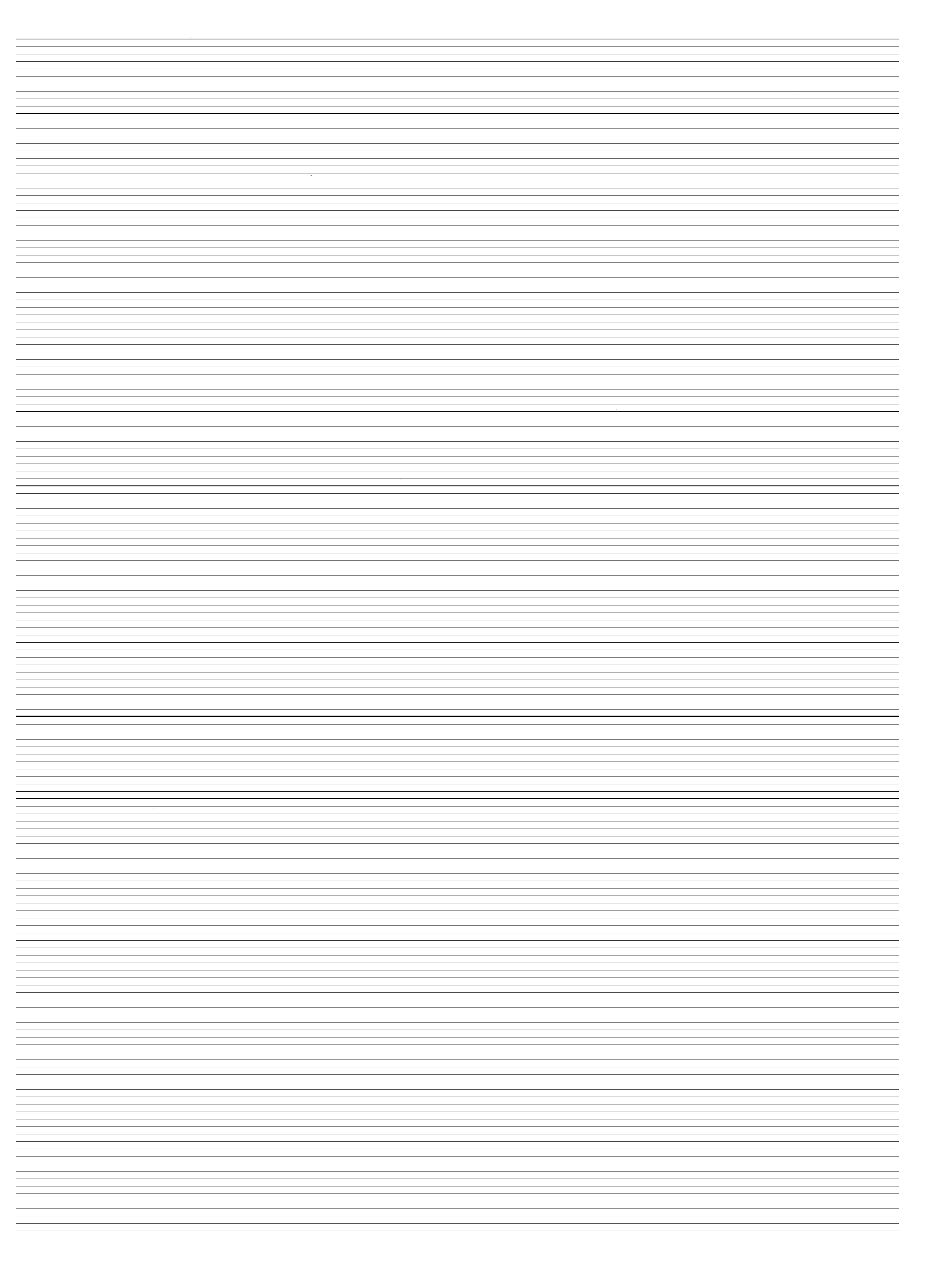
وبعد :

فإن هذا الاساس الأخير من أسس إرشاد المجتمع إذا ضم إلي الأسس الستة التي سبقته في نشر دعوة الخير في المجتمع ، ومحاربة الرذائل والمنكرات والتشجيع علي الفضائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمبادرة إلي فعل الخير ، وكسب الرأي العام إلي جانب الفكرة الإسلامية ، فإن المجتمع يرشد وتسدد خطاه ويصبح بفضل الله مع التمسك بمفردات منهج الله سبحانه في هذا المجال مجتمعا إسلاميا راشدا.



رابعا

العمل السياسي في الوطن المحلي



رابعـــا

العمل السياسي في الوطن المحلي :

وهذا العمل السياسي ذو شقين :

الأول منهما :

هو تحرير الوطن من كل سلطان أجنبي غير إسلامي ،

والثاني :

هو العمل علي قيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا وتحرسها في الداخل وتبلغها في الخارج .

وسوف نتحدث عن كل واحد منهما علي انفراد وعلي النحو الأتي :

العمل السياسي في الوطن المحلي :

وهو تحرير الوطن من كل سلطان أجنبي غير إسلامي ، فقد اهتمت به الجماعة منذ زمن باكر في حياتها ، حيث نص علي ذلك في قانون نظامها الأساسي - أقدم وثائق الجماعة - في الفقرة هـ من المادة الثانية ونصها : «تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الإسلامي بكل أجزائه ، من كل سلطان أجنبي ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا ، والسير إلي الجامعة الإسلامية »

كما وردت كلمة من هذه الكلمات للإمام المؤسس هذا نصها : « وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي - غير إسلامي - سياسي أو اقتصادي أو روحي »[1] .

وهذا الهدف سياسي بالدرجة الأولي ، وربما يتصور بعض الناس أن الإمام البنا قد أولاه أهمية خاصة لأن العالم الإسلامي في تلك الآونة كان معظمه محتلا بقوي أجنبية غير إسلامية غاصبة ، وقد يكون هذا التصور لديهم صحيحا بالنسبة لتلك الحقبة ، ولكنه يبقي هدفا مستمرا ، طالما خضع شبر أرض من الوطن الإسلامي لأي سلطان أجنبي غير إسلامي ، أيا كان نوع هذا السلطان سياسيا أو اقتصاديا أو روحيا أو أي سلطان ، يبقي هدفا مستمرا ويبقي العمل من أجل تحقيقه واجبا شرعيا حتي يتحرر .

وإن هذه المفردة من مفردات المنهج التي نص عليها في القانون الأساسي للجماعة وفي رسالة التعاليم المعدودة من أهم رسائل الإمام المؤسس ليدل علي أن المنهج التربوي للجماعة يولي هذا العمل مزيدا من اهتمامه ، من منطلق أن أي عمل إصلاحي يتم في وطن إسلامي محتل عسكريا أو ثقافيا أو سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا هو إصلاح محدود يسعى في طريق مسدود ، لأن العدو

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم.

قادر بسلطانه ذاك علي أن يبطل هذا الإصلاح أو يجعله عقيما ، لذا كان تحرير الوطن الإسلامي من أي سلطان أجنبي غير إسلامي خطوة أولى ضرورية لضمان سير العمل الإصلاحي في مساره دون أي تحد أو معوقات.

ومتي سمع الناس عن سلطان أجنبي غير إسلامي في وطن إسلامي وافق علي خطة إصلاح فضلا عن إصلاح ؟ إنه إن يوافق علي ذلك فهو يبني لبنة في قبرة ويخطو خطوة في طريق الخروج من هذا الوطن الإسلامي ، وإن أي قائل بغير ذلك يهرف بما لا يعرف ويردد ما لا يعي .

ولابد لنا من الحديث في هذا المجال عن أمرين هامين هما :

ما السلطان الأجنبي المقصود ؟

وكيف يحرر منه الوطن الإسلامي ؟

فنقول في الإجابة علي هذين التساؤلين ما يلي :

أما السلطان الأجنبي الغير الإسلامي فله أشكال عديدة كان يعاصرها الإمام المؤسس ، بل لا تزال قائمة حتي عصرنا هذا أي بعد ستين عاما تقريبا ، وهذه الأشكال :

أ- السلطان الروحي ،

ب- والسلطان العقلي الثقافي ،

جـ- والسلطان الأدبي ،

د- والسلطان الاجتماعي ،

هـ- والسلطان الاقتصادي ،

و- والسلطان السياسي .

ولكل شكل من هذه الأشكال تأثيره السئ في الوطن الإسلامي ، ونفوذه الذي يعوله العمل الإسلامي ويضع أمامه العراقيل أولا ثم ينقض عليه أو يغري حكومات أتباعه وأذنابه فتتحداه ، تكرر ذلك مرات ومرات في أكثر من بلد إسلامي ، ولن ينسى التاريخ أن مشئوم مصر أعلن تحديه للعمل الإسلامي وهو في « موسكو » عند سادته الذين كان لهم عليه وعلي البلاد أكبر سلطان،

حتي إن بعض ضباط الجيش المصري كان محظورا عليهم دخول أماكن أو معسكرات للجيش المصري في مصر !!! هكذا استشري سلطانهم علي التابع الذنب الذليل المستأسد علي العزل الآمنين من أبناء مصر ، والهزيل الضعيف المنهزم دائما أمام أعدائه والذي احتلت في فترة حكمه شبه جزيرة سيناء بما فيها قناة السويس وخسر فيها الوطن من الرجال والعتاد ما لم يكن يحلم به نفس الأعداء – كما صرصوا بذلك لهيئات الإذاعة والصحف العالمية – والذي أغرق البلاد في بحر من الديون لم تستطع أن تتخلص منه حتي الآن وقد خلصها الله من المشئوم بعد عشرين عاما تقريبا .

ولنتحدث عن هذه الأشكال واحدا واحدا .

أ- السلطان الأجنبي الروحي :

ويتمثل هذا السلطان في جملة أمور استطاع العدو أن يبثها في نفوس المسلمين منذ كان يعيش علي أرض المسلمين محتلا غاصبا غازيا ، احتلالا استمر ما يقرب من مائتي عام من سنة ٤٩٢هـ إلى سنة ٦٩١هـ وهي الفترة المسماة فترة الحروب الصليبية ، ومن المعروف أن العدو لم يستقر في هذين القرنين وإنما كان قلقا مضطربا ينتصر وينهزم حتي تمت هزيمته العسكرية وجلاؤه عن مصر والشام بعد هذين القرنين تقريبا .

غير أن العدو وإن هزم عسكريا فإنه لم ينه المعركة وإنما اختار لها ميادين أخري وغزوا بأسلحة أخري من الفكر والثقافة والعادات والتقاليد والنظم العلمانية وموجات الإلحاد والإباحية ، ثم عمل علي إضعاف دولة الخلافة وأخذ يستولي علي البلدان والأوطان التي كانت في سلطانها ، باسم الحماية أو الوصاية أو الانتداب ، وأحيانا الاحتلال العسكري المسلح ، لجأ إلي كل ذلك مستعينا بوسائله الخاصة من الاستشراق والتبشير وغيرها .

إن العدو بعد أن كان يجثم علي الوطن الإسلامي بقوته العسكرية المسلحة ويستهين بكرامة الوطن والمواطنين ويستفز المشاعر الدينية عند المسلمين ، أصبح يعمل علي أن يكون ذا سلطان روحي علي الوطن الإسلامي ، فنادى بالمقولات الضالة المضللة ، وجعلها – من أسف تنطلي علي عدد من قصار

النظر من الناس ، ومن هذه المقولات الضالة :

القول بأن المسلمين متعصبون لا يحترمون أهل الأديان الأخري ،

والقول بأن الدين عمل تعبدي لا شأن له بالسياسية ولا بالحكم ،

والقول بأن الدين فيه وحشية وقسوة لما يشتمل عليه من عقوبات ،

والقول بأن الدين يضطهد المرأة ،

والقول بأن الحكام المسلمين لهم حق مقدس ،

إلي أخري هذه المنظومة الفريدة في بابها ، والتي لا يوجد فيها شيء صحيح، والتي رددنا عليها في كثير مما كتبنا [1] .

وتابع العدو نفوذه الروحي في الوطن الإسلامي فشوه عقيدة بعض المسلمين في الله سبحانه وتعالي وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بما أشاعه وشجع عليه ، وبذل مجهودات هائلة في تكوين فرق ضالة عن الإسلام ومدها بوسائل الذيوع والانتشار متحالفا في ذلك مع اليهود والملحدين في الشرق ، فتكونت فرق القاديانية والبابية والبهائية وغيرها ليس لسبب إلا لأن يكون السلطان الروحي والكلمة المسموعة والإيمان بما يحب أن يؤمن به المسلمون والكفر بما يريد أن يكفروا به .

وكانت موجة الإلحاد أعتي الموجات وأضراها إذ وفدت علينا في البداية من الغرب ، منذ قرون خلت منذ أن اكتشف « كوبرنيكس » مركز الأرض من المنظومة ومن الأجرام السماوية عموما ، ومنذ ظهور القوانين الطبيعية التي سميت بقوانين المادة أو الآلة ، ومنذ ظهور مذهب النشوء والارتقاء ، وبحوث المقارنات بين الأديان.

هذه الأمور كلها ولدت في نفوس المسلمين شكا وأحيانا إنكاراً لوجود الله سبحانه وولدت عند بعضهم قلقا واضطرابا في المعتقدات الثابتة الراسخة في دين الإسلام.

وعلي سبيل المثال فإن أحد قادة الغرب المشاهير في الغزو والعدوان علي

---

(١) انظر : الغزو الفكري، والغزو الصليبي ، والتراجع الحضاري . . . للمؤلف.

البلاد الآمنة « نابليون بونابارت » سأل عالم الفلك المشهور « لابلاس » عن عمل القدرة الإلهية في تنظيم الأفلاك السماوية - بعد ظهور كتاب « لابلاس » « الحركة العلوية » - « أو الميكانيكا السماوية » فأجابه « لابلاس » : إنني لم أجد في نظام السماء ضرورة للقول بتدبير إله.

وكتب « جميس فترجيمس » سنة ١٨٨٤م أي بعد كلمة « لابلاس ش بأكثر من ثمانين عاما يقول : « إذا كانت الحياة الإنسانية في نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلست أري بعد ذلك مادة باقية للدين ، إذ ما هي فائدته وما هي الحاجة إليه ؟ إننا نستطيع أن نسلك سبيلنا بغيره ، وإن تكن وجهة النظر التي يفتحها العلم لنا لا تعطينا ما نعبده فهي كفيلة أن تعطينا كثيرا مما نستمتع به ونتملاه » .

إن هذه الأفكار وأمثالها شاعت في المسلمين الخاضعين لسلطان الأجانب فأصابت بعض الناس بالخواء الروحي ، وأدنت بعضهم من الشك والإلحاد .

وإذا كان الإلحاد قديما في تاريخ البشر فإن موجته قد ارتفعت في الفترة التي سيطر فيها عدو الإسلام والمسلمين علي الوطن الإسلامي.

وهذا السلطان الروحي الإلحادي الجاحد تجب مقاومته وتخليص العالم الإسلامي منه ، ليعود إلي صحة العقيدة وصفاء الروح والوجدان والإقبال علي الحق .

وإن ما اشتمل عليه منهج الجماعة في التربية الروحية لهو منقذ أولا لأصحاب هذه الأرواح الشاكة المترددة أو المعاندة الجاحدة التي تستمرئ العبث بالدين والديان وتلحد في ذات الله وأسمائه وصفاته .

إن الجماعة قامت في سبيل الوصول إلي هذه الغاية بجهود ربما لم يسبق إليها وبحسبها قدرة علي تثبيت العقيدة في أفرادها أن وسائل التعذيب غير الإنسانية التي مارسها الطغاة معهم لم تصرف أحدا منهم عن دينه ولا ألقت في نفسه شيئا من شك أو تردد ، ولقد كانت الآلات البشرية حاملة السياط وأدوات التعذيب تجهر بسب الله سبحانه وتطالب المعذَّبين بأن يسبوا الله ويهينوا القرآن الكريم ولقد قال أحد الطغاة الصغار وكان مديرا « لباستيل مصرَ في عهد

مشئومها - إن الله لو نزل إلي ساحة السجن الحربي لوضعته في زنزانة !!! نعم لقد كان طاغية صغيرا في فكره وعقله وثقافته حين رضى أن يكون آلة في يد طاغية أصغر منه وأحقر ، لما يأمر به من إهانة إنسانية الإنسان وإهانة الأديان، ولقد طلب ذَنَبٌ منهم من أحد الذين يحقق مَعَهم أن يقرأ له سورة الفاتحة «بالمقلوب» إلي هذا الحد كان رئيس المحكمة في عهد المشئوم .

وحسبي فإن الحديث في ذلك ذو شجون ، والله سبحانه ليس بغافل عما يعمل الظالمون ، وإنه ليمهل للظالم حتي إذا أخذه لم يفلته ، وقد كان وصدق وعيد الله كما يصدق دائما وعده.

ب - السلطان العقلي والثقافي :

ويتمثل هذا السلطان الأجنبي في أي وطن من أوطان المسلمين في التيارات الفكرية والثقافية السائدة فيه وهي وافدة ومخالفة لما يجب أن يسود الوطن الإسلامي من فكر وثقافة .

وربما كان من أهم التيارات الفكرية الثقافية الغازية التي تركت أثرها السئ في عدد غير قليل من أبناء المسلمين - التيار الماركسي أو الشيوعي ، فإذا كانت دعوة « كارل ماركس » قد اشتهرت باسم الاشتراكية العلمية ، فإن ما يمكن أن يوجه إلى هذه الاشتراكية العملية من نقد يهدمها ويقضي عليها ، لا يستطيع أحد أن يجد صدى لهذا النقد أو تفكيرا فيما يحمله من أدلة وبراهين ، لأن الاشتراكيين العلميين يتعاملون مع من يوجه إليهم نقدا أو تفنيدا ، بغاية القسوة والضراوة وإهانة إنسانيته ، إنهم أصحاب مدرسة التعذيب التي تبناها تابعهم مشئوم مصر ، وإنهم أصحاب شعار اضطهاد كل من يمكن أن يصنف بأنه ثورة مضادة لهم ، إنهم أصحاب شعار مكاسب الشعب ، وما كسب منهم الشعب شيئا بل خسر كل شئ لأنه خسر إنسانيته وكرامته وخفض رأسه إلي غير ما حَدٍّ إن وضعها في الطين وقيل له : « لقد خلقت فيكم العزة والكرامة » إن كل تلك شعارات الفكر الشيوعي ، إن مجاهل سيبيريا كانت كالواحات في نبل الأهداف الثورية ، كل صاحب رأي يجب أن ينفي وأن يحال بينه وبين أدني حياة تلائم الإنسان ، ما أعجب أن يفعلوا كل هذا ويتبجحون بأنهم يحققون

مكاسب الشعب ، إن كل ذلك كان أصعب علي نفس الإنسان من القتل في التعذيب ، وسوف تشهد صحراء العباسية في القاهرة خلف مبني السجن الحربي يوما ما علي أنها قد حوت عشرات الجثث التي فاضت أرواحها في «باستيل مصر في عهد مشئومها» .

هذا المذهب الماركسي في مقدمة المذاهب والنظريات التي تعمل علي هدم التراث الفكري للإنسانية كلها الثقافي منه والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، لتحل محلها ما جاءت به اشتراكية « كارل ماركس » .

إن مذهب كارل ماركس يبيح لكل طبقة من طبقات المجتمع أن تهدم ما بنته الطبقة التي سبقتها بحجج واهية خلاصتها : أن عمل المتقدمين ما دام لم يتم وفق آراء « كارل ماركس » فهو جدير بأن يحارب ويقضي عليه ، كأن الإنسانية لم تعمل شيئا قبل « كارل ماركس ».

ويقول العقاد في كارل ماركس ودعوته :

« لا حاجة إلي الإطالة في البحث العلمي لإنكار هذه الدعوى من أساسها، فهي كلام لا يحتمل البحث الجدي ولا يصغي إليه المرء وهو مفيق من غمرات الشهوات والغرائز العمياء .

علي أن بطلانها من ناحية الشعور لا يقل عن بطلانها من ناحية التفكير ، فعندما يخاطب « كارل ماركس » أتباعه ويأمرهم بتخريب المجتمعات قاطبة يقول لهم ما معناه : أخربوها فليس عندكم ما تفقدونه فيها . . . وما من عقل يفيق من غمرة الشهوات والغرائز العمياء يسمع هذه الدعوة فيخطر له أنها دعوة خير وفلاح - لأنها حركة يأس وقنوط ، ولن يتحقق رجاء العالم من وراء اليأس والقنوط ، ولن يصلح العالم من لا يبالون بخرابه ولا يترددون في تحطيمه ، ولن يعطي الإنسانية أملا مَنْ فَقَدَ كل أمل وتساوي عنده التخريب والتعمير ، بل أصبح التخريب أحب إلي نفسه من التعمير.

اليائس لا يفكر ولا يبالي ، ولأنه لا يفكر ولا يبالي يخاطبه دعاة التخريب والتحطيم ولا يهمه صدقوا أو كذبوا في دعواهم ، فإن صدقوا فهو مُخرِّب وإن كذبوا فهو مخرِّب .

وويل للإنسانية من مصير يهجم عليه من فَقد العقل والرجاء »[1].

ولقد انتقلت عدوى هذا المذهب إلي أعداد غير قليلة في العالم الإسلامي ، فأنت تجد الراغبين في التخريب كلما وجدت من يدينون بهذا المذهب ، لأنهم يتصرفون في مجتمعاتهم وملء نفوسهم الحقد أو الحسد ، والغرور وحب الشر والتدمير ، لأن تلك هي مفردات مذهب « كارل ماركس » الذي يخاطب في الإنسان أسوأ ما فيه من غرائز وشهوات.

وليس المذهب « الماركسي » وحده هو التيار الذي أساء إلي عقول المسلمين وثقافتهم ولكن تشاركه في ذلك تيارات أخري ومذاهب لم تكن أقل خطرا علي العقلية الإسلامية والثقافة الإسلامية منه مثل :

تيار الوجودية أو الفوضوية أو التمرد علي سائر السلطات .

وتيار التشكيك والشك في كل شئ وفي الخالق قبل أي شئ حتي اتخذوا شعار : « أنا أشك فأنا موجود » فليس للوجود في نظرهم دليل إلا الشك وكأن ممارسة الحياة لا تصلح دليلا علي الوجود وكأن التفكير والسمع والبصر والكلام لا تدل علي الوجود !!! الشك فقط هو الذي يدل علي وجود الإنسان علي هذه الأرض !!!.

وشارك في ذلك تيار المذهب الطبيعي ،

وتيار المذهب النفعي ،

وتيار العراة والشاذين جنسيا .

كل تلك تيارات شوهت الفكر والثقافة ، وأوجبت علي أبناء الحركة الإسلامية أن يناهضوها ففعلوا .

إن الوطن الإسلامي لابد من تحريره من السلطان الأجنبي عن الإسلام في الفكر والثقافة وإن ذلك كان وما يزال من أهم واجبات المسلمين في كل موقع من مواقعهم.

---

(١) عباس محمود العقاد : أفيون الشعوب : ٣٤، ٣٥.

جـ ـ السلطان الأدبي :

وإن السلطان الأجنبي الأدبي الذي سيطر علي المسلمين ، والذي يجب أن يتحرر منه الوطن الإسلامي تمثل في أمور ، ومن أبرزها حرب اللغة العربية لغة القرآن ولغة الإسلام.

ولقد كانت حرب لغة القرآن شغل الأجنبي الشاغل ، وكان له في حربها جولات وجولات.

كانت جولة من تلك الجولات مزاحمتها بلغة المستعمر وإجبار أبناء الوطن الإسلامي علي تعلم لغة المحتل ، وذلك دائما علي حساب لغة القرآن ، لأن الاهتمام وجه إلي لغتهم بأكثر مما هو للغة الدين .

وكانت جولة من تلك الجولات في التنادي باستعمال العامية وإهمال الفصحى ، وانزلق في تلك الدعوة من انزلق ممن يعدون من رجال الفكر والأدب وإن من أعجب العجب في شأن الغاصب المحتل ، أن حفلا أقيم في حديقة الأزبكية قام فيه خطيبا « المستر ويلكُكْس المهندس الإنجليزي » وأخذ يحلل ويعلل لماذا تأخر العرب وتقدمت أوربا ، ثم اهتدى أخيرا إلي أن سر تأخر العرب هو تمسكهم باللغة الفصحى ، ودعاهم إلي العامية ونبذ هذه الفصحى التي تجلب التأخر !!!.

ولقد استجاب لهذا المخلص الناصح من استجاب وطغت موجة العامية وكتب بهامْ كتب من الأدباء ، وليحدثك عن هذا سلامة موسي ولا حرج ، فقد صادفت هذه الدعوة في قلبه المليئ بالحقد علي الإسلام أحسن موقع ، فضمها إلي سائر دعاواه المعادية للإسلام التي عرفت عنه .

وأعجب العجب أن يتولي « ويلكُكْس » هذا وهو مهندس رئاسة تحرير مجلة الأزهر في أول عهدها !!! إنه ما دام انجليزيا من جنس المحتل الغاصب فإنه يفهم في كل شئ ويدبر كل شئ ، وحسبه خبرة ومعرفة بكل ذلك أن يكون انجليزيا !!!

ثم كانت موجة تيسير النحو العربي ومحاولة مشابهته للنحو في اللغة

الإنجليزية في مهزلة تبناها أكثر الناس إخلاصا للغة القرآن أولئك الذين كانوا يدرسون اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم ، ثم قفزوا إلي أعلي المناصب في الوزارة بعد بعثات ابتعثوا فيها إلي بلاد المغتصب المحتل ، فلم لا يكافئونه كما كافأهم ؟ وأي مكافأة ترضيه أفضل من تحطيم قواعد اللغة العربية وتجاهل نحوها وصرفها.

ثم جولة في الأدب ذاته كفنون وأجناس ، ثارت موجة سخط علي الأدب العربي لأنه يخلوا من المسرحية والملحمة ، وموجة استهزاء وزراية لأن شعراء العصر الجاهلي بكوا الديار وافتتحوا بذلك قصائدهم ، وجعلوا الغزل مطلعا لكثير من أشعارهم ، وعمموا في الأدب ولم يحللوا مما دل علي أن عقليتهم سطحية كما زعم « أوليرى » وردد زعمه بعض أفذاذنا من الكتاب والأدباء وأساتذة الجامعة المصرية يوم كانت تعج بالمستشرقين.

وفتحت علينا القصة جحيم أبوابها وهي تقص أخس وأحط ما في النفس الإنسانية من شهوات وغرائز ورغبة في التدمير والإفساد ، وتولت القصة من هذا المستوي عمل الشيطان في إلهاب الغرائز ، وقفت المسرحية علي أثرها تكمل ما يمكن أن يكون قد فاتها ، وكأن القصة والمسرحية ليستا إلا لتصوير الهابط الخسيس من الأخلاق !!!.

إن هذا هو سلطان أعداء الإسلام علي الأدب في الوطن الإسلامي ، ولولا أن نتوسع ويحلوا لنا التوسع لتخصصنا فيه فنخرج بذلك عن الهدف لفعلنا ، ولكن حسبنا تلك الإشارات ، وهي علي إجمالها توجب علي كل مسلم أن يعتز بلغته لغة القرآن وأن يعتز بتراث أمته الأدبي ، وأن يوظف الأدب لخدمة الحياة لا لإفساد الأخلاق وإثارة الغرائز.

د- السلطان الاجتماعي :

وأخطر ما تمثل سلطان الأجانب عن الإسلام في الوطن الإسلامي ، في تشويه المرأة المسلمة ومسخها وتحويلها إلي ما وصلت إليه المرأة الغربية من تمرد علي حياة الأسرة وهو تبجح باسم الحرية والتحرر ، تبجح يبلغ درجة الوقاحة في بعض الأحيان.

ولقد كان لهذا التيار أنصاره من المسلمين الغافلين الذين يرون في كل ما جاءت به حضارة الغرب خيرا يرون الأخذ به وهو سبيل التقدم والترقى ، وما موقف قاسم أمين ومن تابعه من كبار الغافلين وصغارهم ببعيد عن الأذهان.

إن المجتمع المسلم يطالب بتعليم المرأة كما هو معروف لنا ولكن أن تختلط بالرجال فهذا له نظمه وآدابه ، ما يشك في هذه الحقيقة أحد من المسلمين ولا غير المسلمين إلا أن يكون جاهلا أو متحاملا.

وإن الإسلام لا يمنع المرأة من العمل إن كانت هناك حاجة إليه وكان ملائما لها وغير صارف لها عن واجباتها الأسرية ، ولكن الإسلام لا يسمح لها من أجل العمل أن تكشف من جسمها ما أمر الله بستره تحت أي تسمية ولو كانت الحرية الشخصية التي يتشدق بها غير العارفين.

وإن تساهل المرأة في كشف ما أمر الله بستره من جسمها له أوخم العواقب عليها وعلي المجتمع الذي تعيش فيه ، إن ذلك هو الذي أشاع في المجتمع الفساد وظواهر الاغتصاب والعدوان والإخلال بالآداب العامة ، فحرم ذلك المرأة بل حرم المجتمع كله من الإحساس بالأمن والاطمئنان.

إن الذين نادوا بأن تتبرج المرأة باسم الحرية إنما جرُّوا علي المجتمع بلاء عاما يدفع له المجتمع في كل يوم ثمنا باهظا من جرائم عديدة جاءت نتيجة لتبرج المرأة الذي أدي إلي دواعي الزنا فالفجور وإتيان الفواحش ، والعجيب أن هؤلاء المنادين بهذا التبرج يعدون من المصلحين التقدميين المتحضرين !!!.

أما الذين قالوا : إن المرأة المسلمة غير المرأة الأوربية أو الغربية ، وإن الدين الإسلامي - بل كل الأديان - حرمت الزنا وأسبابه ودواعيه وأهمها التبرج - وخوفوا من أن تبرج المرأة وتبجحها سوف يؤدي إلي انهيار الأسرة فانهيار المجتمع ، ونبهوا إلي أن خلوة المرأة بالرجل إثم ومعصية واختلاط النساء بالرجال حرام . . . إن الذين قالوا ذلك اتهموا - في المجتمعات الخاضعة لسلطان الأجانب بأنهم رجعيون أو متخلفون عن ركب الحضارة أو متشددون أو متطرفون ، وانهالت عليهم وسائل الإعلام الغافلة أو التابعة أو المأجورة في عديد من أوطان المسلمين تصفهم بأبشع الصفات وترميهم بأشنع التهم.

ولقد وجدت الدعوة إلي تحرر المرأة أو عريها أو اختلاطها بالرجال أو الخلوة بها وجدت صدًى ورضىً في نفس كل راغب في الإثم والمعصية ، وكل راغبة في ذلك ، كما وجدت أكبر الصدي وأعمق الرضي في نفوس من فتنوا بحضارة الغرب فأخذوا منها هذا الجانب الذي ألخصه بأن المرأة وهي تتبرج وتتجمل وتتعطر إنما تمارس حرية التعبير عن الغريزة الجنسية بشكل لم يسمح به الإسلام.

وإن الناظر إلي غرب اليوم وقد شرب من كأس تبرج النساء حتي الثمالة ففسق بعض الرجال ولم يعدوا ذلك فسقا وإنما سموه حرية شخصية ، وفجر كثير من النساء ولم يسموا هذا فجورا وإنما هو كذلك حرية شخصية ، إن الناظر إلي الغرب اليوم يري مسحة الندم علي وجوه بعض العقلاء ، ويرى نداءات من هنا وهناك من الرجال والنساء تطالب بأن تعود المرأة إلي بيتها إلي المجتمع الذي تسوده القيم الخلقية الفاضلة ، إنها دعوة إلي صد هذا التيار الجارف الذي كلفهم كثيرا من الضحايا وكثيرا جداً من الأمراض .

ولابد أن تضم إلي هذا التيار تيارا آخر يكاد يكون نتيجة له ، وهو شيوع تعاطى الخمور وانتشار المخدرات وأشباهها ، إن شيوع هذا التيار في كثير من بلدان العالم كان من ورائه أولئك الأجانب عن الإسلام الذين يروجون الخمر ويصنعونها ويتجرون فيها ويشربونها بكثرة ومبالغة .

وليست أصابع المروجين للمخدرات بخافية علي أحد ، إنهم جيمعا أعداء للإسلام والمسلمين سواء أكانوا مؤسسات أو أفرادا ، بل في بعض الأحيان تمارس ذلك بعض الحكومات ، ومهما يفعل رجال مكافحة المخدرات فلن يستطيعوا أن يقاوموا كل ذلك ، وإنما عليهم أن يدركوا أن قطع دابر المخدرات والمسكرات هو تربية الناس تربية خلقية إسلامية ، إن كل مواطن حينئذ سيكون بداخله إرادة مكافحة للمخدرات بكامل أجهزتها ومعداتها ورجالها وأموالها ، إن ذلك في تصوري هو الحل .

تلك صورة مجملة جدا للسلطان الاجتماعي الذي يفرضه علينا أعداؤنا ، وهو سلطان آسر لابد أن تتخلص منه المجتمعات الإسلامية في أقرب وقت

وبكل وسيلة فهو لا يقل خطرا عن الاحتلال العسكري .

ومن أجل هذا فإن منهج الجماعة في التربية يولي مقاومة هذا السلطان أهمية قصوى ، بل إن المنهج يتعقبه منذ بداياته يوم كان وليدا يتمثل في تقليد الأجانب من المسلمين في التحية والطعام والشراب واللباس والعادات والتقاليد، ويظل يترصده وهو آخذ طريقه في النمو والانتشار ، ويجعل همه القضاء عليه.

هـ- السلطان الاقتصادي :

وهو سلاح رهيب من أسلحة أعداء الإسلام لا يقل فتكا عن الأسلحة التقليدية ، إن السيطرة الاقتصادية علي أي وطن إسلامي تعني تبعية للعدو بل وتعني ما هو أسواء أحيانا من الاحتلال العسكري.

ولهذا السلطان الاقتصادي الذي فرضه العدو علي الأوطان الإسلامية قصة بدأت منذ أكثر من مائة عام ولا تزال تتوالي أحداثها وفصولها حتي يوم الناس هذا .

إن العالم الإسلامي - منذ ما يقرب من مائة عام - كان معظمه مستعمرات لأعداء الإسلام والمسلمين في أخريات القرن الثالث عشر الهجري ، واستمر هذا العالم الإسلامي خاضعا للعدو خضوعا مباشرا إلي ما يقرب من ربع قرن من يومنا هذا .

إن هذا العالم الإسلامي وهو يرزح تحت نير العدو ذاق تماما مرارة السيطرة السياسية والاجتماعية والثقافية ، ولكن الأدهي من كل ذلك هو مرارة السيطرة الاقتصادية ، وقصتها : أن العدو الغاصب يضع مشروعا اقتصاديا ضخما يحقق مصالحه هو أصلا وربما حقق بعض مصالح الوطن الذي ينفذ فيه بالتبع ، ويصر العدو علي تنفيذ المشروع ، وهو يعلم أن قدرات البلاد لا تستطيع أن تنهض بأعبائه ، فيقدم لها قروضا بالربا الفاحش ، ويلزمها بطريقة السداد التي يريد ثم يفرض عليها رقابة من اللجان الخاصة في الماضي ومن صندوق النقد الدولي الآن ، ثم يفرض علينا ما شاء من الشروط ويحملها علي ما شاء من التصرفات ولا تملك أن ترفض أو تعترض ، هذه صورة .

وصورة أخري هي أن تحرش الدول الأجنبية عن المسلمين عليهم من يناوشهم أو يشنون عليهم حربا ، ولو كان من المسلمين في بعض الأحيان ، ثم تحتاج هذه الدول الأسيرة حقا إلي أسلحة فتبيع لها الأسلحة بالثمن الذي تريد وبأسلوب السداد والفوائد الربوية التي ترغب.

ثم يكن عجز عن سداد الفوائد الربوية أحيانا ، فيكون قرض جديد لسداد الفوائد وهكذا تدور الأوطان الإسلامية في حلقة مفرغة لا تدري أين طرفاها ولا تستطيع الخروج منها ، وتلك صورة مجملة جدا لقصة السيطرة الاقتصادية علي الأوطان الإسلامية .

والمؤكد الذي لا يشك فيه أي مراقب لأحوال العالم الإسلامي أن وسائل السيطرة الاقتصادية عديدة لا نستطيع هنا أن نحصيها ، وإنما نذكر أطرافا منها علي سبيل المثال والشاهد فحسب :

تحاول بعض الدول الأجنبية أن تعوق بلدا إسلامية عن التنمية الطبيعية لموارده بالتوسع في الزراعة أو الصناعة أو التعدين أو التنقيب عن البترول أو غير ذلك لأنها لا تقدم لها القروض اللازمة ، وإنما تغريها بأن تورد لها ما تحتاجه من حبوب ومصنوعات بل وبعض المواد الأولية أحيانا بالأثمان التي تريد وبالفوائد الربوية التي تحددها وأسلوب السداد التي يتأكدون منه من عجز المدين عن السداد ، لتبدأ القصة من جديد ، فتقدم قروضا لسداد فوائد القروض ، ويظل الدين كما هو بل أحيانا كثيرة يتفاقم إلي حدود مبالغ فيها.

وهو أسلوب أضحي مكشوفا ولكنه لا يزال يمارس - كل تجمع إسلامي يصطنع له أعداء الإسلام يهدده من أقصي شرق العالم الإسلامي إلي أقصي غربه ، وما هي إلا مشورات المخلصين من خبرائهم لبعض الدول التي تمثل رأس الحربة في العدوان فتشب الحرب فتكون الحاجة للسلاح فيباع بأبهظ الأثمان وبأكبر الفوائد الربوية وهكذا . . .

إن باكستان مهددة دائما بالهند ،

وإن العالم العربي مهدد دائما باسرائيل ،

وإن المغرب العربي مهدد بمغاوير الصحراء الغربية الذين يدعمهم من يرغبون في تأريث الحرب ،

وإن بعض الدول الإسلامية قد تحرش بدول إسلامية فتكون حرب وسلاح وقروض وهكذا إلي غير ما نهاية .

أهناك سيطرة علي العالم الإسلامي أسوأ من هذه السيطرة ؟ .

إن سلطان الاقتصاد الي يفرضه الغرب علي العالم الإسلامي سلطان جبروت وإرهاق وإعنات ، ويبدوا دائما كما لو كان من المستحيل أن يوجد له حل ، والحق أن الحل ممكن غير مستحيل - ولا أقصد بذلك أن أبسط الأمور أو أقول كلاما مبعثه العاطفة والأمل الخادع - وإنما ألفت الأنظار إلي أن أكثر من مؤتمر اقتصادي ضم علماء الاقتصاد علي مستوي العالم الإسلامي أثبت من خلال بحوثه ودراساته التي أعدها العلماء المسلمون المتخصصون في الاقتصاد ، أن العالم الإسلامي يملك من المواد الأولية والمقررات الاقتصادية ما يكفي لسد حاجة المسلمين من المواد الأولية والثانوية ، وأنه علي الرغم من ذلك يملك فائضا للتصدير .

فهل يمكن للعالم الإسلامي أن تنظر دوله بعضها إلي بعض هذه النظرة التكاملية ؟ هل تملك الدول الإسلامية حرية إصدار قرار في هذا الشأن ؟

ذلك ما يأباه كل غيور علي الأمة الإسلامية من التبعية والحصار الاقتصادي التي قيدت في داخله بتلك القيود القاسية .

إن منهج الجماعة كان ضد هذه السيطرة الاقتصادية ، وبذل في سبيل الخروج منها ما شاء الله له من محاولات إلي أن عاجله قرار الحل .

و- السلطان السياسي :

وربما كان هذا السلطان أخبث من سواه في التدسس إلي أعماق البلدان الإسلامية وأقدر علي أن يُفْقِد هذه البلدان قدرتها علي اتخاذ القرار ، دون الرجوع إلي العدو واستشارته علي أنه صديق .

إنه سلطان غير منظور يخطط له الأعداء بمزيد من المهارة والدها وبحيث

يشعر الحكام في بعض الأوطان الإسلامية بأنهم أصحاب السيادة وأصحاب القرار في بلادهم ، وهم في الواقع ليسوا من هؤلاء ولا أولئك ، وإنما السيادة الحقيقية والقرار الحقيقي في يد من رسم الخطة وسلم بداية الخيط للمخلصين من الخبراء والاستشاريين الذين يلازمون الحكام.

ويخطئ من يظن أن دولة من دول العالم الثالث أو من دول الجنوب تعيش بمنجي من تأثير في سياستها لصالح العدو ومصالحه البعيدة أو القريبة ، إن كتلا ثلاثة كانت تتحكم في العالم الثالث : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي الذي انهار ودول أوربا الغربية تتحكم فيه سياسيا بالدرجة الأولي ثم اقتصاديا واجتماعيا وفكريا وثقافيا .

إن قضية تبعية الدول الفقيرة لهذه الكتل الثلاثة أو بعضها قديمة مرتبطة بالحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولها علاقة راسخة بعصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولي – وبهيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية – إذ قسم العالم بعد هاتين الحربين إلي مناطق نفوذ لهذه الكتل الغنية بالتفاهم فيما بينهم وبالمساواة فيما بينهم علي اقتسام الفقراء والضعفاء .

ومن أجل تكريس هذا التقسيم أو هذه الغنائم أو ذاك النفوذ كان الاتجاه إلي إنشاء عصبة الأمم أو هيئة الأمم فيما بعد ، فالهيئتان تعملان علي سبيل القطع لصالح الدول الكبرى التي انتصرت في الحرب برجال من أبناء الدول الفقيرة.

وإن تاريخ هاتين الهيئتين ليؤكد هذه الحقيقة علي الرغم من أن كل الدول الخاضعة للنفوذ والتبعية لا يحلو لها شئ مثل ما يحلوا لها تمجيد هاتين الهيئتين والالتجاء إليهما في حل قضاياها !!!

ومع المراجعة والتأمل في قرارات الهيئتين ما وقفت واحدة منهما مرة إلي جانب حق مع دولة فقيرة ضد دولة كبيرة ، ولا رد حق عن طريقها إلي صاحبه إذا كان الخصم إحدي الدول الكبري .

أما أن يكون النزاع بين دولتين فقيرتين أو ضعيفتين فربما يقضى فيه لصاحب الحق في بعض الأحيان ، ومن كان في شك مما أقول فلينظر في تاريخ القضايا

التي طرحت علي هاتين الهيئتين ، وليدلني علي غير ما قلت ، فأشكر له ردي إلي الصواب إن كان يقول الحق .

ومن أجل أن تكون هذه الدول الكبري المسيطرة علي دول العالم الثالث أكثر نفوذا وأقدر علي تحدى الكثرة إن لم تستطيع أن تستقطبها سلفا بالضغوط المتعددة - اخترعت هذه الدول الكبري ما يسمى بحق الاعتراض « الفتيو » لأي من الدول الخمسة الكبري علي أي قرار يصدر غير محقق لمصلحة إحدي هذه الدول الكبري .

ومن كان أحسن ظنا مني بهاتين الهئيتين - أو هيئة الأمم المتحدة بالتحديد - فلينظر إلي قضية فلسطين وكيف يتضح فيها الحق العربي أبين من الشمس ومع ذلك فإن قرارا قاطعا لصالح القضية لم يصدر حتي الآن ، ولو صدر لالتقمه «الفيتو» فقضي عليه ، لا لشئ إلا لأن بعض هذه الدول الكبري تؤيد باطل إسرائيل علي حق العرب ، وتأمل أن تظل إسرائيل هكذا في صراع مع العرب، حتي يحتاج العرب إلي السلاح من إحدي الدول الكبري - وهكذا كما أوضحنا آنفا .

أو لينظر إلي قضية جزر « الفوكلاند » أو غيرهما من القضايا .

إن النفوذ السياسي علي العالم الإسلامي اليوم موزع بين الكتل الثلاثة توزيعا يرضي هذه الكتل ، وربما تمت تباديل بين كتلتين لتبادل مناطق النفوذ.

وإن النظام العالمي الجديد الذي تقوم عليه الويالات المتحدة الأمريكية قد أصبح الوريث لهذه الكتل الثلاثة .

وإن من مصائب بعض الأوطان الإسلامية أن يكون في بعض الأحيان خاضعا لنفوذ كتلتين من هذه الكتل الثلاثة ، وإن ذلك لكائن ومشاهد لكل ذي عينين.

إن كبريات القضايا وصغرياتها في كثير من الأوطان الإسلامية - حتي الداخلي منها لا يمكن أن يبُت فيها إلا بعد استشارة الأصدقاء والأجانب أعداء الإسلام ، وهي استشارة ملزمة في أغلب الأحيان إلزاما تذهب معه حتي حرية

الاختيار أو البدائل .

وإن دليلا واضحا علي ذلك هو ضرب الحركات الإسلامية في مختلف الأوطان الإسلامية في زمن متقارب ، علي الرغم من أن الذين ضربوا كانوا من الحكام المسلمين !!! .

وإنه لمن اللافت للنظر أن يتزامن ضرب الحركات الإسلامية في وطنين أو أكثر من أوطان المسلمين ، لأنه ما أيسر أن يجد المستشارون تبريرا لضرب الحركات الإسلامية ، إذ يصفونها للحكام بأنها تشق وحدة الأمة

وتدعو للفتنة الطائفية ،

وتعمل علي قلب نظام الحكم ،

فترمي : بالتطرف ،

أو الرجعية ،

أو الجمود والقعود عن ركب التقدم والمدنية ،

أو تركب الجمل في عصر الصاروخ ،

أو تجادل في قضايا فقهية عفَّى عليها الزمان ،

أو تحاول أن تقيم حكومة دينية متعصبة ،

أو تعمل علي إحياء الخلافة الإسلامية البائدة ،

أو تكفر المجتمع وتفسق نظامه ،

أو تحاول أن تحرم الشعب من مكاسبه الاشتراكية ،

أو تعادي نظام الحكم الديموقراطي العادل ،

أو تتصدي للرقص والمراقص ودور اللهو ،

أو تكسر أجهزة التلفاز ،

أو تحرق أشرطة « الفيديو » ،

أو تضع علي وجه المرأة نقابا ،

أو تحول بين الشباب وبين أن يستمتع بحياته ويعيش عصره ،

أو تمنع الاختلاط بين البنين والبنات ،

أو تعمل علي محاربة الفن والفنانين ،

أو تحرم علي الشباب الرياضة والتريض . . .

إنه قاموس اتهامات أصبح محفوظا معروفا لرجل الشارع قبل أن يكون معروفا لأهل الفكر والثقافة .

وإن تهم يكفي أن تصدر وتعلن بغض النظر عن التحقيق فيها ثم الإدانة،

وإن أحكامها كثيرا ما كان ينطقها القضاة الاستثنائيون في المحاكم الاستثنائية قبل إنهاء إجراءات التحقيق ،

إنه يكفي أن تخلع الصحافة ووسائل الإعلام هذه التهم علي واحد أو جماعة ليدان قبل أن يحاكم بل قبل أن يعلن بالتهمة الموجهة إليه فضلا عن أن يدافع عن نفسه أو يملك مجرد نفي التهمة .

إن هذا هو النفوذ السياسي الحقيقي لأعداء الإسلام في الوطن الإسلامي ، وإن ذلك لهو السبب الحقيقي الكامن وراء ضرب كل حركة إسلامية في أي مكان من العالم الإسلامي .

ومن الجدير بأن يلحظ ويتابع أنه عندما تُضرب حركة إسلامية في وطن من أوطان المسلمين تخف وسائل الإعلام في معظم الأوطان الإسلامية لتبرير هذه الضربة والتماس الأعذار للسلطة التي ضربت ، بل إنه في بعض الأحيان لا تستحي بعض الدول الأجنبية عن الإسلام أن تظهر الفرح والشماتة لتوجيه أي ضربة لأي حركة إسلامية .

وإن بعض حكام الأوطان الإسلامية ينخدعون أحيانا في عدو أجنبي عن الإسلام فيحسبونه صديقا ، ولو تذكروا المواقف التي تمتحن فيها إحدى البلاد الإسلامية أو العربية بمصيبة أو كارثة فيفرح هؤلاء الأعداء فرحا كبيرا ، لوضحت لهم الرؤية ولاستبان الصبح لذي عينين.

وعلي سبيل المثال :

فإن مواكب الفرح في انجلترا وألمانيا وفرنسا كانت تفقد الاتزان كلما وجهت

إسرائيل ضربة عسكرية إلي مصر أو إحدى دول العالم العربي ، إن صلوات الشكر أقيمت في الكنائس المتعادية المتنافرة فرحا بانتصار إسرائيل علي العرب ، ومع كل هذا فإن كثيرا من الحكام في العالم الإسلامي يستشيرون هؤلاء الأعداء ويتخذون منهم أصدقاء وناصحين.

إن العالم الغربي كله أوربا وأمريكا ، بل والعالم الشرقي كذلك أوربا الشرقية وروسيا أجمعوا علي إدانة الخميني لأنه توعد « سلمان رشدي » الكاتب الفاحش البذيء الذي أساء إلي الإسلام وإلي المسلمين في كتاب عاهر ينم عن ديُّوثية صاحبه.

أما لو كانت البذاءة قد وجهت إلي اليهودية أو المسيحية لكان الأمر غير الأمر، ولمنحت النياشين وجائزة نوبل لمن يقتل هذا المتفحش البذيء لا أن يتوعده فقط !!!.

ألا يمكن أن يجعل ذلك بعض المسلمين يفيقون من أثر المخدر المركز الذي يضخه أعداء الإسلام في أنوفهم وعقولهم وقلوبهم ؟.

إن هذا السلطان السياسي للأجانب عن الإسلام في بلاد المسلمين يجب أن يزول . وإن منهج الجماعة في التربية نبه علي هذا السلطان من يوم وضع القانون الأساسي للجماعة عام ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م أي منذ أكثر من خمسين عاما ، وإن هذا المنهج قد يجعل من مفردات منهجه معاول تهدم هذا السلطان، وعمل علي تحرير الوطن المحلي والوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي عنه.

ولقد كان للجماعة في ذلك نشاط سنشير إليه فيما بعد .

هذا عن الشق الأول من هذه النقطة وهو السلطان الأجنبي غير الإسلامي، أما الشق الثاني فحديثه فيما يلي من الصفحات .

العمل على قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج

فإن هذا الشق مما شغل الجماعة منذ نشأتها ، إذ وردت هذه العبارة التي جعلناها عنوانا في قانون النظام الأساسي للجماعة .

ثم زادها الإمام المؤسس إيضاحا في رسالة التعاليم ، حيث تحدث عن الحكومة – وهي « نظام إدارة الدولة ، أو أداة السلطة علي الشعب وتصريف أموره وتوجيه جهوده وتنظيمها وضبط سلوك أفراده وجماعاته عن طريق القوانين التى يضعها صاحب السلطة في الجماعة » .

وهذا هو التعريف الاصطلاحي للحكومة .

والفارق بين هذا التعريف وتعريف الحكومة في الإسلام هو أن القوانين في الإسلام لا يضعها الحاكم صاحب السلطة وإنما يتكفل بها الوحى المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإن لم يجد نصا فيها كان له ولمن يختار من علماء المسلمين أن يجتهدوا فيضعوا قوانين لا تختلف في شئ مع أصول الإسلام وأركانه وآدابه وقيمه الخلقية .

وبما أن الحكومات قائمة في المجتمعات الإسلامية فليس المطلوب إيجادها ولكن المطلوب صلاحها وإصلاحها في كل شأن من شئونها لا يتفق مع الشريعة الإسلامية . ولذلك نادي الإمام المؤسس في هذا المجال بـ « إصلاح الحكومة حتي تكون إسلامية بحق » وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل علي مصلحتها » .

وربما كان وصف الحكومة بأنها إسلامية وصف عام يحتاج إلي تحديد وتخصيص ، ولذلك جاء في كلمة الإمام المؤسس في هذا المجال قوله : «والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين للفرائض غير متجاهرين

بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه ، ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة ، ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع ما دام موافقا للقواعد العامة في نظام الحكم الإسلامي »[١]

وسوف نتناول في حديثنا عن الحكومة ثلاثة أمور :

الأمر الأول : صفاتها ،

والثاني : واجباتها ،

والثالث : حقوقها ،

نتناولها كما أوجزها الإمام المؤسس ، ثم نلقي عليها الضوء الشارح المفصل لهذا الإيجاز ، فنقول :

أ- صفات الحكومة الإسلامية :

١- « الشعور بالتبعة ،

٢- والشفقة علي الرعية ،

٣- والعدالة بين الناس ،

٤- والعفة عن المال العام ،

٥- والاقتصاد فيه » .

١- الشعور بالتبعة :

أي الأحساس بالمسئولية عن الناس والأشياء ، وعن كل مظلمة تقع علي أحد من الناس ، والمنطلق الذي يؤصل هذه الصفة شرعا هو قول الله تبارك وتعالي : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** ﴾[٢] والآية توضح أن القرآن الكريم دستور الأمة المسلمة وشرف للنبي ﷺ ولقومه وهم مسئولون بين يدي الله تبارك وتعالي عن العمل بما فيه ، تلك مسئولية الرسول ﷺ بوصفه نبي الأمة وقائدها ومسئولية كل حاكم أو محكوم .

وقوله تعالي مخاطبا نبيه ﷺ : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع**

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم.

(٢) سورة الزخرف : ٤٤.

أهواءهم ...﴾[1] وما يخاطب به نبي الله ﷺ يخاطب به كل حاكم علي المسلمين وكل واحد من المسلمين ما دام ليس من الأمور الخاصة بالرسول ﷺ.

كما قال سبحانه وتعالي : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ [2].

وتأصيل هذا الشعور بالتبعة من السنة النبوية :

ما رواه الشيخان بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته** » .

وروي الشيخان أيضا بسنديهما عن أبي مغفل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة** » .

وروي الترمذي بسنده عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه أنه قال لمعاوية رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فأحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة** » .

وروي الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون** » قالوا يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : « **أوفوا ببيعة الأول فالأول ، ثم أعطوهم حقهم واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم** » .

تلك بعض النصوص الإسلامية التي تؤصل ضرورة شعور الحكومة بالتبعة والمسئولية ، فكيف يتم ذلك فتشعر الحكومة بمسئوليتها عن المجتمع الذي

---

(١) سورة المائدة : ٤٩ .

(٢) سورة النحل : ٩٠ .

تحكمه ؟ إن ذلك يعني شعورا بالمسئولية علي مستوي الفرد وعلي مستوي المؤسسات والأجهزة ، وعلي مستوى المرافق العامة والخدمات .

أما علي مستوي الفرد :

فإن علي الحكومة أن تشعر أنها مسئولة عن حرياته العامة كلها ، وعن معاشه واحتياجاته ، وعن كل ما من شأنه أن يكفل لهذا الفرد الحياة الإسلامية الكريمة التي تليق بتكريم الله للإنسان .

إن انتقاص شيء من التكريم جريمة في حق الإنسان وفي حق المجتمع وفي حق الله تبارك وتعالي الذي أمر بتكريم الإنسان.

ولنا أن نقارن هذا بما تمارسه بعض الحكومات مع مواطنيها الذين يخالفونها في الرأي أو يوجهون إليها النقد علي تقصير وقعت فيه من إهانات وتعذيب وسجن بغير وجه حق « اعتقال » بل قد تصل في بعض الأحيان إلي حد القتل، تفعل هذا وتدعى في غير خجل أنها حكومة.

وأما علي مستوي المؤسسات والأجهزة

فإن شعورها بالتبعة يعني أن تكون مسئولة عن أداء هذه المؤسسات والأجهزة لعملها علي الصورة الأكمل التي تحقق مصالح الناس ومصالح المجتمع ، والتأكيد علي أن المسئولين والعاملين في هذه المؤسسات والأجهزة مأجورين عند الأمة خدام لها ، ولا يتساملون علي صاحب مصلحة فضلا عن أن يعطلوا هذه المصلحة ، فضلا عن أن يطلبوا الرشوة .

إن كل مخالفة لتلك المبادئ تتحمل مسئوليتها الحكومة من أولها إلي آخرها.

كما أن علي الحكومات أن تجعل عمل هذه المؤسسات والأجهزة متفقا علي أداء الصلاة أثناء العمل ، ومتمشيا مع المبادئ والأخلاق الإسلامية ، ومعنيَ ذلك أن يعاقب الفاسق والمسَوِّف والمهمل والمتعالي علي الناس فضلا عن المرتشي والمختلس والمزور والمستغل لسلطانه ونفوذه .

وأما علي مستوي المرافق والخدمات فإن الحكومة مسئولة أمام الله وأمام الناس عن أن توفر للمواطنين حياة إنسانية كريمة ، فهذا هو منهج الإسلام ،

ورحم الله من قال : « والله لو عثرت بغلة بالعراق لكنت مسئولا عنها أمام الله لماذا لم أُسَوِّ لها الطريق » .

إن كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته بالنسبة للزمن الذي يعيش فيه - وهو متغير ومتجدد أبدا - يجب علي الحكومة أن توفره له ، لأن المال الذي في يدها هو مال المواطنين والسلطة التي تمارسها هي بتفويض من المواطنين ، والأجر الذي تتقاضاه الحكومة في نظير الخدمات التي تؤديها الحكومة للمواطنين هو من أموال المواطنين ، ذاك هو منطق الإسلام في الحكم والحكومة والحكام.

وإن معاناة أي فرد أو جماعة من المواطنين بسبب خلل وقع في مرفق من المرافق أو في أي خدمة من الخدمات هي مسئولية الحكومة من رئيسها إلي أصغر مسئول فيها أمام الله وأمام الناس وأمام القانون.

ولكن إحساس الحكومة بالتبعة وتحملها للمسئولية لا يعني أن المواطن لا يبادلها هذا الإحساس بالتبعة والشعور بالمسئولية ، وإنما هو شعور يجب أن يكون متبادلا ، علي المواطن أن يلتزم بكل ما تضعه الحكومة من قانون وما تراه من نظام لهذه المرافق ومؤسسات الخدمات ، حتي يستطيع أن يستمتع بهذه الحقوق التي أشرنا إليها آنفا ، كما أن عليه أن يقدم النصيحة كلما دعت الحاجة إلي نصيحة وأن يكون مخلصا فيها يستهدف الخير للوطن والمواطنين.

إن المواطن المسلم يجب أن يكون متعاونا مع الحكومة إيجابيا مع متطلباتها في حدود ما أحل الله ، بل عليه أن يسرع في الاستجابة لكل ما يطلب فيه من الحكومة الإسلامية الساهرة علي مصلحته .

٢- الشفقة علي الرعية :

وهذه الشفقة تعني في مجملها أن الحكومة ينبغي أن تكون بمثابة الأب والأم لكل من يعيش في كنفها من الناس ، وكل ما يجب أن يتحلي به الأبوان من شفقة وحدب وحسن رعاية للأبناء ، فإن علي الحكومة أن تتحلي بذلك بالنسبة للمواطنين.

وتأصيل هذه الصفة في الحكومة المسلمة من وجهة نظر الشريعة يتمثل في النصوص الإسلامية التالية :

قال الله تعالي : ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [1] وقال تعالي : ﴿ **فبما رحمة الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** . . . ﴾ [2].

وروى الإمام مسلم بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : « **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشقَّ عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به** » .

وروي الشيخان بسنديهما عن عائذة بن عمرو رضي الله عنه أنه دخل علي عبيد الله بن زياد فقال له أي بني : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن شر الرعاء الحطَمَة ، فإياك أن تكون منهم ».

وروي الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال سمعت رسول الله ﷺ « إن المقسطين علي منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

وروي مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال** » .

وروي البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله** » .

تلك بعض النصوص الإسلامية الموجبة علي الحاكم والحكومة الشفقة بالرعية، وعند تفصيل هذه الشفقة علي الرعية ومعرفة مفرداتها نجدها كالتالي:

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٥.

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩.

أ- توفير الأمن للمواطنين :

ويكاد يكون ذلك أهم مطلب لأنه إذا فُقد لم يعد لأي مطلب آخر مما سنذكره قيمة حقيقية لأن فاقد الأمن لا يستمتع بشئ .

والأمن الذي يجب أن توفره الحكومة نوعان :

أمن معنوي وآخر مادي ، أما الأمن المعنوي فهو اطمئنان المواطن لعدالة الحكومة ، وعدم تهديده أو إرهابه أو إهانته ، أو تحقيره .

وأمن مادي هو أن يكون المواطن في وطنه آمنا علي نفسه وعلى ماله وولده وعرضه وبيته ، وكل أنواع الحريات العامة التي هي حقوق أساسية له .

بحيث لا ينتقص من هذا الأمر شيء ، فالإنسان الآمن علي يومه وحرياته وما يملك ومن يعول هو الإنسان المستقر نفسيا القادر علي التجاوب مع الحياة ، الإنسان المنتج القادر علي العطاء ، الراغب في التعاون مع الحكومة في كل أمر يعود عليه وعلي المجتمع بالخير .

والحكومة التي لا توفر الأمن للمواطنين فيها فإن أول ما تجنيه من ثمر مر هو أن هذا المواطن سوف يتحدى الحكومة وأنظمتها وقوانينها بل أشخاصها تحديا سافرا إن استطاع وتحديا مستترا إن لم يستطيع أن يجهر ، والنتيجة التلقائية لذلك :

تعويق الأعمال ، وسوء الإنتاج ، وقلته ، والتعامل بالرشوة ، والإهمال ، والتراخي ، وكل أنواع « الروتين » المعوقة المكبلة للإنتاج في العالم الثالث كله، لأن معظم المواطنين في العالم الثالث لم تحقق لهم حكوماتهم الأمن المعنوي أو المادي .

ب- وتوفير فرص التعليم :

وذلك أن الحكومة - كما قلنا بمثابة الأب من أبنائه - وتعليم الأبناء واجب الآباء فأصبح بالتالي واجب الحكومة ، وبخاصة أنها تنفق علي تعليمهم من أموالهم ، وإن التعليم لأهم عمل يدل علي أن الحكومة ترعى المواطنين وتشفق عليهم فالإنسان بغير تعليم عضو عاجز في المجتمع أو أقل فاعلية وعطاء ، وهو

دائما يكلف الدولة نتيجة أخطائه لجهله الكثير من الجهود والأموال ، وكيف يتقدم مجتمع لا يتعلم فيه المواطنون في ظل ظروف ميسرة ؟

جـ- توفير فرص العمل والكسب :

وهذا واجب الحكومة وهي في مصلحتها ومصلحة الوطن الذي تحكمه وإن حق المواطن علي الدولة في العمل حق تعترف به النظم حتي النظم «الدكتاتورية الغاشمة» والإسلام منذ كانت للمسلمين حكومة في المدنية المنورة علي عهد الرسول ﷺ يحث المسلمين علي العمل ، المسلمين حكاما ومحكومين ، والمواطن إذا وجد فرصة عمل فاكتسب منها فإن دينه يطالبه بأن يؤدى ما عليه من واجب نحو وطنه وحكومته ومواطنيه .

إن هذه الحقوق الثلاثة حق الأمن وحق التعليم وحق العمل الواجبة علي الحكومة نحو المواطنين حقوق لا يختلف علي وجوبها علي الحكومات أحد يؤبه له ، وإن أي حكومة تقصر في شئ من ذلك فإنما تسئ إلي نفسها قبل الإساءة إلي المواطنين ، إن هذا التقصير أو الإهمال من الحكومة يولد في نفوس المواطنين رغبة في التمرد علي النظم والقوانين والأعراف والتقاليد ، كما أنه مجال خصيب لتولد الجريمة ونموها وإتساع دائرتها.

وإن مما يؤكد شفقة الحكومة علي الرعية أن تحارب الجريمة في المجتمع قبل أن تقع بمعني أن تزيل أسبابها ، وجملة أسبابها كما قدمنا هو تقصير الحكومات في حق من حقوق المواطنين في الأمن والتعليم والعمل .

٣- والعدالة بين الناس :

إن العدل أساس الملك كما قالوا وقد أوجبه الله علي الناس حاكمين ومحكومين بل أوجب الله سبحانه علي نفسه العدل فسمي نفسه « العدل » وحرم علي نفسه الظلم وجعله بين الناس حرام ، والإسلام كله يقوم علي العدل ، بل الأديان كلها تقوم علي العدل يقول الله تعالي : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ...** ﴾ [(١)].

(١) سورة الحديد : ٢٥.

وقد أوجب الإسلام العدل علي كل حكومة ، وإن نصوصا إسلامية كثيرة تؤكد هذا ، نذكر منها . . .

قوله تعالي ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿ **وقل أمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ [2] وقوله سبحانه وتعالي :

﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها وإذا حكمتم بين الناس إن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به** ﴾ [3].

وروي الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

إمام عادل ،

وشاب نشأ في عبادة الله تعالي ،

ورجل قلبه معلق في المساجد ،

ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ،

ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ،

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ،

ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »

والعدل مساواة بين الناس في كل ما من شأنه أن تكون فيه مساواة ، وأسلافنا رضوان الله عليهم يقولون : العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه.

والإسلام يوجب العدل علي كل أحد ، وكلما كان الإنسان ذا مكانة ومسئولية فإن العدل بالنسبة له يكون أدفع للشر وأجلب للخير وأحسن للناس.

وإذا كان الإسلام قد طلب من القاضي أن يعدل بين المتخاصمين في النظر إليهما فضلا عن العدل بينهما في المجلس والتقاضي كله ، والقاضي في الإسلام ليس مظنة حيف أو إجحاف لأن وظيفته إحقاق الحق وتطبيق العدل ، فما بالنا بغير القضاة ؟ وبخاصة إذا كانوا حكومة وحكاما ؟.

(١) سورة النحل : ٩٠.   (٢) سورة الشوري : ١٥.
(٣) سورة النساء : ٥٨.

إن الحكومة مطالبة بالعدل بين الناس جميعا لكي تكون حكومة مسلمة ، فإذا فقدت أي حكومة العدل فقدت شرعيتها وانتفت عنها أهم صفة فيها إذا ما اختيرت من الناس ولا فوضت إلا لتحقق العدل ، هذا في كل حكومة فما بالنا بالحكومة الإسلامية ؟.

٤ – والعفة عن المال العام :

ولعل هذه الصفة في الحكومة المسلمة الصالحة هي الميزان الصحيح لها والمعيار الدقيق الذي تقوم به كل حكومة، لأن المال العام في يد الحكومة يغري ضعاف النفوس بالاستيلاء عليه ، وهوسرقة وعدوان وخيانة سماها الإسلام غلولا، وحرم ذلك كله فقال الله تعالي: ﴿ **وما كان لنبي أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾[1]، وروي: لا إغلال ولا إسلال «أي لا خيانة ولا سرقة» .

ومما يدخل في الخيانة وترك العفة عن المال العام أن يقبل أحد المسئولين في الحكومة الهدايا ويضمها إلي نفسه ، والأصل فيها أن تضم إلي المال العام ، لأنها في الحقيقة هدية إلي الوظيفة لا إلي الموظف ، وقد جاء في هذه الهدية ما رواه الشيخان بسنديهما عن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال : استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد يقال له : ابن اللتبية علي الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إليّ ، فقام رسول الله ﷺ علي المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال : أما بعد فإني استعمل الرجل منكم علي العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول : هذا لكم وهذا هدية أهديت إليّ ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتي تأتيه هديته إن كان صادقا ، والله لا يأخذن أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله تعالي يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتي رؤي بياض إبطيه فقال : « اللهم هل بلغت » .

ذاك مبدأ إسلامي عام في كل من يلي عملا من المسلمين .

---

(١) سورة آل عمران : ١٦١.

٥- والاقتصاد في المال العام :

لما كان المال العام في يد الحكومة كان ذلك مظنة للإسراف فيه ، أو لا تقتصد في الإنفاق منه ، لأنه لا صاحب له أو صاحبه عام غير محدد ، والإسراف كعدم الاقتصاد في المال كلاهما حرام لا يجوز للحكومة أن تمارسه.

وإذا كان الإسلام قد حرم الإسراف كله في المال الخاص ، فما بالنا بتحريمه في المال العام ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالي : ﴿ **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ [1]. وقوله سبحانه وتعالي ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ [2]. وقوله جل شأنه ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾ [3].

وإن بعض الحكومات يغريها المال العام فتسرف وتخصص لمن لا يستحق ما لا تملك هي علي وجه الحقيقة أن تسرف فيه ، ومن هنا تضطرب أمورها ، وتزداد مصروفاتها فتستدين وتعجز عن الوفاء بالتزاماتها ، فيكون التقصير في حق الناس ويكون الظلم والتجاوز.

وبعد : فإذا كان الأمر الأول الذي تحدثنا فيه وهو : صفات الحكومة المسلمة علي هذا النحو الذي ذكرنا من : شعور التبعة وشفقة علي الرعية وعدالة بين الناس وعفة عن المال العام واقتصاد فيه ، فإن هذه الصفات بعينها هي التي يمكن أن نقيس بها إسلامية الحكومة والتزامها.

واجبات الحكومة الإسلامية :

وقد حددها الإمام المؤسس فيما يلي ، حيث قال : « ومن واجباتها :

١- صيانة الأمن ،

٢- وإنفاذ القانون ،

٣- ونشر التعليم ،

٤- وإعداد القوة ،

٥- وحفظ الصحة ،

---

(١) سورة الأنعام : ١٤١. (٢) سورة الأعراف : ٣١

(٣) سورة الفرقان : ٦٧.

٦- ورعاية المنافع العامة ،

٧- وتنمية الثروة .

٨- وحراسة المال ،

٩- وتقوية الأخلاق ،

١٠- ونشر الدعوة » [1].

وفي تفصيل هذه النقاط العشر نقول وبالله التوفيق :

١- صيانة الأمن :

أي حمايته والسهر عليه ، والأمن تجب صيانته علي مستويين :

الأول : أمن المواطن .

والثاني : أمن الدولة .

وفي أمن المواطن تحدثنا عن ذلك ونحن نتحدث عن شفقة الحكومة بالمواطنين وتأمين حقوقهم جميعها وعلي رأسها حقهم في الأمن مما لا نحب أن نعيد القول فيه ، ولكني أوجز القضية كلها في كلمات هي :

إن من يهدد الأمن فردا أو جماعة يجب أن يلقي من الحكومة خطة وأسلوبا يحول بينه وبين ارتكاب الجريمة ، فإذا أفلت من هذه الخطة فأجرم فيجب أن يلقاه العقاب الذي حدده الله سبحانه ، ولا تأخذنا به رأفة لأن ذلك منهج الله وهو أرحم بخلقه من كل قانون ونظام وأحد.

وأما أمن الدولة فيعني المحافظة علي أمنها ضد أي عدوان عليها من خارجها، ولهذا شرع الإسلام الرباط في سبيل الله وشرع الجهاد لرد العدوان حينا ولنشر الدعوة أحيانا .

ولقد خلطت بعض الحكومات وأساءت فهم المعني الدقيق لأمن الدولة ، فلم تفرق بين أمن الدولة وأمن الحاكم ، فوجهت جهودها معظمها أو كلها لحماية الحاكم والحكومة من المعارضين وأنفقت أموال الدولة علي ذلك ، وإن حماية الحاكم مطلوبة لا شك في هذا ولكن الذي يحميه حقا هو عدله وسهره

---

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

علي مصالح الناس وتوفير كل حقوق الناس التي تحدثنا عنها آنفا ، إن العالم الثالث يعيش سوء فهم لمعني المعارضة السياسية ، إذ هي في الحقيقة اقتراح برامج وتصورات أحسن مما تقترحه الحكومة وعرضه علي المجالس التشريعية لمناقشته والأخذ به ، وكلما اقتنع الناس ببرنامج لحزب معارض سارعوا بانتخاب من يمثلونه في مجلس التشريع فإذا زاد عدد المنتخبين منه مارس هو الحكم - هذا تبسيط شديد للمعارضة -.

أما ما يجري في دول العالم الثالث فغير ذلك تماماً .

إن المعارضة تعني أن كل ما تنادي به الحكومة سئ حتي ولو كان صحيحا !!

وإن الاستيلاء علي الحكومة يعني ألا يسمح للمعارضة أن تعبر عن نفسها !! وبالتالي فليس التمثيل النيابي صحيحا ولا دقيقا لأنه يجري دائما تحت سيطرة الحكومة ، وليست المعارضة حقيقة تستهدف الحق والصالح العام وليست الحكومة مستوعبة أن مصلحة الوطن والمواطنين أكبر من مصلحتها في أن تستمر في السلطة . . .

وهكذا نجدها حلقة مفرغة ليس منها مخرج منطقي أو مخرج إصلاحي وهكذا يعيش العالم الثالث ، وسيظل هكذا إلي ما شاء الله ، أو إلي أن تفقه الحكومة أن السلطة ليست الهدف وإنما الهدف الإصلاح وأن التمثيل النيابي يجب أن يكون بعيدا عن أي مؤثرات وأن الحكومة ما يجوز لها أن تجري انتخابات هي طرف فيها ، وأن المعارضة يجب أن تستهدف صالح الوطن والمواطنين لا التشويش علي الحكومة في كل شئ حتي ولو كان حسنا .

هذا هو الأمن الحقيقي للدولة في الداخل .

وأما الأمن الخارجي فيتولاه الجيش ويستقل به .

٢- وإنفاذ القانون :

ونعني بالقانون القانون الإسلامي الذي يكفل لكل واحد من الناس كافة حقوقه ، ويلزمه بكل واجباته ، وما بين التمتع بالحقوق وأداء الواجبات تستقيم حياة الناس في الدنيا ، كما تستقيم لهم الحياة الأخري .

وإنفاذ القانون يعني تطبيقه علي الأفراد والجماعات والمؤسسات والأجهزة التابعة للدولة كلها دون تراخ ودون تفاوت في هذا التطبيق .

وإن التراخي في تطبيق القانون كتعطيله ، وتعطيل القانون معناه الفوضى وإهدار المعروف وإشاعة المنكر وتحويل المجتمع إلي مجتمع الغابة .

وقد تحدثنا فيما مضى عن بني اسرائيل الذين استحقوا الطرد من رحمة الله لأنهم كانوا لا يتناهون عن المنكر أي لا يطبقون شرعًا.

وإن التفاوت في تطبيق القانون ، أي التشدد في تطبيقه مع بعض الناس والتساهل فيه مع بعضهم ، كتعطيله كذلك وإهداره ، وقد تحدثنا فيما سبق عن بني إسرائيل كذلك حينما كانوا - كما حدث عنهم المعصوم ﷺ - « . . . **كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد** . . » .

وتلك آفة تدمر المجتمع وتلقي علي الحكومة عبء الظلم والجور ، وتصيب المجتمع بكثير من الأمراض والآفات التي من أهونها شرا - وما هي بهينة - أن يشعر الفرد في المجتمع بالاضطهاد ، وأن يبحث دائما عن سلطة أو جاه أو رشوة أو انحراف يمارسه ليتساوي مع غيره في الإفلات من القانون .

ومن البديهي أن القانون ما كان قانونا ولا استحق هذه التسمية « التي تعني وسيلة هامة من وسائل الضبط الاجتماعي » إلا إذا طبق علي كل الناس دون تفاوت ودون محاباة أو مجاملة .

وإذا كان القانون قمة التنظيم الاجتماعي للسلوك الإنساني فإنه يفقد تماما قيمته كلها ، وينزل عن قمته إلي حضيض آسن إذا دخله شئ من التفاوت في التطبيق لأي سبب من الأسباب.

إن علي كل حكومة مسلمة أن تتذكر دائما قصة القرشية التي سرقت علي عهد النبي ﷺ ، فلجأ ذووها إلي أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه ورجوه أن يشفع عند رسول الله ﷺ ، فذهب أسامة وفعل ، فقال له رسول الله ﷺ مستنكرا « **أتشفع في حد من حدود الله ؟ والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » علي كل حكومة أن تتذكر تلك

القصة وأن تقتدي ، عندئذ يمكن أن يقال : إنها تنفذ القانون .

٣- ونشر التعليم :

ونشر التعليم واجب أساسي لكل حكومة ، فالتعليم حق لكل مواطن كما أوضحنا آنفا ، وعلي الحكومة أن توفره ، كما أن علي المواطنين أن يساعدوها في توفيره .

وإن الحكومة الراشدة تستطيع أن تسوس مجتمعا من المتعلمين المثقفين أيسر وأحسن من أن تسوس مجتمعا لا ينتشر فيه التعليم ، لأن المتعلم أكثر تقبلا للنظام والانضباط وأكثر إحساسا بالواجب والتزاما به من غير المتعلم .

ونعني التعليم الواجب نشره علي الحكومة أمرين أساسيين في ظل الحكومة المسلمة :

أولها : تعليم المتعلمين أمور دينهم .

والثاني : تعليمهم ما ينفعهم في الحياة وييسر لهم الحصول علي العمل المناسب والكسب الشريف .

وليس تعليما ذلك الذي يقتصر علي واحد من هذين الأمرين الأساسيين ، بل لابد منهما معا ، وبحيث لا يطغي واحد منهما علي الثاني .

ونشر التعليم يتطلب إعداد مفرداته إعدادا جيدا وهذه المفردات هي :

١- المكان الملائم للتعليم المعد إعدادا يناسب كل نوع من أنواع التعليم ،

٢- والمعلم المؤهل الذي يحمل أمانة التعليم بإخلاص ،

٣- والمنهج الملائم لتربية الإنسان المسلم القادر علي ممارسة الحياة الكريمة ،

٤- وأدوات التعليم ووسائله ،

٥- والبرنامج المفصل ذو المحتوى الذي يحقق للمجتمع أهدافه ،

٦- والخطة الكاملة للتعليم ،

٧- والمال اللازم لكل ذلك دون تقتير ولا إسراف .

ذاك واجب الحكومة في نشر التعليم لا تستطيع أن تجد عنه حولا .

وإن الحكومة التي تتقاعس عن نشر التعليم بقصره علي أبناء الطبقة ذات الثراء ، أو التي تقصر في أدائه فلا يؤدي علي وجهه الأحسن ، إنما تحرم نفسها وتحرم المجتمع الذي تحكمه من خير كثير ، فقد يكون في أبناء الفقراء من هو نافع حسن الاستعداد لو أتيحت له فرصة تعليم لتفوق وبرز ، وقد تحرم أبناءها جميعا - إن هي قصرت في أداء العملية التعليمية علي وجهها الصحيح من اكتشاف عباقرة ومخترعين وأفذاذ هي في مسيس الحاجة إليهم ، لأنها بهم تتقدم وترقى في تناولها للحياة .

ومن أسوأ صور الأداء للتعليم ذلك التعليم الذي يقوم علي حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات ليفرغوها مرة ثانية في أوراق الإجابة علي أسئلة الامتحان، لأن الهدف الحقيقي من التعليم هو : إقدار المتعلم علي التفكير الصحيح والبحث والإضافة والكشف والاختراع ، وإن ذلك كله من فساد فلسفة حشو الأذهان بالمعلومات ؟ .

وإن للتعليم لمشكلات عديدة يعرفها جيدا المشتغلون به وبقضاياه ، مشكلات متصلة بفلسفته وقيمه ومنهجه ومعلمه ومكان التعليم وخطة الدراسة والأولويات بين المقررات وطرق التدريس وأهداف المقررات وغير ذلك .

وإن التغلب علي هذه المشكلات يجب أن تتضافر حوله الجهود ؛

جهود الحكومة التي تسيطر علي الدولة ،

وجهود القائمين علي التعليم العارفين بمتطلباته ،

وجهود أهل الرأي والعلم والخبرة من خارج الحكومة ومن خارج المعلمين،

وجهود الميسورين ماليا من أبناء الوطن الذين يمكن أن يتبرعوا للتعليم من أموالهم ويوقفوا عليه الأوقات كسنة المسلمين علي مدى مئات السنين.

لكن عيبنا في العالم الثالث أن الحكومة تريد أن تستقل بكل شئ مادي أو معنوي وما هي بقادرة علي ذلك ، بل هي غافلة أشد الغفلة في هذا الموقف ، إن عليها أن تفتح قنوات الإتصال بينها وبين كل قادر علي اقتراح جيد في مجال التعليم أو قادر علي تبرع بجهد أو مال ، ولتترك جانبا هذا الزخم السياسي الردىء الذي حول التعليم إلي ما هو عليه من جدب في الفكر وفي المال

وضلال عن الهدف والغاية ، إن المظاهرات الإعلامية في التعليم لا تغني شيئا، وإنما التعاون بين كل قادر علي أن يبذل مجهودا . ألا هل بلغت . . .

٤ – وإعداد القوة :

الحكومة مسئولة مسئولية مباشرة عن أن يكون للوطن قوة تحميه من أعدائه، وما من وطن إلا وله أعداء طامعون فيه ، يبغون عليه إن استطاعوا ، تلك سنة الحياة البشرية يتعادي الناس ويتحاربون تحركهم في ذلك الأطماع والأحقاد إلا من رحم ربك ، ومن أجل ذلك كانت الحروب ولا تزال قائمة بين الناس.

ومن أجل هذا كان من واجب أي حكومة أن تعد للوطن قوة تحميه من أي عدوان والقوة هنا تعني أمورا أهمها :

أ– إعداد الجيش القوي المرابط علي حدود الوطن يحرسها ويحميها ،

ب– وإعداد المجاهدين في سبيل الله لتبليغ دعوة الله إلي عباده وفق نظام الإسلام في الدعوة إلي الله ووفق تصنيفه للمدعوين ،

جـ– وإعداد القوة المادية من أسلحة وعتاد ووسائل مادية أخري ،

د– وإعداد القوة المعنوية التي تحرك الجيوش وتوضح لها الهدف وتقنعها بضرورة الوصول إليه والتضحية من أجله .

ولقد جعل الإسلام لكل شيء من ذلك نظاما تضمنه المنهج ، حيث اهتم بالدرجة الأولي بإعداد الفرد إعدادا روحيا عقليا بدنيا ثم إعداده عسكريا ليكون مؤهلا للجهاد في سبيل الله ، كما وفر المنهج الإعداد المعنوي والمادي علي نحو ما ذكرنا في الفصول السابقة من الكتاب .

وإن التاريخ ليحدثنا أن أمة من الأمم لم تغلب علي أمرها ولم يقهرها عدو لها إلا بتقصير حكومتها في إعداد القوة اللازمة لها ، أو إهمالها ، بل إن وراء كل هزيمة تحيق بأمة حكومة قصرت أو تكاسلت في إعداد القوة اللازمة.

غير أن القوة التي تعدها الحكومة المسلمة ليست قوة عدوان ولا توسع علي حساب الآخرين – كما تفعل معظم حكومات العالم وبخاصة من يتشدقون منهم بالحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة ، إن البلاد التي استولت عليها

هذه الحكومات المتشدقة بهذه الشعارات كثيرة ، وما من بلد منها كان لمن احتلها حق فيها أو شبهة وإنما المطامع والرغبة في العدوان.

وإنما القوة التي تعدها الحكومة الإسلامية قوة ردع للظالمين حينا ، وقوة جهاد في سبيل الله لتبليغ دعوته أحيانا ، قوة تؤمن جيرانها لا تفزعهم فضلا عن أن تعتدي عليهم وتحتل بلادهم.

٥ - وحفظ الصحة :

وذاك واجب حيوي من واجبات الحكومة الصالحة ، وهو يتمثل في شعبتين:

الشبعة الأولي :

وقاية المواطنين من الأمراض بتوفير أسباب الصحة والنظافة ومقاومة الآفات والأوبئة والتلوث للبيئة ، ومدّ الناس بأسباب كل ذلك وتيسيرها لهم ، أي دفع الأضرار والأمراض قبل أن تقع ، ويدخل في ذلك توعية الناس بالأمراض وكيفية توقيها ، وحشد كل الطاقات والإمكانات لذلك .

والشعبة الثانية :

علاج المواطنين إذا أصابتهم الأمراض علاجا جيدا يأخذ بأرقى أسباب العلاج المتقدمة ، وتوفير كل الاحتياجات اللازمة للمريض ، لإن إعداد نفسه للعلاج ليس أقل أهمية من إعداد بدنه كذلك .

وهذه الوقاية وذلك العلاج لا يكونان من فراغ أو بمجرد الأماني أو التصريحات التي يجيدها كثير من الحكام ، وإنما يتطلب ذلك ما يلي :

أ- إعداد الأطباء والطبيبات المؤهلين علي أحسن مستوى في مجال الطب الوقائي والطب العلاجي ،

ب- وإعداد المرضين والممرضات المؤهلين لذلك تأهيلا مناسبا ،

جـ- وإعداد العمال والعاملات اللازمين للمشافي والمستوصفات إعداداً جيدا،

د- وإعداد المشافي والمستوصفات والوحدات العلاجية اللازمة ،

هـ- وإعداد الأدوية ، ووسائل التمريض جميعها .

و- وإعداد المختصين الذين يقومون بأي خدمات صحية أخري .

إن المحافظة علي الصحة لا تقل أهمية عن العمل علي نشر التعليم ، والحكومة التي تحكم شعبا صحيحا تستطيع أن تشق طريقها في مجال الإصلاح والعمل والإنتاج ، بينما لا تستطيع ذلك ولا شيئا منه حكومة لا تولى مواطنيها الرعاية الصحية الملائمة .

وإن الأخذ بأسباب الصحة والتعرف الدقيق المفصل علي أسباب الصحة والوقاية من المرض يجب أن تتضمنها برامج التعليم في مراحله المختلفة ، ويجب أن تتعاون في نشر ذلك وسائل الإعلام كلها ، وإنه إذا استطاعت المدرسة أن تنهض بهذا العبء لدي المتعلمين ، واستطاعت وسائل الإعلام أن تتعاون معها ، فإن الدولة أو الحكومة تستطيع أن توفر كثيرا مما تنفقه علي العلاج .

وإن ترك مكان غير نظيف تتجمع فيه المياة الآسنة أو القاذورات ، والإهمال في تنظيفه وتنقيته من «الميكروبات» وغيرها ، أو الإهمال في الصرف الصحي ، أو الإهمال في مد الناس بالمياه النقية الصالحة للشرب ، إن بعض ذلك فضلا عن كله يكلف الحكومة ما لا تطيق ويجعلها في حرج من أمرها كله ، ويصمها ويسيء إليها ، ويعود بمزيد من الأضرار والأمراض علي المواطنين .

وللإسلام في ذلك سبق يذكر فيشكر عندما يقع الوباء «الطاعون» في بلد ، إذ يوجب علي المقيمين في هذه البلد ألا يغادروها ، ويوجب علي من كانوا خارجها ألا يدخلوها ، لأن تلك هي الوقاية الحقيقية قبل العلاج إذا وقع المرض ، ونعود فنذكر هنا بضرورة تسوية الطريق لتعبر عليه البغلة في أمان دون أن تتعثر لندرك ماذا يجب أن تفعل الحكومة الصالحة للإنسان لا للحيوان ، إن للحيوان علي الحكومة الصالحة حقوقا كفلها له الإسلام ، فما بالنا بأفضل مخلوقات الله وهو الإنسان ، أو إن شئنا الدقة أفضل أكثر مخلوقات الله تعالي لنتقيد بالآية الكريمة التي تقول : ﴿ ... **وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾ والآيات عن بني آدم « الإنسان » [1].

(١) الإمام البنا : رسالة التعاليم .

٦- ورعاية المنافع العامة :

والمنافع العامة كثيرة ومتفرعة وكلها واجبة الرعاية والتعهد ، وإلا عاد الإهمال فيها بالضرر والمرض علي المواطنين جميعا ، ولا تستطيع هذه المنافع العامة أن تؤدي عملها بكفاية إلا إذا صينت وتعهدت وحدث لها باستمرار إحلال وتجديد.

وهذه المنافع العامة تتمثل علي سبيل التوضيح فيما يلي :

- شبكات الطرق والجسور ،
- وشبكات المياة الصالحة للشرب ،
- وشبكات الصرف الصحي ،
- وشبكات المواصلات ،
- وشبكات الاتصالات السلكية وغير السلكية ،
- وشبكات الكهرباء ،
- وشبكات الرى والصرف في الزراعة ،
- والمصانع علي مختلف أنواعها ،
- والحدائق والمنتزهات ، والتشجير ،
- وكل ما يعود علي المواطنين بفائدة في كل شعبة من شعب الحياة .

هذه المنافع العامة يجب علي الحكومة أن ترعاها أحسن الرعاية ، وإنما يكون ذلك بأمور أهمها لدينا - وعلم دقائقها عند المختصين - ما يلي :

أ- إنشاء غير المنشأ منها لتغطية احتياجات الناس إليه ، وفق خطة تحدد هذه الاحتياجات وتحدد بينها الأولويات .

ب- وصيانة المنشأ منها وتعهده حتي لا يتلف أو يعجز عن أداء وظيفته والصيانة ينبغي أن تكون عملا مستمرا لا يتوقف .

جـ- وتطوير المنشأ منها تطويرا يلائم ما وظفت هذه المنشأت له .

د- والنظر المستمر في احتياجات الناس في ظل المتغيرات المستمرة في الحياة

لكي تواكب الحكومة هذه المتغيرات وتواجهها مواجهة تسد الخلل والقصور وتتلافي العيوب ، وتحقق الأهداف .

وليس بلائق من حكومة من الحكومات أن تكون المنافع العامة فيها قد تقادمت ومع ذلك لا تفكر في تجديدها إلا بعد فسادها ووقوع الكوارث .

وإذا تخلت الحكومة عن هذه الرعاية فإن هذه المنافع وشيكا ما تفقد القدرة علي أداء وظائفها ، فتتضاعف المشكلات في المجتمع ويحدث التعويض لكل إصلاح بل لكل عمل وإنتاج وكما قلنا من قبل ونقول الآن ، إن المواطنين جميعا يجب أن يتعاونوا مع الحكومة كل فيما يستطيع ، وهذا التعاون واجب شرعي قبل أن يكون وطنيا .

والذي يحمل المواطنين علي التعاون مع الحكومة ليس هو قهر القانون ولا قوة البطش بالمقصر ، وإنما هو العدل في التعامل مع المواطنين وإعطاؤهم حقوقهم التي تحدثنا عنها فيما سلف ، والالتزام بتطبيق القانون علي كل أحد .

٧- وتنمية الثروة :

إذا كانت التنمية الاجتماعية هي الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع بزيادة قدرة أفراده علي استغلال الطاقة المتاحة إلي أقصى حد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية لهؤلاء الأفراد بأسرع من معدل النمو الطبيعي - كما عرفتها معاجم العلوم الاجتماعية ، فإن تنمية الثروة تقف في قمة ما يجب أن تنميه الحكومة الصالحة .

والثروة هي كل الممتلكات ذات القيمة التبادلية وتشمل - علي مستوي الفرد - الموارد الصالحة لإشباع الحاجات سواء كانت سلعا مادية أم حقوقا قِبلَ الآخرين ، وتشمل - علي مستوى المجتمع - الموارد الطبيعية والسلع المملوكة ملكية جماعية كالمرافق العامة والمناجم والطرق والسكك الحديدية وغيرها .

ولما كان واجب الحكومة الرئيسي هو تنمية الثروة علي مستوى المجتمع ، إذ هي مطالبة بأن تعمل كل ما في وسعها لتنمية الموارد الطبيعية في المجتمع قادرة

علي الاستجابة لتحقيق الاحتياجات للمجتمع وفق ما يحدث في المجتمع من متغيرات ، وكل مورد من موارد الثروة في المجتمع ما لم تشمله الحكومة بالخطة القادرة علي تنمية أدائه وتحسينها وزيادة عطائه ، فإنها حكومة متخلية عن واجب هام من واجباتها .

وإذا لم تقم الحكومة بتنمية الثروة فإن الموارد سوف يأتي عليها وقت لا تكفي قدراتها علي سد احتياجات الناس ، وعندئذ تدخل الحكومة في الضوائق المالية ويعاني الناس من قلة المعروض وارتفاع الأسعار ، ثم يكون القلق الاقتصادي فالعجز عن سد الاحتياجات وهكذا.

أما الثروة علي مستوي الأفراد فواجب تنميتها علي أصحابها بالدرجة الأولي، غير أن الحكومة تستطيع أن تقوم مع الأفراد بعمل جليل فتساعدهم علي ذلك بإنشاء المشروعات التي يمكن أن يسهم فيها الأفراد بما لديهم من مال أو جهد ، فيحققوا بذلك تنمية لمواردهم التي تصلح لإشباع حاجاتهم المادية والمعنوية .

أما أن تسحب الحكومة يدها من مجال تنمية موارد الثروة علي مستوى الأفراد ، فهذا تبديد لثروة الأفراد وتعجيز لهم عن تنميتها من جانب - إذ الحكومة أوسع قدرة وأكثر إمكانيات من أي فرد علي حدة مهما يكن - كما أن تبديد ثروة الفرد تبديد لثروة الدولة كلها من جانب آخر .

هذا واجب الحكومة الصالحة ، لا فكاك لها منه ، ولا يقبل منها تقصير فيه إن أرادت أن تكون حكومة صالحة.

٨- وحراسة المال :

والمقصود بهذا المال - في مجال الحديث عن واجبات الحكومة - هو المال العام الذي يتمثل في إيرادات الحكومة ومصروفاتها ، الحكومة بكافة أجهزتها ومؤسساتها سواء أكانت محلية أو قومية .

والمال العام يتكون من الإيرادات المتمثلة في الضرائب التي تفرضها الحكومة علي الناس ، وفي أموال الزكاة التي يجب أن يؤديها المسلمون ، وفي التبرع

من أهل الخير للمصلحة العامة .

ومن صميم حراسة هذا المال العام أن تحدد الحكومة وجوه الإنفاق العام لها، وما بين هذه الإيرادات والإنفاق تعد موازنة الدولة فتحقق فائضا أو عجزا بزيادة أحد الطرفين علي الآخر.

ومن المتفق عليه الآن ، أو مما يعد من الأفكار الاقتصادية السائدة أن الحكومة تستطيع أن تحدث تكيفا بين مستويات الإنفاق العام والإيراد والقروض للتخفيف من حدة الأزمات الدورية ، ورفع مستوى العمالة وتوفير الرخاء الاقتصادي .

والحكومة الصالحة هي التي تستطيع أن تزيد من مواردها بحيث تستغني عن القروض ، وأن تضغط إنفاقها بحيث يقل عن إيراداتها أو يساويها فتعيش استقرارا اقتصاديا ، كما أنها لا ينبغي أن تسرف في فرض الضرائب خشية محاذير كثيرة ليس أهونها أن ينصرف أصحاب النشاط الاقتصادي عن نشاطهم، فيقل الإنتاج وتزيد البطالة ، كما أنها لا يحق لها أن تأخذ من الأغنياء اعتباطا فتغدق علي الفقراء خشية أن يستمرئ الفقراء فيقعدون عن العمل والإنتاج .

إن كل عمل تقوم به الحكومة الصالحة يجب أن يأخذ في اعتباره كل الإيجابيات وكل السلبيات وأن يقدر الظروف والملابسات دون إسراف أو تقتير.

إن الحكومة وهي تمارس وسائل تنمية الموارد لديها وترشد أوجه الإنفاق إنما تقوم بحراسة المال العام خير حراسة ، إذ ليست الحراسة هي التحفظ عليه ولكن إحسان إنفاقه وترشيد هذا الإنفاق.

فإذا أخلت الحكومة بتنمية الموارد أو أسرفت في وجوه الإنفاق أو لجأت إلى القروض ، وما تستتبعه القروض من فوائد ربوية تعجز عن أدائها - كما هو الحال في كثير من بلدان العالم الثالث أو النامي أو البائس الفقير دون مواربة ، إذ تصر الدول الغنية أو الصناعية أو دول الشمال علي أن يظل العالم الثالث هكذا لا ينهض من كبوته لفوائد ضخمة تجنيها من وراء هذا الوضع - فضلا عما يترتب علي ذلك من تبعية سياسية واجتماعية وفكرية وثقافية - إن الحكومة التي لا تستطيع أن تنمى مواردها تفقد صفة الحكومة الصالحة .

إن تنمية الموارد تعني في مدلولها الذي نؤثره هنا تنمية المجتمع كله أي تعبئة جهود الأفراد والجماعات في المجتمع وتنظيمها وتوجيهها للعمل المشترك مع الهيئات الحكومية بأساليب « ديموقراطية » لحل مشاكل المجتمع ورفع مستوى أبنائه اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ومقابلة احتياجاتهم بالانتفاع الكامل بكافة الموارد الطبيعية والبشرية والفنية والمالية المتاحة.

٩- وتقوية الأخلاق :

وربما كان ذلك أهم واجب من واجبات الحكومة ، بل هو الواجب الذي تقوم عليه سائر الواجبات ، وهو البداية الحقة للإصلاح.

والإصلاح الأخلاقي لأي أمة من الأمم هو البداية الحقيقية لنهضتها ووقوفها في صف الأمم الراقية المتحضرة التي تعيش حياة سعيدة ، وتؤدي ما عليها من واجبات وتمارس ما لها من حقوق.

وإن أي خلل في إصلاح الأخلاق يجعل كل ذلك في انهيار وضياع ويحول بين الأمة وبين أن تأمن فضلا عن أن تستقر فضلا عن أن تأخذ طريقها في مجال التحضر.

والحكومة الصالحة لابد أن يكون أهم أهدافها تقوية الأخلاق ، وبخاصة الحكومة المسلمة ؛ لأن الإسلام إنما جاء ليتمم مكارم الأخلاق أو محاسنها كما ذكرنا ذلك آنفا ، وإنما كان ذلك كذلك لأن الخلق إذا صلح فقد صلح كل سلوك للإنسان بل صلح كل شئ في حياته ولم يعد بحاجة إلي رقابة من الحكومة لأن رقيبه هو خُلقه الملتزم بأدب الإسلام.

فكيف تقوى الحكومة الصالحة أخلاق الناس ؟

إنها لن تستطيع ذلك إلا إذا التزمت التزاما دقيقا بأمور عديدة من أهمها ما نذكره الآن :

أولا :

أن تعطي القدوة وتضرب المثل وتعطي الأنموذج الأخلاقي الفاضل في أخلاقها وأخلاق مؤسساتها وأجهزتها والقائمين علي كل ذلك والعاملين فيها ،

فإن استطاعت أن تفعل ذلك فقد قطعت نصف الشوط بل ربما أكثر من نصفه في تقوية أخلاق الناس وتقويمها ، لأن الناس دائما مشغوفون بأن يقلدوا كبراءهم ورؤساءهم .

ولقد ضربت الحكومات الإسلامية علي فترات قصيرة من تاريخ الإسلام في ذلك أروع الأمثال.

ثانيا :

أن تلزم الناس إلزاما بالخلق الفاضل ، ولها أن تأطرهم - أي تجبرهم - عليه أطرا لأنه حق وواجب ، فلا تتساهل مع أي متنكر للأخلاق الفاضلة وإنما تأخذه بالحزم اللازم وفي الوقت الملائم ، ولن تستطيع أن تقوم بذلك إلا أن يكون لها محتسبون يجوبون الشوارع آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر يشجعون الناس علي الفضائل ويحملونهم عليها حملا ، ومعني ذلك أن رجال الحكومة وقوات الأمن مطالبون بأن يمارسوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولن يكون ذلك إلا بعد أن يدرسوا الإسلام دراسة جيدة ، وبهذا تحيي الحكومة ركنا هاما من أركان الدعوة إلي الله .

ثالثا :

أن تجعل تقوية الأخلاق وتقويمها ضمن برامج التعليم فيها في كل مراحله ، وأن تجعله كذلك ضمن برامج الإعلام في كل وسائله المرئية والمسموعة والمقرءوة ، وأن تشرف علي ذلك إشرافا دقيقا وأن تتابع أداء هذه الأجهزة الحكومية وتقوم هذا الأداء وتحاسب علي التقصير فيه ، وأن تجند لذلك الأكفاء والخبراء من القادرين علي صياغة برامج التعليم وصياغة وسائل الإعلام في صورتها الإسلامية الراشدة التي لا تحرم الناس من بعض الترفيه والتسلية فيما أحل الله .

ومهما أنفقت الحكومة في هذا السبيل من أموال ، فإن مردود هذه الأموال سيكون في صالح الحكومة والمجتمع بكل تأكيد ، مردود اقتصادي حقيقي ، يتمثل في انصراف الناس إلي أداء ما عليهم من واجبات نحو أنفسهم ونحو المجتمع ونحو الحكومة نفسها ، وفي هذا ما فيه من وفرة إنتاج وجودة له

وتنمية للموارد .

كما يتمثل ذلك في قلة الجرائم وانصراف الناس عن الباطل بكل أنواعه لأن أخلاقهم قد استقامت ، وفي هذا توفير أموال طائلة تنفقها الحكومة في تعقب المجرمين ومطاردتهم ، وهذا أيضا ترشيد لإنفاق الحكومة يعود بالنفع والفائدة علي اقتصاد البلاد.

١٠- ونشر الدعوة :

وإن نشر دعوة الخير لممهد ومتمم لتقوية الأخلاق ، والدعوة هي الدعوة إلي الحق إلي الله إلي منهج الإسلام في الحياة وإلي نظامه وأخلاقه وهديه.

وإذا كان كل مسلم مطالب - علي سبيل الوجوب - بأن يدعو إلي الله علي بصيرة لقوله تعالي علي لسان نبيه محمد ﷺ : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلي الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (١) فإن الحكومة مطالبة بذلك علي جهتين :

من جهة أنها أفراد وكل فرد تجب عليه الدعوة إلي الله ،

ومن جهة أنها حكومة نيط بها أمر الدعوة كلها وتوجيه العمل فيها وتأمين احتياجاتها جميعا وذلك صميم عملها وواجبها .

وإن القول بأن الحكومات في البلاد الإسلامية تقوم بنشر الدعوة عن طريق من يقومون بالوعظ من العلماء الذين توظفهم لذلك وهذا يكفي . . . قول منطوٍ علي بعض المغالطات وسوء فهم الدعوة ، ولنذكر من ذلك ما يلي :

أ- أن هذا العدد من الوعاظ لا يكفي بحال لأن الناس دائما في حاجة إلي من يذكر ويعين ولقاء الوعاظ بالناس إنما مرة كل أسبوع أو مرتين .

ب- أن الأصل في نشر الدعوة أن يمارسه كل مسلم قادر عليه ، لأن الله سبحانه أمره بذلك ، أما الوعاظ المتخصصون في علوم الشريعة فإن عملهم - علي مستوى تخصصهم - هو إفتاء الناس في أمور دينهم لأن هذا لا يستطيعه غيرهم من الدعاة.

---

(١) سورة يوسف : ١٠٨.

جـ- أن البصيرة في الآية الكريمة لا تعني التخصص ولا التخصص الدقيق في علوم الشريعة ، وإنما تعني - والله أعلم بمراده - أن من علم شيئا من الإسلام وفقهه دعا غيره إليه مهما كان هذا المعلوم بسيطا ، وعلي سبيل المثال فإن من علم أحكام الوضوء والغُسل وأحكام الصلاة أو غير ذلك كان عليه الدعوة إلي هذا الذي علمه فقد تكونت لديه فيه بصيرة.

علي أن الحكومة عليها في نشر الدعوة عبء آخر له أهميته ، هو نشر الدعوة الإسلامية خارج بلاد المسلمين أوخارج الوطن الذي تحكمه ، فهذا العمل في نشر الدعوة لا يستطيعه فرد بنفسه وإنما يحتاج إلي جهد حكومة .

وعلامة صلاح حكومة من الحكومات في العالم الإسلامي أن يكون لها برنامج في نشر الدعوة إلي الله في داخل وطنها وفي خارجه ، لأن الإسلام دين عالمي يجب أن يبلغ لجميع الناس في كل مكان وزمان ، وما لم تصل الدعوة إلي الله إلي كل أحد فإن الحكومات القادرة علي ذلك تقع في الإثم والحرج .

وتوجيه دعوة الله إلي المسلمين يعني محاولة نقل بعضهم من المعصية إلي الطاعة ومن الضلال إلي الهدى ، وذاك واجب شرعي علي كل قادر عليه.

وإذا مارست الحكومة نشر الدعوة في الناس أمنت أن ينحرف الناس عن الحق إلي الباطل وعن الهدي إلي الضلال ، وفي هذا تقوية للأخلاق وتقويم لها ، وإذا قويت الأخلاق كانت الإيجابية والعمل والإنتاج والأمانة والإخلاص والتجاوب مع كل ما تطلبه الحكومة ، لأن قوة الأخلاق معناها الالتزام بمنهج الله سبحانه في الحياة ، وإذا التزم الناس والحكومة بمنهج الله فلابد أن يكون تقدم تحضر ورقي ، وسعادة في الدنيا والآخرة.

وبعد : فهذا هو الأمر الثاني الذي وعدنا بالحديث فيه وهو واجبات الحكومة المسلمة الصالحة .

ويبقي حديثنا عن الأمر الثالث وهو :حقوق هذه الحكومة علي الناس. وهذا ما سوف نتحدث فيه في الصفحات التالية :

جـ- حقوق الحكومة الصالحة :

الحكومة الصالحة لا توصف بالصلاح إلا إذا كانت مسلمة وأدت واجبها علي النحو الذي بيناه آنفا . . .

فإذا أدت هذه الواجبات نشأ لها في أعناق المسلمين حقوق ، ووجب عليهم أن يؤدوا هذه الحقوق وجوبا شرعيا قبل أن يكون وجوبا اجتماعيا أو سياسيا أو عرفيا ، ومن قصر في أداء حقوق الحكومة الصالحة المسلمة فقد أثم واستحق عقاب الله طالما هو قادر علي هذا الأداء ، ذلك منهج الإسلام ونظامه في تعامل المحكوم مع الحاكم ، وجمهور الناس مع حكوماتهم.

فما حقوق الحكومة المسلمة الصالحة التي أدت واجباتها نحو الناس ؟

لقد حددها الإمام المؤسس في كلمات هي :

١- الولاء والطاعة ،

٢- والمساعدة بالنفس والمال ،

٣- والنصح والإرشاد عند التقصير ،

٤- والخلع والإبعاد عند عدم الاستجابة للنصح ، لأنه من المقرر في الإسلام أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وهذا التركيز من الإمام المؤسس في تحديد الحقوق التي للحكومة علي المحكومين يستدعينا أن نفصل فيه بعض التفصيل ، سائلين الله تبارك وتعالي العون والتوفيق.

الحق الأول للحكومة :

الولاء والطاعة :

والولاء : هو القرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد .

والطاعة : الانقياد ، وضدها الكُره ، وأكثر ما تستعمل الطاعة في الائتمار لما أُمر والارتسام فيما رسم ، وهذا الذي للحكومة علي الأفراد ، إذا كانت

الحكومة إسلامية ولم تأمر بمعصية لله سبحانه وتعالي .

والأصل في كل حكومة أن تضع للإصلاح في المجتمع خطة ، وأن تستعين بالأفراد علي تنفيذ هذه الخطة ، وفي تلك الحال فإن الأفراد عليهم مناصرة الحكومة فيما وضعت من خطة ، ما دامت هذه الخطة ليس فيها ما يغضب الله أو يخالف منهج الإسلام .

والمناصرة والتأييد والطاعة من الأفراد للحكومة تستدعي منهم تقديم الجهد المادي والمعنوي للحكومة والإخلاص فيه ، والمشاركة في تنفيذ الخطة بكل ما يستطيع الفرد في مناصرة الحكومة المسلمة الصالحة وتأييدها وطاعتها فيما طلبت منه ، فإن لم يفعل الفرد ذلك فقد أثم لأنه أنكر للحكومة حقا عليه أوجبه الله في قوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ [1] ، فطاعة أولياء الأمر واجبة شرعا ، والحكومة ولي أمر من تحكمهم .

وروي الشيخان بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **« علي المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أنْ يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »** .

وروي البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة »** .

وروى البخاري أيضا بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني »** .

إن الإسلام يقيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم علي أساس تبادل الحقوق والواجبات فيعطي للحاكم المسلم أو الحكومة المسلمة من الحقوق علي الأفراد كفاء ما عليها من الواجبات نحوهم .

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

وقد فصلنا هذه الواجبات آنفا .

وليس كالإسلام في ذلك منهج أو نظام ، لفارق بسيط هو أن الإسلام يجعل الفرد وهو يعطي الحاكم أو الحكومة حقها متقربا بذلك إلي الله ، وليس خوفا من سطوة حاكم أو سلطان حكومة أو رهبة من عقاب ، وكذلك يفعل الإسلام مع الحكومة وهي تؤدي واجباتها نحو الأفراد ، فيجعلها متقربة بذلك إلي الله سبحانه ، وليس خشية من تذمر أو شق لعصا الطاعة أو تذمر أو انقلاب .

وهو فارق جوهري أخلاقي يمثل الالتزام في أحسن صوره وأولاها بالإنسان وكرامة الإنسان .

إن الإسلام لا يقر نفاق الأفراد للحكومة مع إضمارهم الشر لها ، كما لا يجيز للحكومة أن تظهر للأفراد اللين والموادعة حتي يهدأوا وتأمن جانبهم فإذا تمكنت منهم عصفت بهم ، لأن هذا وذاك يناقضان خلق الإسلام ومنهجه ونظامه .

وإن تملق عواطف الغوغاء لا يجوز في الإسلام بحال ، وإنما علي الحكومة أن تدعو إلي الحق ، وأن تلزم الناس به ، وأن تعامل الخاصة والعامة علي نسق سواء .

ولعل الذين يجأرون بمكاسب الشعب وحكم الشعب بالشعب ثم يبيتون للشعب ما يتسبب في جوعه وعريه وعجزه عن الحصول علي مأوي ، لعلهم يتأملون في منطق الإسلام في التعامل مع الناس ، ويتدبرون منهجه ونظامه وما يقوم عليه من قيم أخلاقية رفيعة تأبي الغش والخداع والنفاق وتملق عواطف الجماهير إلي حين ، ثم الانقضاض علي هذه الجماهير بكل داهية بعد أمن هدوئها لعلهم يتأملون ويتدبرون ويختارون.

٢- والمساعدة بالنفس والمال :

أثبتنا للحكومة المسلمة الصالحة حقا عند الأفراد يتمثل في الولاء والطاعة ، ونثبت لها هنا حقا آخر مترتبا علي الحق الأول غالبا، ومستقلا عنه أحيانا هو:

المساعدة بالنفس والمال .

وذلك أن الحكومة المسلمة الصالحة عندما تكون في حرب مع عدو لها من غير المسلمين ، فإن من حقها علي الأفراد أن يساعدوا بالنفس والمال ، لأن القضية حينئذ قضية جهاد في سبيل الله والجهاد فرضه الله علي المسلمين لرد أي عدوان ، ولم يسمح به للعدوان علي الآخرين .

والأصل الشرعي في ذلك هو قوله تعالي **﴿ إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾**[1] وقوله سبحانه وتعالي : **﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخري تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾** [2].

وروي البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أتي رجل إلي رسول الله ﷺ فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : « **مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله** » قال : ثم من ؟ قال : « **مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره** » .

وفي الموضوع أحاديث نبوية كثيرة يمكن الاطلاع عليها في أي كتاب من كتب السنة النبوية تحت عنوان : باب الجهاد أو كتاب الجهاد أو باب السير أو المغازي ...

وهذا الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس هو حق الحكومة المسلمة الصالحة علي المواطنين فيها ما دامت المعركة في سبيل الله وليست عدوانا علي أحد ولا إثارة لفتنة بين المسلمين .

---

(١) سورة التوبة : ١١١. (٢) سورة الصف : ١٠-١٣.

أما في غير الحرب كأن تكون للحكومة خطة إصلاح تستدعى التضحية بالجهد أو الوقت أو المال فإن ذلك من حقها كذلك علي كل فرد فيها قادر علي ذلك ، وما دامت لها حق الولاء والطاعة فإن التضحية بالمال والجهد والوقت هو الترجمة الحقيقية لهذا الولاء ولتلك الطاعة .

هذا أمر مقرر في الإسلام لكل حكومة مسلمة صالحة علي كل فرد من أفراد المسلمين طالما لم تأمر هذه الحكومة بمعصية لله ، أو لم تشن حربا فيها فتنة للمسلمين حين تقاتل مسلمين آخرين ، إذ يجب عندئذ العمل علي الصلح بين المسلمين ، كما أوجب ذلك القرآن الكريم في قوله تعالي : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفيء إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾ [1].

والآية الكريمة أوضح من أن تحتاج إلي شرح أو تفسير ، فهي تؤكد لكل مسلم أن الدخول في معركة بين المسلمين بعضهم ضد بعض ، فإن أول ما يجب علي المسلمين في هذه الحالة أفرادا وجماعات هو الصلح بينهما ، الصلح الذي تخضع شروطه وآدابه لمنهج الإسلام ونظامه وأخلاقه .

فإن أصرت إحدى الطائفتين علي ألا تستجيب لصوت الحق ومحاولة الصلح وأخذت تعتدى علي الأخري ، فإن واجب المسلمين حينئذ أفراداً وجماعات كذلك هو التصدى لهذه الباغية وقتالها حسما للشر ودرءاً للخطر الواقع بالمسلمين جميعا ، حتي ترجع إلى منهج الله ونظامه في التعامل بين المسلمين ، فإذا عادت إلي صوابها عاد المسلمون إلي الصلح بينهما بالعدل والقسطاس ، وذلك لأن المؤمنين جميعا إخوة ما ينبغي لهم أن يتقاتلوا ، وإنما يكون بينهم الصلح والتفاهم ، فذلك يجلب عليهم رحمة الله ورضوانه .

---

(١) سورة الحجرات : ٩: ١٠.

٣- والنصح للحكومة وإرشادها :

عندما تخالف الحكومة المسلمة شيئا من منهج الإسلام ونظامه ، أو تخل بشيئ من أخلاقه وآدابه ، فيترتب علي ذلك ما يترتب من شر وإثم يتضمن تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ، فإن هذا الموقف منها يوجب علي الناس جميعا أفرادا وجماعات أن يقدموا لهذه الحكومة النصح والإرشاد مخلصين في نصحهم مشفقين في إرشادهم سالكين السبل الصحيحة التي يقرها الإسلام للنصح والإرشاد ، فهذا واجبهم وهو في الوقت نفسه : حق الحكومة عليهم.

أما الشغب علي الحكومة دون نصحها والعمل علي خلعها والثورة ضدها قبل إرشادها فلا يرضاه الإسلام ولا تقره الشريعة .

هذا الحق قررته الشريعة الإسلامية ، ونستطيع أن نلتمس جذوره وأصوله في نصوص الدين من الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

قال الله تعالي علي لسان نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ **قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ (١).

ونفس المقولة قالها هود عليه الصلاة والسلام ، قال تعالي في ذلك: ﴿ **قال يا يقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العاملين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين** ﴾ (٢).

وقد قالها صالح عليه الصلاة والسلام في قوله تعالي : ﴿ **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** ﴾(٣).

وقالها شعيب عليه الصلاة والسلام في قوله تعالي : ﴿ **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف أسى علي قوم كافرين** ﴾(٤).

---

(١) سورة الأعراف : ٦١ : ٦٢.
(٢) سورة الأعراف : ٦٧ : ٦٨.
(٣) سورة الأعراف : ٧٩.
(٤) سورة الأعراف : ٩٣.

فهذه الآيات الكريمة تؤكد عددا من الأمور هي :

أولا :

أن النصيحة من عمل الأنبياء جميعا ، والأنبياء صفوة عباد الله ، وإذا وجبت النصيحة علي الأنبياء فوجوبها علي الناس من باب أولى .

ثانيا :

أن كثيرا من المنصوحين لا يتقبلون النصيحة ويتهمون الناصح وربما ألصقوا به التهم الباطلة ، وأن هؤلاء الذين لا يتقبلون النصح يكونون في الغالب من الخاسرين.

ثالثا :

أن علي المنصوح ألا يضيق بهذه التهم التي تلصق به زورا وبهتانا وإنما عليه أن يمضي في طريق نصحه نافيا عن نفسه هذه التهم في غير ما يغضب الله ولا يعصيه وأن أجره في صبره واحتسابه علي الله سبحانه .

رابعا :

أن النصيحة عمل إنساني جليل القدر تذكر الناس وتهدي الضال وترقق القلوب في كثير من الأحيان إذا أديت علي وجهها الذي شرعه الإسلام.

وأما الأحاديث النبوية الدالة علي وجوب النصيحة فكثيرة نذكر منها :

ما رواه الإمام مسلم بسنده عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **الدين النصيحة** » قلنا لمن ؟ قال : « **لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » .

ومعني هذا الحديث أن الدين الإسلامي عماده النصيحة ، وهي كلمة جامعة تعني كل قول أو فعل فيه صلاح للمنصوح .

والنصيحة لله تعني : الإخلاص في عبادته ،

والنصيحة لرسوله تعني : التصديق بنبوته والعمل بسنته ،

والنصيحة لأئمة المسلمين هي : الخلوص من الغش في طاعتهم في الحق

وفي إظهار كلمة الحق أمامهم دون خوف أو وجل .

والنصيحة للمسلمين تعني : خلوص النصيحة لهم من الغش .

وروى البخاري بسنده عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « **بايعت رسول الله ﷺ علي إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم** » .

وروي مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .

وروي مسلم أيضا بسنده أن النبي ﷺ قال : « **إن ا لله يرضي لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم** » .

وإنما جعل الإسلام هذه النصيحة حقا للحكومة وواجبا علي المسلمين ليؤكد أن أحدا في المجتمع الإسلامي كله حكاما ومحكومين ليس فوق مستوى النصيحة والتوجيه ، وذلك هو الترشيد الحقيقي لسلوك الناس حاكمين ومحكومين .

والنصيحة واجبة حتي ولو لم يقع الحاكم أو الحكومة في خطأ وإن كانت حينئذ تسمى شورى ، وهذه الشوري واجبة علي الحاكم والمحكوم كليهما .

أما وجوبها علي الحاكم فمعناه أنه لا يستطيع أن يستبد برأيه في أمر من أمور المسلمين ، وإنما عليه أن يشاور ويستشير ، فقد قال الله تعالي لخاتم رسله محمد ﷺ وهو المعصوم الذي ينزل عليه الوحي : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾[1] فأوجب عليه أن يستشير غيره وهو النبي المعصوم .

وأما وجوبها علي المحكوم ، فقد مدح الله المؤمنين بتعديد صفاتهم الطيبة فذكر من هذه الصفات أنهم : ﴿ **وأمرهم شورىٰ بينهم** ﴾ [2].

وتاريخنا الإسلامي - وبخاصة في القرون الثلاثة الأولي - قرون السلف الصالح رضي الله عنهم - حافلة بالنصائح التي كانت توجه من العلماء أو عموم الناس إلي الخلفاء والحكام والولاة ، وكان المنصوحون يتقبلون النصح ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .   (٢) سورة الشوري : ٣٨.

وكان الناصحون يخلصون فيما ينصحون به ، وإن الاستشهاد علي ذلك بمواقف من تاريخنا الإسلامي يعجز عنها العد والإحصاء ، وبحسبنا أن نتذكر نصائح الحسن البصرى وغيره من علماء المسلمين الذين أدوا ما عليهم نحو حكامهم وحكوماتهم لنعلم بل لنستيقن أن النصيحة واجب علي كل مسلم قادر عليها يوجهها إلي أخيه المسلم أو إلي حاكمه أو حكومته .

وأنه ما ينبغي أن يترتب علي تقديم النصيحة للمنصوح غضاضة أو ضيق فضلا عن غضب أو انتقام ، فهذا هو ديننا وهذا هو منهجه ونظامه بين الناصح والمنصوح ولا يسعنا إلا اتباعه .

٤ - خلع الحكومة وإبعادها :

عندما تقوم أي حكومة مسلمة بعمل من الأعمال فيه ضرر عام للمسلمين ، كالظلم والاستبداد وإهدار حقوق الناس وهضم حقوقهم أو عدم احترام إنسانيتهم ، أو عندما تأمر بمعصية لله سبحانه ، أو عندما تقوم جهارا بممارسة عمل حرمه الله تعالي غير متأولة ، أو عندما تخالف معلوما من الدين بالضرورة.

عند وقوع شئ من ذلك فإن علي أهل النصح أن ينصحوها ويرشدوها ، بل علي الناس جميعا أن يقوم كل منهم بنصحها بالأسلوب الإسلامي في النصيحة الذي حددناه آنفا في حديثنا عن نصح ولي الأمر .

وعلي العلماء بالإسلام ومنهجه ونظامه أن يوضحوا للحكومة الصواب من الخطأ والحلال من الحرام ، وأن ينصحوا بالكف عن أي عمل من تلك الأعمال التي ذكرنا ، فإن استجابت لذلك ففضل من الله ورحمة ، أما إذا رفضت الإصغاء إلي النصيحة المخلصة التي تستهدف الحق ، فإن علي الأمة بوساطة مؤسساتها وقادتها وأصحاب الرأي والفكر فيها أن تطلب من الحكومة التنحي عن الحكم ، لأنها بهذه الأعمال ليست محل ثقة المسلمين ، لما خالفت به دين الله ومنهجه ونظامه ولوقوعها في تلك الأخطاء التي وقعت فيها وعدم استجابتها للنصح .

فإن استجابت للتنحي ، فالحمد لله علي ذلك أن جنب المسلمين العنف

والحرب والنزاع ، فإن أبت وأصرت علي مواقفها ورفضت أن تتنحي عن الحكم ، فإن علي المسلمين أفرادا وجماعات أن يعملوا علي تنحيتها بكل الوسائل التي تنحيها عن الحكم وممارسته .

ولابد أن يكون البدء بالوسائل السلمية التي لا عنف فيها ولا عداء ، فإن استحال عليهم إقناعها بالتنحي بالوسائل السلمية ، فإن من حقهم حينئذ ألا يطيعوا الحكومة فيما تأمر به ، ولا ولاء لها عليهم ولا مساعدة بنفس أو مال - وهذا ما يسمى حديثا بالعصيان المدني - فإن فاءت إلي الحق وتنحت فقد كفى الله المؤمنين القتال ، فإن عاندت وأصرت علي البغي والعدوان فلا مناص من قتالها وإجبارها علي التنحي عن حكم الناس بغير ما أنزل الله أو بمخالفة منهج الإسلام ، لكن بشرط ألا يحدث ذلك فتنة بين المسلمين ، فإن أدي إلي فتنة أو كان من شأنه أن يؤدى إليها فلا قتال .

هذا هو الحكم الفقهي لعزل الحكومة الباغية التي تجور علي الناس تحرمهم من حقوقهم التي قررها الإسلام لهم ، غير أن الأنظمة الحديثة اليوم تنحي الحكومة بنزع الثقة منها في المجالس النيابية ، وهو أسلوب جيد ، لأن الهدف هو عزل هذه الحكومة التي تفقد صفاتها الرئيسية ولا تقوم بواجباتها نحو الناس .

وقد وردت في هذا أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها :

ما رواه الشيخان بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « علي المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وما رواه مسلم بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع ، قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة » .

ولقد كانت كلمات الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما نبراسا في هذا المجال ، فإن كلا منهما قال عندما تولي الخلافة وقاد الحكومة « إني وليت

عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فتابعوني ، وإن أسأت فلا طاعة لي عليكم ، أو : إن أسأت فقوموني »

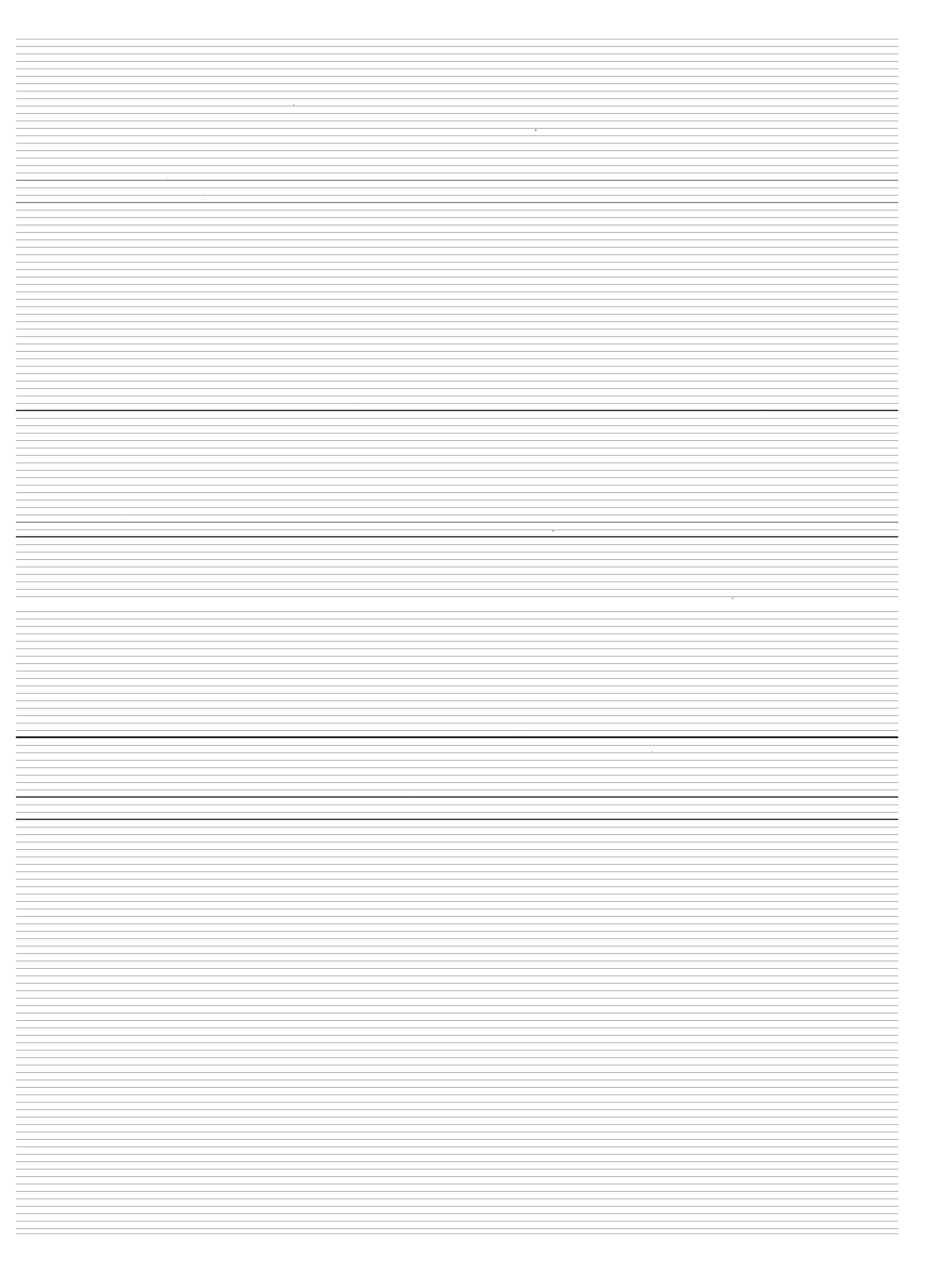
فقام رجل إلي عمر رضي الله فقال : نقومك بحد سيوفنا ، فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله أن جعل فيكم من يقوم عمر بحد سيفه إن أخطأ .

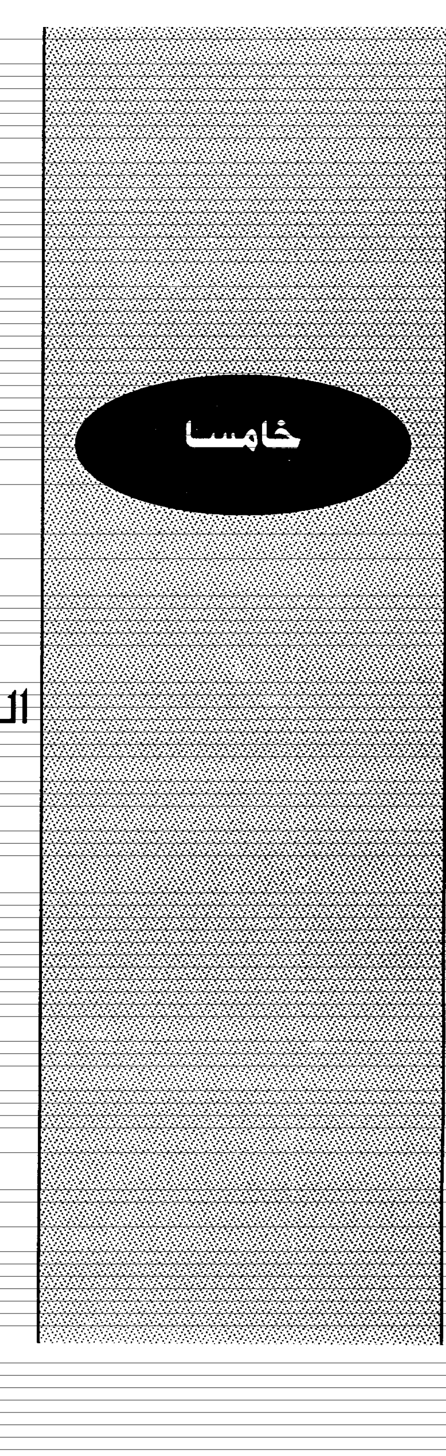
وأجمع ما يمكن أن نقوله في قضية خلع الحكومة المسلمة إذا مارست من الأعمال ما يستوجب خلعها وإبعادها أن نقول :

إن ممارسة المسلمين لحقهم في خلع الحكومة وإبعادها مشروط بألا يؤدي ذلك إلي فتنة وتهارج وتقاتل ، فإن كان يؤدي إلي ذلك ، فليس للمسلمين أن يخلعوها ، وإنما عليهم الصبر عليها حتي يقضي الله فيها بأمره ، لأن تجنب الفتنة ، أوجب في الإسلام من العمل علي خلع حكومة ظالمة [1].

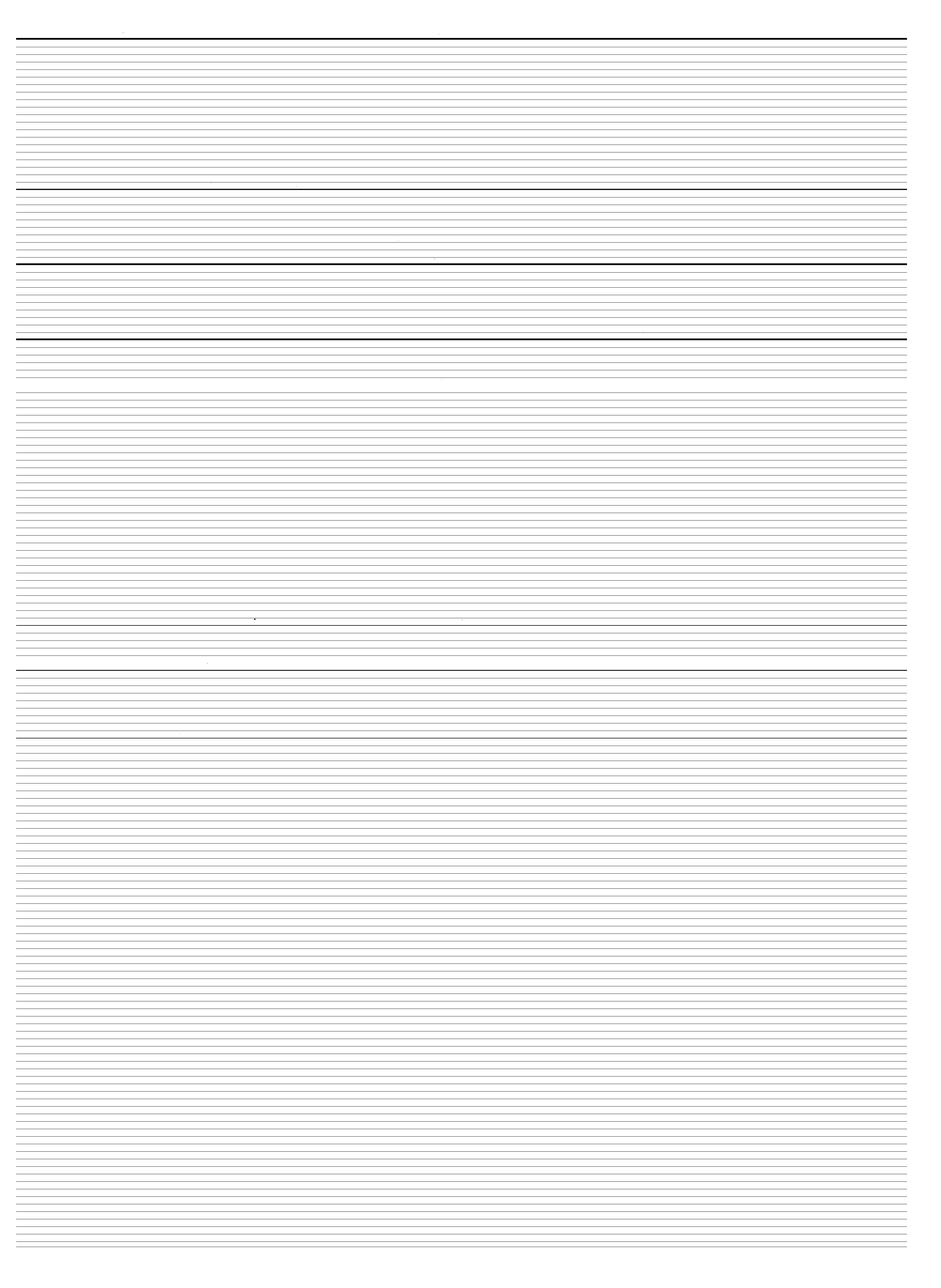
---

(١) بَسَطت كتب الفقه هذا الموضوع ، وكذلك كتب الأحكام السلطانية وكتب الحسبة ، فليرجع إليه من أراد التوسع .





العمل السياسي على مستوى العالم العربي كله



خامسا

العمل السياسي على مستوى العالم العربي كله

إن منهج الجماعة يستهدف علي مستوى العالم العربي هدفين كبيرين هما :

أولا : تحرير البلاد العربية جميعا من كل سلطان أجنبي ،

وثانيا : تأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا .

وقد جاء النص علي ذلك في قانون النظام الأساسي للجماعة في العبارة التالية :

« **تحرير البلاد العربية جميعا ... وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا ...** »[1].

وهذا النص يوجب علي الجماعة أن تعمل في هذين الاتجاهين ما وسعها العمل حتي تحقق هذين الهدفين ، وقد فصلت الجماعة ذلك من خلال مفردات منهجها في التربية ودأبت علي ذلك طوال مدة ممارستها للعمل من عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٨م إلي عام ١٣٦ هـ الموافق ١٩٤٨م.

وسوف نحاول هنا أن نلقى ضوءا علي هذين الهدفين علي مستوى العالم العربي كله .

(١) قانون النظام الأساسي للجماعة : الفقرة : هـ باختصار من المادة الثانية .

تحرير البلاد العربية جميعها

من كل سلطان أجنبي عن الإسلام

فقد تحدثنا فيه ونحن نتحدث عن العمل السياسي في حديثنا عن العمل السياسي في الوطن المحلي ، وفصلنا القول هناك في ضرورة تخليص الوطن المحلي من كل سلطان أجنبي سواء أكان هذا السلطان روحيا أو عقليا ثقافيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسيا .

ونريد الآن أن ذلك كان هناك علي مستوى الوطن المحلي ، أما هنا فيكون علي مستوي العالم العربي كله ، وقد ناقشنا هناك كيفية التخلص من هذا السلطان وفق مفردات منهج الجماعة في التربية ، ولا داعي لإعادة الحديث فيه مرة ثانية.

تأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا

فيحتاج منا إلي حديث نرجو أن يكون وجيزا ، وهذا الحديث يتضمن أمرين :

أ- دلالة وثائق الجماعة علي تأييد الوحدة العربية ،

ب- أهم الأعمال التي قامت بها الجماعة من أجل تأييد الوحدة العربية ،

فنقول وبالله التوفيق :

١ - دلالة وثائق الجماعة علي تأييدها الوحدة العربية

الوحدة - كما دلت علي ذلك وثائق الجماعة كانت من أبرز ما تسعى الجماعة لتحقيقه بل كانت أملا للجماعة وهدفا لمنهجها في التربية .

وللجماعة فقهها الخاص في فهم العروبة ووزنها بميزانها الصحيح ، وقد جاء عنها في وثائق الجماعة ما يلي :

١ - في رسالة دعوتنا :

« والإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها ، ولا يقولون : فرعونية وعربية وفينيقية وسورية ، ولا شيئا من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس ، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله ﷺ الإنسان الكامل بل أكمل معلم علّم الإنسانية الخير : « **إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوي** » ما أروع هذا وأعدله وأجمله . . . ولسنا مع هذا ننكر خواص الأمم ومميزاتها الخلقية ، فنحن نعلم أن لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق ، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل .

ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفي والأوفر ، ولكن ليس معني هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلي العدوان ، بل عليها أن تتخذ ذلك

وسيلة إلي تحقيق المهمة السابقة التي كلفها كل شعب ، تلك هي النهوض بالإنسانية .

ولعلك لست واجدا في التاريخ من أدرك هذا المعني من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ.

٢- في رسالة المؤتمر الخامس :

هذه الرسالة هي أجمع رسائل الجماعة وأكثر دلالة علي منهجها ، وقد جاء فيها مما يتصل بالوحدة العربية قول الإمام المؤسس : « فالإخوان المسلمون يحبون وطنهم ويحرصون علي وحدته القومية بهذا الاعتبار ، ولا يجدون غضاضة علي أي إنسان أن يخلص لبلده ، وأن يفني في سبيل قومه وأن يتمني لوطنه كل مجد وكل عز وفخار ، هذا من وجهة القومية الخاصة .

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيا ، وصل إلي الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين ، وتوحدت الأمم باسمه علي هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين وقد جاء في الأثر : « إذا ذل العرب ذل الإسلام » وقد تحقق هذا المعني حين زوَالَ سلطان العرب السياسي ، وانتقل الأمر من أيديهم إلي غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه.

وأحب هنا أن أنبه إلي أن الإخوان المسلمون يعتبرون العروبة كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنها « ألا إن العربية اللسان ألا إن العربية اللسان » .

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لإعادة مجد الإسلام ، وإقامة دولته وإعزاز سلطانه ، ومن هنا وجب علي كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها ، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية ».

ومن أجل الوصول إلي هذه الوحدة العربية فإن الجماعة قامت بأعمال جليلة أشرنا إلي طرف منها ونحن نتحدث عن موقف الجماعة من الجامعة العربية في

الفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب تحت عنوان « ظروف الدعوة إلي جامعة عربية » .

وسوف نزيد الأمر هنا إيضاحا ، فنستعرض أهم الأعمال التي قامت بها الجماعة من أجل العروبة ووحدة العرب .

ونوضح كيف تمثل ذلك في منهجها التربوي ، بل في مفردات هذا المنهج ، سائلين الله تعالي التوفيق والسداد.

ب - أهم الأعمال التي قامت بها الجماعة في تأييد وحدة العرب :

وحدة الأمة العربية -كما سبق أن أوضحنا- هدف كبير من أهداف الجماعة، تضمنه منهجها التربوي ، ودلت عليه وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية كما أوضحنا ذلك من قبل .

غير أن هذا الهدف علي ضخامته وأهميته لا يستطيع أن يخرج إلي حيز التطبيق إلا إذا أيدته أعمال قامت بها الجماعة لبلوغ هذا الهدف ، أو لكي يستمر السير في الطريق إلي بلوغه.

وقد قامت الجماعة بأعمال هامة من أجل تأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا نذكر منها ما يلي :

١- عملت الجماعة ما وسعها العمل علي تحرير الأوطان العربية من مغتصبيها والمعتدين عليها ، فما من وطن عربي حاول أن يناوئ المغتصب المحتل لأرضه إلا أيدته الجماعة في مناوئته بإظهار حقه في الحرية ، وفي وطنه بالهجوم علي العدو المغتصب عن طريق وسائل إعلام الجماعة وما كان يتيسر لها الكتابة فيه من صحف ومجلات ودوريات غير ما تملكه هي .

بل إن خطب المساجد ومحاضرات المحافل والنوادي كانت مشغولة بذلك كل الإنشغال وصال خطباء الجماعة ومحاضروها وجالوا في هذا الميدان بما يذكر لهم فيشكر .

وهذا هو الجانب الإعلامي الذي مارسته الجماعة في تأييد أصحاب الحق والحرية والكرامة .

بل كان تأييد الجماعة لتحرير وطن عربي يعينه يصل إلي حد دعمه بالمال والرجال كما حدث هذا بالنسبة لفلسطين ، وكما حدث في مصر والسودان وغيرهما .

٢- عملت الجماعة علي عقد الصلات الطيبة بمختلف الأقطار العربية عن طريق استضافة بعض قادة العرب في مقر الجماعة بالقاهرة « المركز العام » .

وكم من زعيم وطني وجد في المركز العام للجماعة أو بعض شعبها مأوى له ومأمنا من مطاردة أعداء بلاده له ، ووجد مع قادة الجماعة مجالا ممتازا للحوار والمناقشة حول قضايا التحرر من الأجانب والبحث عن أنسب الوسائل وأقوم السبل لمقاومة هذا المحتل الغاصب لأي وطن من الأوطان العربية ، سواء أكان هذا المحتل إنجليزيا أو فرنسيا أو إيطاليا.

كما أن الجماعة كانت ترسل في بعض الأحيان فردا أو وفدا لزيارة بعض هذه الأوطان للتباحث والتفاهم في أي خطة أو عمل يكون من شأنه جلاء المحتل عن أرض عربية .

٣- وعملت الجماعة علي فترة غير قصيرة علي إيجاد علاقات طيبة بقيادة الجامعة العربية ، وبقيادة بعض البلدان العربية ، استئناسا بآرائهم ودعما لجهودهم في قضايا الأمة العربية ورغبة في تخليص الأقطار العربية من أعدائها المغتصبين .

ولقد كان للجماعة إسهام حقيقي في مساندة الثوارت التي قامت في بعض البلدان العربية ضد المحتل الغاشم ، ولكن الجماعة - لظروف متعددة - ما كانت تحب أن يعرف لها جهد في هذا اللون من النشاط ، فكانت تعزو هذه الأعمال إلي قادة هذه البلاد حينا وإلي قيادة الجامعة العربية حينا آخر ، لأن إبراز الجامعة العربية علي هذا المستوي الجيد من العمل علي تحرير البلدان العربية كان هدفا من أهداف الجماعة وخصوصا وأن الجامعة العربية كان يقوم علي رئاستها آنذاك رجل مسلم مخلص وطني غيور هو المرحوم عبد الرحمن عزام باشا ، وكانت بينه وبين الجماعة علاقات طيبة جدا .

وقد ظهر أثر عمل الجماعة في هذا المجال في تحرير المغرب العربي والجزائر

وتونس من وطأة الاحتلال الفرنسي الغاشم.

ولقد شاهد كثير من الأحياء اليوم في المركز العام للجماعة عبد الرحمن عزام باشا ، والحبيب بورقيبه - أيام كفاحه - والفضيل الورتلاني وعلال الفاسي والبشير الإبراهيمي وغيرهم - وقد رآهم كاتب هذه السطور أكثر من مرة واستمع إلي أحاديث دارت بينهم وبين مجموعات من أفراد الجماعة .

وغدا سوف يسجل هذا التاريخ بتفصيل وأمانة من هو أقدر مني علي كتابة التاريخ ، ويومذاك يدرك كثير من الغافلين عن الحق ماذا صنعت جماعة الإخوان المسلمين من أجل تحرير الأوطان العربية من مغتصبيها ، وإن غدا لناظره قريب.

٤- قامت الجماعة بإنشاء فروع لها في عدد من البلدان العربية كالسودان ولبنان وسوريا والأردن والعراق واليمن ، وكل مكان أمكن أن يوجد فيه فرع للجماعة في العالم العربي كله .

وكانت هذه الفروع مراكز إشعاع إسلامي في هذه البلاد جميعا ، وفي هذه الفروع تخرج عدد كبير من قيادات العمل الإسلامي ، وبخاصة في لبنان وسوريا والأردن والعراق والسودان .

وما احتاج وطن من هذه الأوطان دعما ماديا أو معنويا أو أدبيا وكان في استطاعة الجماعة أن تقدمه إلا قدمته راضية سعيدة محتسبة عند الله لا عند الناس ما تبذل من جهود وأوقات وأموال ورجال في بعض الأحيان ، كل ذلك لتأييد وحدة العرب ولم شملهم وضم صفوفهم.

٥- وكان للجماعة موقف يسجله اليهود قبل غيرهم في الجهاد من أجل فلسطين التي تحالف فيها الشرق مع الغرب في نصر اليهود علي العرب واقتطاع فلسطين من العالم العربي لليهود.

إن الجماعة عملت في هذه القضية أعمالا جليلة سبقت تطوع المجاهدين في الحرب من أجلها ، نذكر منها ما يلي :

أ- قامت بالدعوة والدعاية والإعلام للقضية في حدود ما أتيح لها من إمكانات.

ب- ساعدت في جمع التبرعات المالية لدعم الموقف العربي الفلسطيني في مواجهة العمل الذي تقوم به انجلترا واليهود لتوطين اليهود في فلسطين.

جـ- ساعدت في جمع السلاح من المتبرعين به وساعدت في شرائه من هنا وهناك ، وسلمت ذلك كله للحاج أمين الحسيني القائد الفلسطيني المسلم الغيور علي دينه وأرضه ، وقد شهد هو بذلك في كتاباته وسجله المنصفون من الكتاب ، وقد سجل للجماعة مواقفها من أجل قضية فلسطين كتاب وأدباء لم يكونوا يوما من الإخوان المسلمين مثل الكاتب الإسلامي المرحوم مصطفي صادق الرافعي ، حيث نشر ذلك في المجلة الأدبية الأولى في مصر في ذلك الوقت « مجلة الرسالة » ومن شاء أن يتأكد من هذا فليقرأ في كتاب وحي القلم[1] مقالا بعنوان الأيد المتوضئة .

ولم يقف جهد الجماعة من أجل فلسطين عند حد جمع المال وجمع السلاح وإنما دخل مرحلة الجهاد الفعلي حيث توجهت كتيبة من الجماعة ، دربت في مصر وسافرت إلي فلسطين سنة ١٩٤٨م واستطاعت أن تلقن اليهود درسا في الحرب كتب عنه الأعداء قبل الأولياء ، وقد كانت حرب فلسطين بالنسبة للجماعة ومنهجها في التربية فرصة طبقت فيها العمل علي العلم وحولت فيها فقه الجهاد إلي حرب وقتال في سبيل الله ، وقدمت في ذلك الشهداء.

٦- وعملت الجماعة بذكاء شديد علي أن توجه ميثاق الجامعة العربية - إبان الإعلان عن قيامها - ليكون إسلاميا عربيا إلي الحد الذي يخيب أمل الإنجليز الذين أرادوا من هذه الجامعة سند يمكنهم من التحكم في الأوطان العربية كلها، ويصرفهم عن الأهداف الإسلامية للأمة العربية .

وإن الجهود التي بذلتها الجماعة في هذا المجال جهود مخلصة بناءة ، ومن

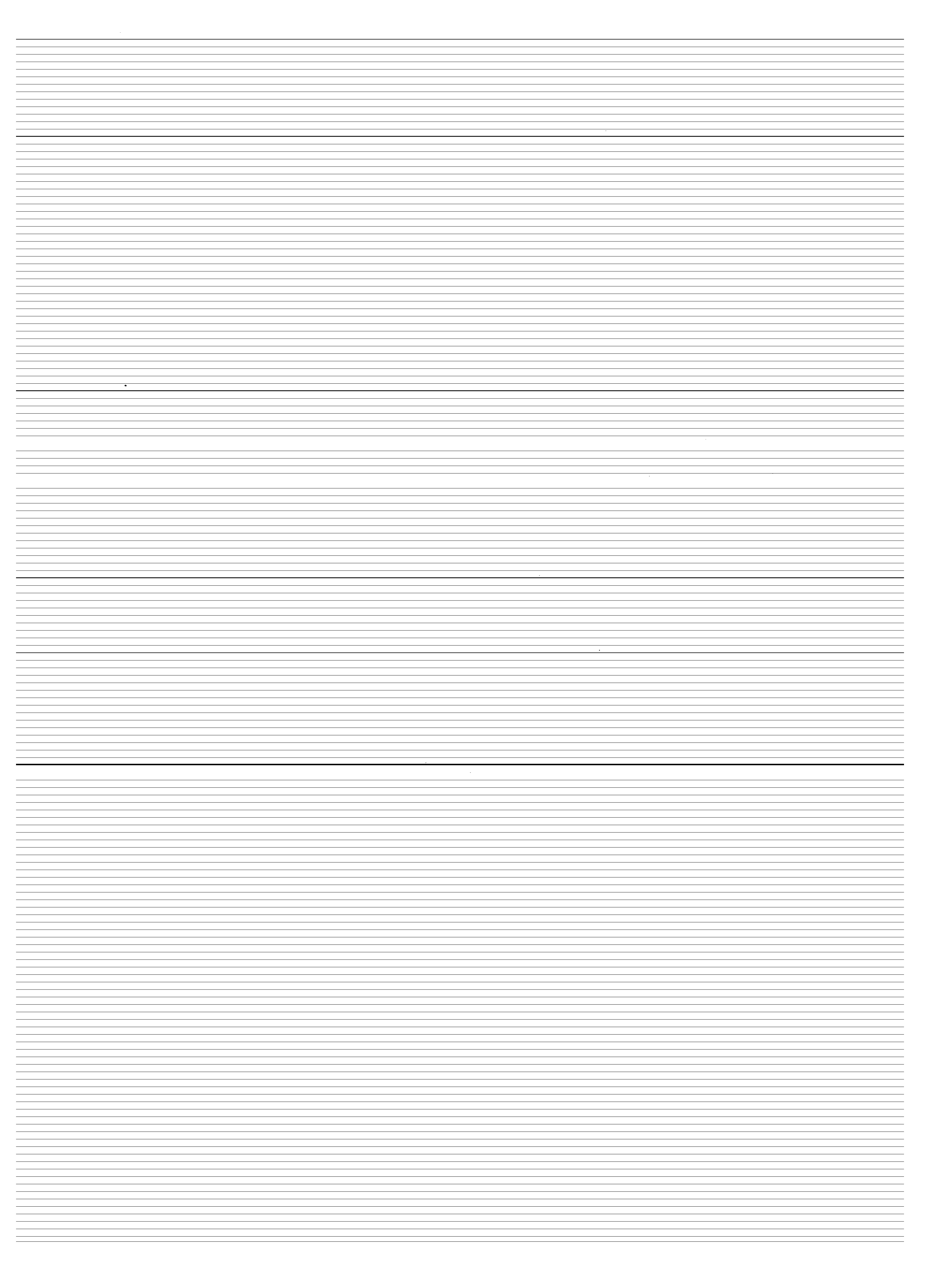
(١) كتاب وحي القلم جمع للمقالات التي نشرت في مجلة الرسالة لمصطفي صادق الرافعي ، وهو من ثلاثة أجزاء أشرف عليه سعيد العريان.

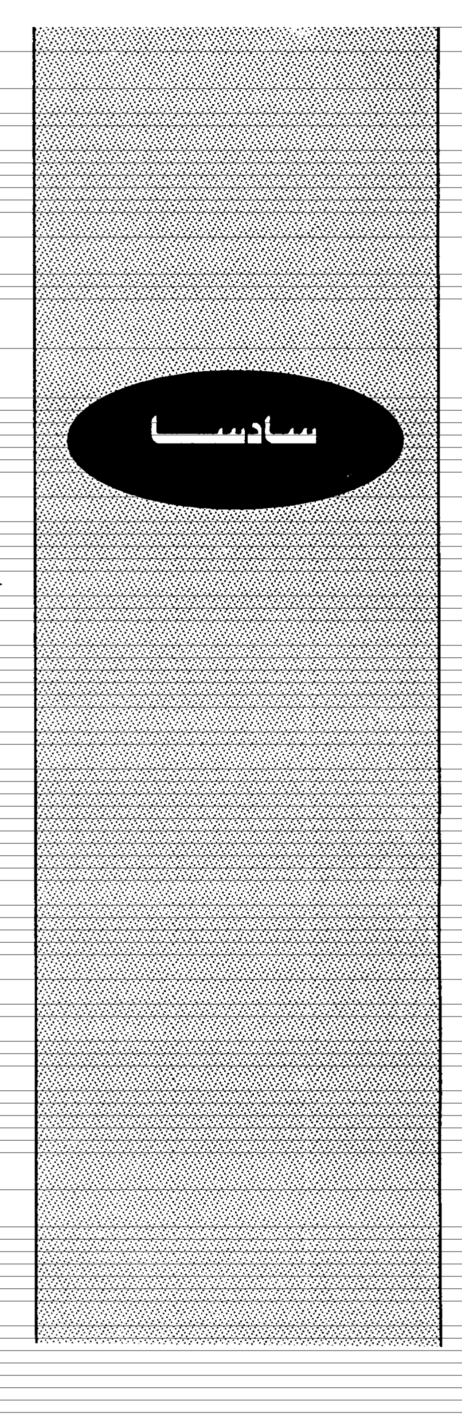
أجل هذا الإخلاص نجحت إلي حد كبير.

وما بين عقد علاقة طيبة بالقائد المسلم المخلص المرحوم رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ، إلي كتابة ميثاق جامعة الدول العربية ، إلى اختيار المناضل المسلم الصالح المرحوم عبد الرحمن عزام أمينا عاما للجامعة ؛ كان للجماعة عمل وأمل ، عمل ذكى بنَّاء ، وإن كان مضنيا ، وأمل يصاحب العمل في أن تكون الجامعة العربية رمزا لوحدة الأمة العربية التي مزقها أعداؤها ، وبثوا فيها من العدوان والحروب والمؤامرات ما قضى علي وحدتها .

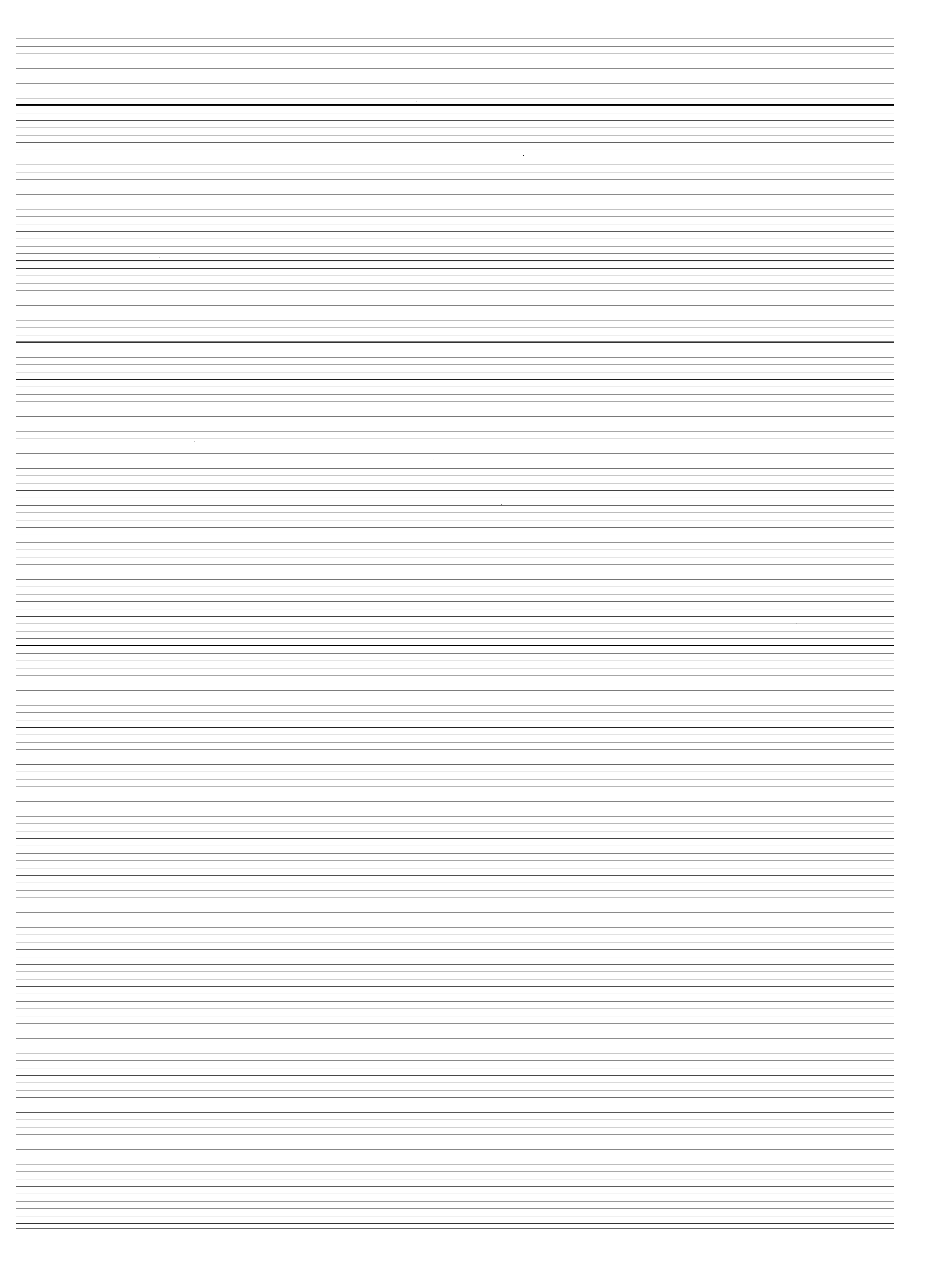
ولقد استطاعت الجماعة أن تقوم بهذا العمل وأن تحقق هذا الأمل لأن ذلك من صميم منهجها التربوي ، ومن أبرز مفرداته .

وسوف يسجل التاريخ هذا العمل وهذا الأمل يوم يجد من العارفين به المخلصين لدينهم وأمتهم العربية من يحسنون تسجيل التاريخ بأمانة.





العمل السياسي على مستوى العالم الإسلامي كله



سادسا

العمل السياسي على مستوى العالم الإسلامي كله :

اهتمت الجماعة في التربية بأن يتضمن منهجها عملا وأملا ، علي مستوى العالم الإسلامي كله ، ولقد سبق لنا حديث عن الجامعة الإسلامية وموقف الجماعة منها في بعض ما ألفنا من كتب[1] ، مما لا نحب أن نعيده .

غير أننا في هذا المجال لابد لنا أن نرصد ما يشتمل عليه المنهج في دائرة العمل الإسلامي العام - علي مستوى العالم الإسلامي كله - سواء أكان ذلك الرصد في وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية أو في الأعمال التي قامت بها الجماعة فعلا في هذا المجال.

ولعل هذا وذاك مما سبق أن قلناه يؤكد لكل منصف شمول منهج التربية عند الجماعة وتكامله كما أوضحنا ذلك والتمسنا له الأدلة والبراهين في كثير مما كتبنا كما أشرنا إلي ذلك آنفا ، حيث عرفنا هناك بالمنهج وحددنا خصائصه وكان من بينها الشمول والتكامل والتوازن والواقعية . . . الخ .

أقول : إن منهج الجماعة إسلامي اللحمة والسدى ينظر للعالم الإسلامي كله علي أنه وطن واحد وجنسية واحدة هي العقيدة الإسلامية ، إنه المنهج الذي نادي لأول مرة في التاريخ الحديث بأن : « جنسية المسلم هي عقيدته » .

فماذا عن المنهج علي مستوى العالم الإسلامي في وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية ؟ ذلك ما سوف نبدأ به من هذا المجال بعون الله تعالي وإذنه مقسمين فيه إلى قسمين :

أ- دلالة وثائق الجماعة علي تأييد الوحدة الإسلامية ،

ب- وأهم الأعمال التي قامت بها الجماعة من أجل الوحدة الإسلامية .

---

(١) انظر لنا: منهج التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار الوفاء ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

دلالة وثائق الجماعة على تأييد الوحدة الإسلامية :

١- جاء في قانون النظام الأساسي للجماعة في هذا الصدد ما يلي :

« تحرير . . . الوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا والسير إلي الجامعة الإسلامية » [1].

٢- وجاء في رسالة عقيدتنا ما يلي :

البند الخامس :

« أعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شعوبه وإعادة شريعته وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر ، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم علي قواعد الإسلام .

وأتعهد بأن أجاهد في سبيل أداء هذه الرسالة ما حييت وأضحي في سبيلها بكل ما أملك .

والبند السادس :

أعتقد أن المسلمين جميعا أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية ، وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلي الناس جميعا.

وأتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم.

والبند السابع :

أعتقد أن السر في تأخر المسلمين ابتعادهم عند دينهم ، وأن أساس الإصلاح العودة إلي تعاليم الإسلام وأحكامه وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون ، وأن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية .

وأتعهد بالثبات علي مبادئها والإخلاص لكل من عمل لها وأن أظل جنديا في خدمتها أو أموت في سبيلها ».

(١) الفقرة هـ من المادة الثانية .

وحسبنا أن نعلم أن رسالة عقيدتنا مكونة من سبعة بنود - وأن فكرة وحدة المسلمين تشغل ثلاثة بنود من هذه البنود السبعة .

٣- وما جاء في المؤتمر الثالث :

« واعلموا أيها الإخوان أن الإسلام والوطن الإسلامي العام يدعوكم لإنقاذه يا من اشتغلتم بوسائل هذا الانقاذ العالية منذ سبع سنوات دائبة كل يوم ، كان الناس جميعا لا يؤمنون بخطتكم وها هم أولاد اليوم يعودون إليها تباعا جملة بعد جملة ، ويجزمون بأنها هي السبيل الوحيد لإنقاذ الأمة.

٤- وفي رسالة : إلي أي شيء ندعو الناس . قوله :

« ... إن الأخوة الإسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم قطعة من الأرض الإسلامية العامة التي يفرض الإسلام علي كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها ، فكان من ذلك أن اتسع أفق الوطن الإسلامي وسما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية إلي وطنية المبادئ السامية والعقائد الخالصة الصحيحة ، والحقائق التي جعلها الله للعالم هدى ونورا .

والإسلام حين يشعر أبناءه بهذا المعني ويقرره في نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الإسلام من عدوان المعتدين وتخليصها من غصب الغاصبين وتحصينها من مطامع المعتدين » .

٥- وفي رسالة إلي الشباب ، جاء قول المؤسس :

« ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوربية ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها علي الغاصبين ولا نسكت علي هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها.

فمصر وسوريا والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله ، كل ذلك وطننا الكبير الذي

نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلي بعض ، ولئن كان الرايخ الألماني يفرض نفسه حاميا لكل من يجرى في عروقه دم الألمان ، فإن العقيدة الإسلامية توجب علي كل مسلم نوى أن يعتبر نفسه حاميا لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن ، فلا يجوز في عرف الإسلام أن يكون العامل العنصري أقوي في الرابطة من العامل الإيماني .

والعقيدة هي كل شئ في الإسلام ، وهل الإيمان إلا حب وبغض ؟ » .

٦- وفي وثيقة « المطالب الخمسون » جاء في البند الرابع ما يلي :

« وتقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعا ، وبخاصة العربية منها ، تمهيدا للتفكير الجدي العملي في شأن الخلافة الضائعة » .

٧- وفي رسالة المؤتمر الخامس جاء ما يلي :

« بقى علينا أن نحدد موقعنا من الوحدة الإسلامية .

والحق أن الإسلام كما هو عقيدة وأنه قضى علي الفوارق النَّسَبِيَّة بين الناس، فإن الله تبارك وتعالي يقول : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ .

والنبي ﷺ يقول : « **المسلم أخو المسلم** » و « **المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد علي من سواهم** » .

فالإسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود والجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الإسلامي وطنا واحدا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده .

وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة ، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام ، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله »

وما أروع ما قال في هذا المعني شاعر من شعراء الإخوان :

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنا ... الشـام فيـه ووادي النيـل سيـان

وكـلمـا ذكـر اسـم الله في بلـد ... عـددت أرجـاءه من لـب أوطـانـي

٨- وفي خطاب الإمام المؤسس أمام مسئولي الشعب والمناطق ... جاء قوله : « ... ونطلب للبلاد الإسلامية والأقليات الإسلامية أن تتحرر وتستقل، وتنال حقوقها ويرفع عنها الظلم والحيف وتكون بمأمن من الظلم والعدوان.

- فهذه إيران يجب أن تجلو عنها الجنود البريطانية والروسية طبقا لتصريح الدول المشتركة في خلال ستة أشهر من انتهاء الحرب مع اليابان .

- وهذه أندونيسيا بأقسامها لا مبرر لأن تعود مرة ثانية إلي هولندا ، وحسب هولندا وقد ذاقت مرارة الظلم والجبروت أن تقنع بأرضها وأن تعمل لمصالحها في ظل العدالة والإنصاف وتبادل المنافع ، وذلك خير وأبقي من استلاب الحقوق واغتصاب الحريات.

- وقضية الهند يجب أن تحل حلا يحفظ حقوق المسلمين في كل الولايات، ويساعد علي رقيهم ، وحفظ حقوقهم في كل مكان.

- ولقد كانت في ألبانيا حكومة إسلامية قبل هذه الحرب - يقصد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م - ١٩٤٥م - وبما أن غالب سكانها من المسلمين من بقايا المهاجرين من الترك والبلقان ، فمن الواجب أن تعود هذه الحكومة ، ومن العدل والنصفة أن تساعد مساعدة فعلية علي أن تكون حامية لحقوق الأقليات الإسلامية في بلاد البلقان.

ففي يوغسلافيا وفي اليونان وفي بلغاريا وفي غيرها أقليات إسلامية مظلومة يعتدى عليها وتستلب حقوقها ولا يدري بذلك أحد .

والمسلمون في كل مكان أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم إذا اشتكي عضو منهم تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي.

فمن الواجب أن تُسند مهمة الإشراف علي إنصاف هؤلاء إلي أقرب الحكومات الإسلامية إليهم.

ولقد فكرت تركيا بعد الحرب الماضية - يقصد الحرب العالمية الأولي ١٩١٤م - في الإنسلاخ من الشرق والأمم الإسلامية والارتماء في أحضان الغرب

والتزلف إلي الدول الأوربية ظنا منها أن ذلك يساعدها علي أن تطمئن في دارها وتأمن في أرضها ، وأكبر الظن أنها بعد الحرب قد أدركت مبلغ ما فاتها من الفوائد بهذه العزلة عن العرب وأمم الإسلام.

٩- وفي رسالة « بين الأمس واليوم » جاء قول الإمام المؤسس :

« ماذا نريد أيها الإخوان ؟

أنريد جمع المال وهو ظل زائل ؟

أم سعة الجاه وهو عرض حائل ؟

أم نريد الجبروت في الأرض : ﴿ **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده** ﴾[1] ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالي : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** ﴾[2] . شهد الله أننا لا نريد شيئا من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا .

ولكن اذكروا دائما أن لكم هدفين أساسيين :

الأول : أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر .

والثاني : أن تقوم في هذا الوطن دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس ، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعا آثمون مسئولون بين يدى الله العلي الكبير عن تقصيرهم في إقامتها وقعودهم عن إيجادها .

ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادي بالدعوات الغاشمة ولا يكون في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام.

نريد تحقيق هذين الهدفين في وادي النيل وفي بلاد العروبة وفي كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دينٍ وجنسيةٍ وعقيدةٍ توحد بين جميع المسلمين ».

---

(١) سورة الأعراف : ١٢٨.　　(٢) سورة القصص : ٨٣.

١٠- وفي رسالة التعاليم جاء قول المؤسس :

« وإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها حتي يؤدي ذلك كله إلي إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة » .

وبعد : فهذه جولة غير مستوعبة في وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية قصدنا منها الدلالة علي موقع الوحدة الإسلامية من فكر الجماعة ومنهجها التربوي ، وحسبنا منها أن تدل ولا تحيط.

وإذا كانت هذه دلالة وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية ، فما هي الأعمال التي قامت بها الجماعة لتأكيد هذه الوحدة الإسلامية ؟ الأعمال التي دخلت مفردات منهج التربية في الجماعة ؟.

هذا ما نحاول أن نتحدث عنه في الصفحات التالية من الكتاب سائلين الله التوفيق والسداد.

القسم الثاني

أهم الأعمال التي قامت بها الجماعة من أجل الوحدة الإسلامية :

إن مَن يتأمل منهج الجماعة في التربية يجده حافلا بكل ما يدعم وحدة المسلمين في كل أقطار الأرض ، وما قدمناه من شواهد ودلالات وردت في وثائق الجماعة أقوي دليل علي ذلك ، ولأن الجماعة كانت دائما تقرن القول بالعمل، بل تفضل أن تعمل علي أن تقول ـ وهو الأصل لأن العمل هو التعبير الصحيح عن الفكر بل عن الإيمان نفسه ـ فإن أعمالا جليلة القدر قد مارستها الجماعة فعلا لتأييد وحدة العالم الإسلامي وتأكيد ضرورة هذه الوحدة.

وسنحاول هنا أن نرصد بعض الأعمال التي قامت بها الجماعة في هذا المجال لدعم ما نذهب إليه من أن المنهج في مفرداته لم يغادر شيئا مما يحتاج إليه المسلم ليكون مستوعبا لكل متطلبات العمل الإسلامي في العصر الذي يعيشه.

وإذا كانت المدارس والجامعات في معظم بلدان العالم الإسلامي لا تمد الفرد بما يقول فيه الإحساس بأنه فرد في أمة مسلمة ربها واحد ودينها واحد ،وأملها واحد ، ومستقبلها واحد ، فإن الجماعة حملت هذا العبء وأدت هذا العمل وهي تضع مفردات منهجها علي هذا النحو المستوعب الشامل المتكامل.

لقد كانت الأعمال التي قامت بها الجماعة من أجل تأكيد وحدة العالم الإسلامي متعددة ومتخطية حدود مصر التي هي بلد النشأة إلي الشمال الإفريقي إلي اليمن إلي باكستان وأندونيسيا ، ثم جهودها الضخمة من أجل قضية العالم الإسلامي الكبري « فلسطين » .

وسوف نذكر أطرافا من هذه الأعمال وتلك الجهود علي النحو التالي :

١ – جهود الجماعة من أجل الشمال الإفريقي المسلم :

نعني الشمال الإفريقي المسلم : المغرب والجزائر وتونس وليبيا ، وكلها بلاد

إسلامية منذ دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري ، وهي إسلامية الحاضر إسلامية المستقبل مهما زعم الزاعمون من المحتلين الغاصبين .

وقد وقع الشمال الإفريقي في براثن الاحتلال الأجنبي ، بعد تفكك عري المسلمين وضعف أنظمة الحكم ببعدها عن التمسك بالإسلام ، مما أطمع فيها المتربصين ببلدان العالم الإسلامي الذين يخشون وحدته ويحذرون قوته ، ويكيدون له ويتربصون به الدوائر .

وقد كان للجماعة جهود وأعمال في كل من :

– المغرب :

وكان المغرب العربي المسلم قد وقع في براثن الاحتلال الفرنسي منذ استطاعت فرنسا أن تعقد مع بريطانيا اتفاقا وديا عجيبا !!! تطلق بمقتضاه فرنسا يدها في المغرب في مقابل عدم اعتراض فرنسا علي احتلال انجلترا لمصر ، وكان ذلك في مستهل القرن العشرين وبالتحديد سنة ١٩٠٤ م – وكانت انجلترا تسيطر علي مصر بل تحتلها احتلالا منذ عام ١٨٨٢م.

وفي مؤتمر أغادير سنة ١٩١١م بين دول أوربا وبالتحديد : « فرنسا وأسبانيا وألمانيا » وافق هذا المؤتمر علي فرض الحماية الفرنسية علي المغرب في مقابل منح ألمانيا بعض الأماكن في السودان الفرنسي ؟ فخلا الطريق أمام فرنسا وأسبانيا في المغرب، ففرضتا عليه الحماية سنة ١٩١٢م وتقاسمتاه واتفقتا علي جعل طنجة منطقة دولية، وظنتا أن الأمور سوف تستقر لها علي هذا النحو، ولكن خاب ظنهما . . .

فقد قام الأمير عبد الكريم الخطابي بثورته ضد الاحتلال الأجنبي عام ١٩٢١م ولم تستطع الدولتان معا إخماد هذه الثورة الا في عام ١٩٢٥ ، بمزيد من الوحشية والعدوان علي الآمنين .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م – ١٩٤٥م) وقع المغرب في الاحتلال البريطاني الأمريكي سنة ١٩٤٢م بحجج واهية ، إذ كانت فرنسا قد انهزمت أمام ألمانيا في تلك الحرب هزيمة ساحقة.

وإزاء هذا الاحتلال الظالم الجديد أخذت الروح الوطنية الإسلامية في المغرب تزداد اشتعالا ، وتفاقمت عمليات القمع للثوار وكثر التقتيل والتخريب، وطالب المغرب بالاستقلال.

وفي هذه الأثناء - ثورة المغرب من أجل الاستقلال ضد انجلترا وأمريكا كان للإخوان عمل جليل القدر في التوفيق بين قيادات الوطنيين في المغرب ودعم وحدتهم أمام العدو الغاصب .

وربما يدرك بعض الناس أثر هذا العمل ولا يرون وجودا فعليا للجماعة - علي نحو ما كان لها وجود عملي في فلسطين - في قضية المغرب ، ولكن الحقيقة أن الجماعة كان لها في تحرير المغرب كبير الأثر في التقريب بين وجهات نظر القادة المغاربة ، وكان ذلك دأب الجماعة تقوم بالعمل ولا تحب أن تظهر أو تعلن فضلا عن أن تتباهى كما يفعل غيرها لاعتبارين أساسيين :

أولهما : أن الهدف من العمل هو إرضاء الله بتوحيد الأمة الإسلامية والعمل علي تحريرها من أعدائها وهذا لا يحتاج إلي إعلان لأن جزاءه عند من يعلم السر وأخفي .

وثانيهما : أن العدو الخارجي - الغرب - المتربص بكل عمل إسلامي ما ينبغي أن يشعر في تلك الآونة بالدور الكبير الذي تقوم به الجماعة ضد وجوده الغاشم في بلاد المسلمين .

غير أن المتعمقين للأمور المدركين للحقائق المنصفين الراغبين في معرفة الحق، يستطيعون أن يعرفوا أن الجماعة قد نسقت عملها مع الجامعة العربية عن طريق أمينها العام المسلم الغيور علي أمته عبد الرحمن باشا عزام ، مما ترتب علي هذا التنسيق مساندة ثورة المغرب ودعمها وتأييدها ، لأن المغرب العربي جزء من الوطن الإسلامي لابد من العمل علي تحريره من أي سلطان أجنبي .

فإذا جاء واحد من المتحذلقين ممن يعملون بالتاريخ ونفي هذا العمل للجماعة بحجة أن أوراق الجامعة العربية ليس فيها شئ يدل علي هذه الصلة وهذا التنسيق ، قلنا له : إن الجامعة العربية نفسها في ذلك الوقت لم تكن ترغب في أن تعرف عنها دول الغرب المحتلة لمعظم العالم الإسلامي شيئا من

ذلك ، حتي تستطيع أن تؤدي مساندتها لأي وطن عربي أو إسلامي دون أن تستعدي علي نفسها دول الغرب ومن وراء دول الغرب من الأتباع والأذناب.

- الجزائر :

وكذلك كان شأن الجماعة في الجزائر ، فقد وقعت الجزائر في محنة الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠م ، وعلي الرغم من المقاومة العنيفة التي قاومها الجزائريون ، والتي امتدت أعواما طوالا بالنسبة لأبطال المقاومة من أمثال الأمير عبد القادر الجزائري وغيره ، وعلي الرغم من أن الجزائر ظلت تقاوم حتي قدمت من الشهداء ما بلغ تعداده نصف الأمة الجزائرية تقريبا ، فإن فرنسا لم تجل عن الجزائر إلا مكرهة في يوم ٥ يوليو سنة ١٩٦٣م ، وهو نفس اليوم الذي احتلت فيه فرنسا الجزائر.

وفي فترات الجهاد الجزائري التي استمرت مائة وثلاثا وثلاثين سنة لم تهدأ ولم تفتر ، وإنما تصاعدت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها ، في هذه الفترة كانت مساندة الجماعة للجزائر وكانت استضافة بعض قادة المقاومة في المركز العام للجماعة في القاهرة ، وكان كذلك تنسيق وتعاون عن طريق جامعة الدول العربية بوساطة عبد الرحمن باشا عزام .

ومن أيام نشأة جماعة : « نجمة شمال أفريقيا » عام ١٩٢٦م بقيادة مصالي الحاج في باريس ، بين بيئة العمال الجزائرين الذي يعيشون في باريس ، والثورة علي المحتل الغاصب تشتد وتتزايد ، وعلي قدر ما بذلت فرنسا من جهود في مقاومة هذه الجماعة - التي كانت تستهدف تحرير المغرب كله - المغرب والجزائر وتونس - فقد اشتد ساعد الثورة الجزائرية .

ثم أنشئ حزب الشعب بقيادة مصالي الحاج أيضا.

فلما قامت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥) اعتقلت السلطات الفرنسية مصالي الحاج ، وحلت جميع الهيئات الجزائرية ذات الطابع السياسي.

وبعد احتلال أمريكا وانجلترا للمغرب عام ١٩٤٢م بدأت مرحلة جديدة في العمل الوطني التحرري ، وظهر فرحات عباس ووجه نداءً ، إلي أمريكا بأن

تطبق ميثاق الأطلنطي ، غير أن أمريكا تركت الأمر « للجنرال ديجول » .

وهنا بدأ فرحات عباس مرحلة جديدة من العمل انتهي بقيام الجمهورية الجزائرية طبقا لميثاق جبهة التحرير ، وقام فرحات عباس بالدور الرئيسي لأن مصالي الحاج كان معتقلا أنذاك .

وفي اليوم الثاني عشر من فبراير سنة ١٩٤٣ أعلن فرحات عباس مبادئ الثورة في بيان هام سمي مؤيدوه : « جماعة أحباب البيان » .

ثم خرج مصالي الحاج من المعتقل وحدث تجاذب وتحاور واختلاف بينه وبين فرحات عباس ، فبدا لفرنسا أن تستغل هذا الاختلاف في وجهتي نظر الفدائيين الجزائريين ، فتوقف النشاط السياسي في الجزائر ، لأن مصالي الحاج رأي ضرورة إعلان الاستقلال التام ، بينما رأي فرحات عباس قيام جمعية تأسيسية في الجزائر .

ثم تمخض هذا الخلاف عن إنشاء حزبين أساسيين في الجزائر هما :

حزب الانتصار للحريات الديموقراطية برياسة مصالي الحاج ،

وحزب الاتحاد الديموقراطي للبيان برياسة فرحات عباس .

وفي ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٤٧م صدر القانون الأساسي الشهير للجزائر ووافق عليه البرلمان الفرنسي مع امتناع النواب الجزائريين والشيوعيين عن الموافقة عليه ، وكان يخيل لفرنسا أنه بهذا القانون قد حلت مشكلة الجزائر ورغبتها في الاستقلال ، ولكنها كانت واهمة ، إذ أيقن الجزائريين أنئذ أن الجهاد المسلح هو الذي يؤدى إلي الاستقلال .

وبدأ الشباب يتخلون عن الجزبين الرئيسين ، وشكلت جبهة التحرير الوطني وتقرر بدأ الثورة في أول نوفمبر عام ١٩٥٤م ، وقد حلت الأحزاب الجزائرية في عام ١٩٥٥م لتندمج في جبهة التحرير .

وهكذا واصلت الجزائر كفاحها وجهادها حتي نالت استقلالها عام ١٩٦٣م .

– تونس :

وأما تونس : فقد تأثرت باحتلال فرنسا للجزائر عام ١٩٣٠م ، ثم أدت

مشكلة الديون التي عانت منها تونس إلي تدخل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في شئون تونس الاقتصادية والسياسية معا عام ١٨٦٩م.

ثم احتلت فرنسا تونس سنة ١٨٨١م قبل احتلال انجلترا لمصر بعام واحد في عام ١٨٨٢م - مما يدل علي أن هناك تخطيط لاحتلال العالم العربي الإسلامي - وأصبحت تونس تحكم بوساطة مقيم عام فرنسي ، وظل « الباي » لقب حكام تونس أنئذ - هو الحاكم الأسمي فقط.

وفي عام ١٩٣٤م أسس الحبيب بورقيبة حزب الدستور الجديد ، وأصبح هو أمينه العام ، وقد نال الحزب شعبية كبيرة ، فقامت فرنسا بتحديد إقامة الحبيب بورقيبة ، ولما زال عنه قيد تحديد الإقامة بدأ يطالب بإلغاء الحماية الفرنسية عن تونس ، ولم يكتف بالمطالبة وإنما دعا إلي عصيان مدني ، فقبضت السلطة الفرنسية عليه وعلي قادة العمل التحرري في تونس ، وكان مقر اعتقال الحبيب في باريس من عام ١٩٣٨م إلي عام ١٩٤٢م.

ولما سقطت باريس في الحرب العالمية الثانية في يد الألمان وانهارت فرنسا كلها في تلك الحرب ، أفرج الألمان عن الحبيب بورقيبة والزعماء التونسيون عام ١٩٤٢م فرحل بورقيبة إلي روما وتنقل في عدد من بلدان الشرق الأوسط ولما حضر إلي مصر عام ١٩٤٣م استقر بها حتي سنة ١٩٥٠م ، وتلك هي الفترة التي ساعدت فيها جماعة الإخوان المسلمين الحركة الثورية التونسية الحريصة علي الاستقلال ،وكان للحبيب بورقيبة وهو في مصر علاقة وطيدة بالجماعة - علي اعتبار أنه ثائر مسلم مخلص - آنذاك - يعمل علي تحرير وطنه الإسلامي من يد محتل غاصب ، وكان له في دار الإخوان المسلمين بالقاهرة - المركز العام - حضور ، وحوار ومناقشات مع قادة الجماعة ، وقدم له النصح والعون بكل إخلاص وتجرد .

وهكذا كان للجماعة شأن في دعم القطر التونسي الراغب في الاستقلال عن المحتل الغاصب ، عن طريق الجامعة العربية كذلك .

ولابد هنا من التنبيه علي أن تأثير الجماعة في جامعة الدول العربية لم تكن له نافذة واحدة هي أمينها العام المسلم المخلص لدينه عبد الرحمن عزام باشا ،

وإنما كان لها صلات أخري عن طرق عديدة كلها تؤدي إلي نفس الغرض وهو تشجيع بل تأييد كل قطر عربي مسلم في تحرره من المحتل الغاصب.

- ليبيا :

وأما ليبيا البلد المسلم منذ عام ٦٤٢م حيث أصبحت إسلامية منذ ذلك التاريخ وأصبحت بذلك جزءا من العالم الإسلامي وولاية من ولايات الخلافة الإسلامية ، غير أن بعد ليبيا عن مقر الخلافة جعلها تتعرض لغزو الأجانب لها وطمعهم فيها أكثر من مرة .

ومن أشهر ما تعرضت له ليبيا من غزو ما يلي :

- غزو النورمانديين لها في أواسط القرن الثاني عشر الميلاد ، حيث هاجموها من صقلية ، ولكنهم طردوا منها بعد زمن قليل.

- غزو فرسان القديس يوحنا لها ، ومن بيت المقدس في القرن السادس عشر الميلادي ، ولكنهم طردوا منها كذلك عام ١٥٥٦م علي يد العثمانيين .

- عزو الإيطاليين لها في سنة ١٩١١م - وكانت دولة الخلافة العثمانية أنئذ في ظروف سيئة أدي إليها تحالف دول الغرب والشرق ضدها ، غير أن الليبين لم يستسلموا للغزو الإيطالي وإنما قاوموه بكل ما أوتوا من قوة ، ولم تستطع إيطاليا أن تستقر نسبيا في ليبيا إلا في عام ١٩٣٠م تقريبا .

وكانت خطة إيطاليا في احتلال ليبيا خطة استيطان سكني ، فنقلت الفلاحين الإيطاليين من جنوب إيطاليا، ووطنتهم في الأماكن الصالحة للإنتاج.

ونفذت عددا من المشروعات لتأكيد هذا الاستيطان السكني متجاهلة مصالح أصحاب البلاد الشرعيين وحقوقهم ، وقد حرك هذا التحدي مشاعر الغضب باستمرار ضد الإيطاليين ، فلم يهنأ لهم مقام.

وفي الحرب العالمية الثانية احتلت الجيوش البريطانية برقة وطرابلس في سنة ١٩٤٢م ، كما احتلت الجيوش الفرنسية فزان .

وبقيت ليبيا تحت الحكم العسكري الغاشم حتي سنة ١٩٥٠م.

وفي ٢٤ من شهر ديسمبر ١٩٥١م أعلن استقلال ليبيا دولة اتحادية تحت

حكم الملك محمد بن إدريس السنوسي زعيم الدعوة السنوسية.

وكانت الحركة السنوسية حركة إسلامية شاملة ، تولى زعامتها الملك إدريس ابن محمد المهدي بن محمد علي السنوسي الكبير عام ١٩١٥م ، في الوقت الذي كانت إيطاليا تحتل فيه برقة وطرابلس .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ساعد الملك الحلفاء برجاله وأعوانه مما أدي إلي أن تعترف به بريطانيا أميرا علي برقة ، وظلت ليبيا تكافح الوجود الإيطالي فيها حتي جلت عنها إيطاليا عام ١٩٤٩م.

ثم استطاعت ليبيا أن تحصل علي حريتها واستقلالها وأعلنت دولة مستقلة تضم ولاياتها الثلاثة : برقة وطرابلس وفزان وكان ذلك عام ١٩٥١م ، حيث أعلنت الجمعية الوطنية تنصيب الملك إدريس ملكا عليها في حكومة دستورية مركزية عام ١٩٦٣م.

وقد أعانت جماعة الإخوان المسلمون حركة التحرير الليبية قبل الاستقلال بطرق عديدة ، لم تسمح بالإعلان عنها ـ لأن الأعداء المحتلين وبخاصة الإنجليز كانوا يتربصون بالجماعة ، بعد أن شنت عليها انجلترا حملة تشويه ، ثم حملة ضارية حيث أغرت بها ملك مصر وحكوماتها ، فكان في ذلك ما كان .

وعن طريق الجامعة العربية وأمينها العام وعدد من الإخوان في الجامعة العربية ودعمت الجماعة حركة التحرير الليبية وقدمت المعونة والمساندة .

وبعـد :

فتلك جهود جماعة الإخوان المسلمين من أجل الشمال الإفريقي المسلم حتي يستقل ويتخلص من عدو محتل غاصب ، ويدخل في وحدة إسلامية مع الأقطار الإسلامية المستقلة ، كما كانت تأمل الجماعة ، وكما دلت علي ذلك وثائقها وأوراقها التاريخية .

٢- جهود الجماعة في تخليص اليمن من الحكم الإمامي المستبد :

اليمن بلد إسلامي منذ فجر الإسلام ، حيث دخلها الإسلام فأسلم حاكمها الفارسي - أنذاك باذان ، وأسهمت اليمن مع جيوش المسلمين في فتح عدد كبير من الأمصار.

وأصحبت اليمن ولاية من ولايات الدولة العثمانية منذ عام ١٥٣٨، ولكن رغبة اليمنيين في الاستقلال عن الحكم العثماني ظلت قائمة بل عارمة مما أدي إلي مزيد من القلق والتوتر والتوراث ، حتي استطاع الإمام يحيي حميد الدين أن يستقل بالبلاد سنة ١٩٠٤م ، ولكنه اغتيل بيد ابن الوزير وأحد أبناء الإمام يحيي ، وظلت البلاد مضطربة إلي نهاية الحرب العالمية الأولي ، وفي سنة ١٩١٨م تركت الدولة العثمانية اليمن لأسباب عديدة كان من أبرزها الضعف الذي فرضه عليها الأعداء من شرق ومن غرب .

وعندئذ استولي الإمام يحيي علي البلاد واستقل بها ولكن حكمه لم يكن في صالح أهل البلاد فاغتيل عام ١٩٤٨م وخلفه ابنه الإمام أحمد في حكم البلاد.

وكان الإنجليز يحاولون تثبيت أقدامهم في اليمن منذ أخريات القرن الثامن عشر الميلادي فاحتلوا جزيرة « بريم » (وتسمي ميون) سنة ١٧٩٩م ، كما احتلوا عدن سنة ١٨٣٩م ثم أخذوا يتوسعون، مما أدى إلي قلق داخل البلاد، حيث لم يسكت اليمنيون علي احتلال الإنجليز لأجزاء من بلادهم ، فلما استقل الإمام يحي بالبلاد آثر سياسة الحذر والعزلة عن الاتصال الخارجي، فكان لهذه السياسة أثرها السيئ في العزلة التي عاشتها اليمن نتيجة لهذه السياسة.

ومنذ تولي الإمام أحمد الملك سنة ١٩٤٨م بعد اغتيال أبيه سميت اليمن : المملكة المتوكلية اليمنية ، وكانت عضوا في الجامعة العربية منذ أن تأسست الجامعة العربية.

وعند وضع ميثاق جامعة الدول العربية دعيت اليمن للمشاركة في ذلك وطلب حضور رئيس وزارئها ، فأرسل الإمام يحيي من يمثل اليمن في لجنة

وضع الميثاق وهو القاضي « الكبسي » ولكن الإمام شرط أن يكون ممثل اليمن مستمعا دون أن يشارك في المحادثات ، ولعل الإمام يحيي كان يخشى من مشاركة القاضي الكبسي أن يتعرف علي ما يدور حوله من نزعات تحررية وثورات تستهدف العدالة الاجتماعية والحريات عموما ، إذ كان يحكم اليمن بنظام منغلق تماما عن العالم ، ولم تكن وسائل الإعلام الحديثة منتشرة في ذلك الوقت حتي تعرف اليمنيين بالعالم المحيط بهم.

غير أن القاضي الكبسي تعرف علي الناس ، وعلي جماعة الإخوان المسلمين من خلال الإخوان الذين يعملون أنئذ في الجامعة العربية ، واقترب الكبسي من الإخوان أكثر وأكثر واستمع وعرف كثيرا مما ينبغي أن يعرف ، وفكر ودبر وامتلأت نفسه بالرغبة في الإصلاح ، وفي التخلص من الظلم والاستبداد الذي يسيطر علي اليمن ، فكانت هذه الأفكار نواة عدد من الثورات التي تلاحقت في اليمن مستهدفة التخلص من مظالم حكم الإمام ، والتي انتهت فعلا بالتخلص بل القضاء علي حكم الإمام ولكن القاضي الكبسي دفع حياته ثمنا لتخليص البلاد من الظلم والظالمين .

وهكذا كان للجماعة عمل ودعم وتأييد لليمن في مجال تخلصها من حكم ظالم مستبد وكان عمل الجماعة من أجل بلوغ هذا الهدف يسعى في طريقين :

أحدهما : الاتصال بالقاضي الكبسي ، وتبصيره بالأمور ، حتي إنه عرف واقتنع وذهب إلي بلاده يضع بذور الثورة علي الظلم والظالمين والعزلة التي فرضها حكم الإمام يحيي علي اليمن بوسائل كان معظمها لا يقره الشرع ولا العقل .

والثاني : طريق الجامعة العربية والعاملين فيها من الإخوان ، والأمين العام لها عبد الرحمن باشا عزام ، الذي كان علي علاقة بالجماعة قبل أن يكون أمينا عاما للجامعة العربية ، وبالتحديد من يوم كان وزيرا للمعارف في وزارة علي ماهر ، وهو الذي حمل إلي علي ماهر رئيس الوزراء اقتراحا من الإخوان المسلمين بأن مخرج علي ماهر باشا من محاولة الإنجليز إسقاط وزارته هو أن تعلن الوزارة علي العالم كله أنها حكومة إسلامية ، حيث يعجز الإنجليز عن

تحديها أو إسقاطها كي لا يتعرضوا لغضب العالم الإسلامي كله .

ولهذا الاقتراح قصة في تاريخ الجماعة ليس هنا مجال الإفاضة فيها.

وهكذا وفت الجماعة لمنهجها وطبقت مفردات هذا المنهج الخاصة بالعمل علي مستوى العالم الإسلامي كله تساعد كل وطن عربي أو مسلم يرغب في التخلص من عدو محتل ، تمهيدا لوحدة إسلامية لا تتم - من وجهة نظر الجماعة - إلا إذا كانت جميع الأوطان المشاركة فيها حرة مستقلة .

ولم يكن أبداً هَمُّ الجماعة عربيا منحصرا في المنطقة العربية - وإن كان هذا وحده يكفي في البداية قبل الاتجاه إلي العالم الإسلامي كله - وإنما مدت الجماعة نظرها إلي العالم الإسلامي كله ، وعملت في خطوط متوازية لا متوالية :

فكان خط العمل في الوطن المحلي ، موازيا

لخط العمل في الوطن العربي ، موازيا

لخط العمل في العالم الإسلامي.

وهذا فقه حركي تميزت به الجماعة ، وجاء نتيجة لفقهها الصحيح للإسلام حركته ومنهجه ونظامه.

٣- جهود الجماعة في استقلال « باكستان » :

كانت باكستان جزءا كبيرا من الهند ، وقدر دخل الإسلام الهند في القرن الخامس الهجري ثم استقر الإسلام في الهند علي يد محمود الغزنوي الذي استطاع أن ينشئ سلطنة دلهي سنة ٦٠٣ هـ - ١٢٠٦م.

ثم اتسع الوجود الإسلامي في الهند بتأسيس « بابر » امبراطورية المغول في الهند سنة ١٥٢٦م تلك الأمبراطورية التي ازدهرت علي عهد : أكبر ، وشاه جيهان .

وكثرت مطامع المغامرين في الهند :

- فاستولي البرتغاليون علي « جوا » سنة ١٥١٠م.

- واقتطع البريطانيون لأنفسهم أجزاء من الهند في القرن الثامن عشر الميلادي .

- وكذلك فعل الفرنسيون في نفس القرن.

- وشغل السيخ عن الدفاع عن بلادهم بالتركيز علي الوجود المغولي في الهند.

- واستطاعت انجلترا أن تثبت وجودها وأن تزيد من حجم الأجزاء التي تخضع لسيطرتها بانتصارها علي الفرنسيين في الهند .

- وأعلنت انجلترا عن حاكم عام إنجليزي للهند هو « وارن هيستنجز »

- وألغت الحكومة البريطانية سيطرة شركة « الهند الشرقية البريطانية » وحلت هي محلها .

- وفي عام ١٨٧٧م حكمت انجلترا الهند حكما مباشرا ، ونودى بالملكة فيكتوريا ملكة إنجلترا امبراطورة علي الهند .

- ثم أخذت الهند تستيقظ من غفلتها فأسس بعض القادة الهنود : « المؤتمر الهندي الوطني » سنة ١٨٨٤م الذي كان من أهم أهدافه حصول الهند علي الحكم الذاتي واضطرت انجلترا للموافقة علي ذلك فمنحت الهند بعض الحكم الذاتي من سنة ١٩٠٦م إلي سنة ١٩١٥م.

– ثم ظهر قائد هندي لجأ إلي سياسية المقاومة السلبية في مواجهة بطش الحكومة الإنجليز هو « غاندي » وظل يناوئ الإنجليز حتي اضطروا إلي عقد مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣٠م إلي سنة ١٩٣٣م ولكنه لم يسفر عن شئ .

– ولما قامت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م – ١٩٤٥م جندت انجلترا من الهنود نحو مليوني جندي ورمتهم إلي ميادين الحرب .

– ودب النزاع بين زعماء الهنود وزعماء المسلمين – بقيادة محمد علي جناح
– حيث أصر المسلمون علي تكوين دولة مستقلة تتكون من الولايات التي تسكنها أغلبية من المسلمين .

ومن أجل أن تنفصل باكستان عن الهند وتحظي باستقلال عنها وعن انجلترا فإن جهودا كبيرة بذلت لابد من الإشارة إليها :

أ- الجامعة الإسلامية ، وهي منظمة إسلامية بالهند أسست سنة ١٩٠٦م من أبرز أهدافها إيجاد كيان مستقل للمسلمين في الهند ، وعارضت المؤتمر الهندي الوطني ، ورأسها القائد المسلم محمد علي جناح الذي ظفر بمعظم أصوات المسلمين في عام ١٩٤٦م الذي أجريت فيه الانتخابات.

ب- وحزب العصبة الإسلامية ، وقد قاده كذلك محمد علي جناح ، ونادى كذلك بفكرة استقلال باكستان عن الهند ، وتتكون باكستان من الولايات التي تسكنها أغلبية مسلمة.

جـ- وقبلت الحكومة البريطانية مبدأ التقسيم إلى : الهند وباكستان في عام ١٩٤٦م .

د- ونالت باكستان استقلالها بقيادة محمد علي جناح عام ١٩٤٧م.

وقد كانت جماعة الإخوان المسلمين تتابع جهاد المسلمين في شبه القارة الهندية لينالوا الاستقلال عن الهند وعن الانجليز باهتمام شديد ، وكان لها عمل من أجل تأييد هذا الاستقلال تمثل فيما يلي :

أ- اهتمت صحف الجماعة ومجلاتها ووسائل الإعلام فيها – بكتابة عديد

من المقالات التي تؤيد استقلال باكستان عن الهند وتدعو إليها وتقنع بها، ومنها ما كان يوجه للهنود ومنها ما كان يوجه للمسلمين في الهند ومنها ما كان يوجه للإنجليز أنفسهم.

ولم تتوقف الجماعة عن هذه الحملات الإعلامية حتي أثمرت جهود المسلمين هناك وأرغمت الهند علي أمرها وما وسع الإنجليز إلا أن يرضخوا فأقيمت دولة باكستان الحرة المستقلة سنة ١٩٤٧م.

ب- كان للجماعة اتصال بعدد من قادة المسلمين في شبه القارة الهندية فقدم عدد منهم إلي مصر واتصلت بهم الجماعة .

كما قدم القائد المسلم الذي تم علي يديه استقلال باكستان محمد علي جناح وقد استقبله الإمام المؤسس ، وأحاطه الإخوان بمزيد من الرعاية والاهتمام والاحترام ، وعرّفه الإمام المؤسس بالأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا.

ج- وعندما أعلنت باكستان دولة مستقلة ذات سيادة عام ١٩٤٧م فإن الدول العربية - للأسف - لم تعترف بباكستان مجاملة للإنجليز المسيطرين آنئذ علي معظم العالم العربي .

وهنا قامت جماعة الإخوان المسلمين بعمل إسلامي جليل ، إذ تقدم الإمام المؤسس بمذكرة ضافية لجامعة الدول العربية يستثير فيها النخوة والحمية الإسلامية طالبا منها الاعتراف بباكستان .

وكان للأمين العام للجامعة آنذاك فضل استصدار قرار باعتراف جامعة الدول العربية بهذه الدولة الإسلامية الناشئة ، ثم توالي الاعتراف بها .

والفضل في ذلك لله وحده ، ولكن جهود الجماعة في ذلك لا يستطيع أن ينكرها إلا معاند أو مغالط.

٤- جهود الجماعة في دعم استقلال أندونيسيا :

أندونيسيا مجموعة كبيرة جدا من الجزر عدة آلاف يشتمل عليها أرخبيل الملايو[١] بجنوب شرقي آسيا ، ومن أشهر جزرها سونده (جاوه وسومطرة) وسوندي الصغري وسلبيز ومولوقا وجزءا من برينوا وتيمور وعدة الآف من الجزر الصغيرة .

وقد دخلها الإسلام في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، حمله إليها التجار المسلمون الذي كانوا يحملون مع تجاراتهم دعوة الإسلام أينما حلوا، وعلي الرغم من أن الناس في أندونيسيا كانوا يعرفون البوذية والهندوكية إلا أنهم بمجرد أن عرفوا الإسلام أصبح دين الغالبية العظمي من السكان فصار الدين السائد هناك منذ القرن السابع الهجري .

ولكن الطامعين في أندونيسيا لم يدعوها في هدوء أو استقرار ، وإما تعرضت للغزو والعدوان من :

- البرتغاليين في القرن السادس عشر الميلادي حيث سيطروا عليها لأنها كانت حكومات صغيرة ضعيفة.

- والهولنديين الذين استطاعوا طرد البرتغاليين بتأثير الشركة الهولندية التجارية.

- والبريطانيين عن طريق الشركة البريطانية التجارية ، ولكن الهولنديين استطاعوا طرد هذه الشركة البريطانية عام ١٦١٠م.

- وظلت أندونيسيا خاضعة للحكم الهولندي حتي سموها : الهند الشرقية الهولندية بدلا من أندونيسيا.

- وعاد إليها النفوذ البريطاني من سة ١٨١١م إلي سنة : ١٨١٥م.

- واحتلها اليابانيون في أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥م.

- ومنذ عام ١٩٤٢م نشط أهل البلاد - في فترة الاحتلال الياباني - في العمل من أجل الحرية والاستقلال ، وظلوا يكافحون حتي حصلوا علي

---

(١) الأرخبيل مجموعة من الجزر ، أو هو : البحر المكتظ بالجزر.

الاستقلال سنة ١٩٤٥م ، ولكن هولندا قاومت وقاتلت دفاعا عن وجودها في بلاد غيرها - علي الرغم من أنهم كانوا قد اعترفوا بالجمهورية الأندونيسية .

- وبعد مؤتمر لاهاي وتوسط الأمم المتحدة أصبحت أندونيسيا دولة مستقلة ذات سيادة في ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٩م.

وقد تبنت جماعة الإخوان المسلمين الدعوة إلي مؤازرة أندونيسيا في جهادها من أجل التحرر والاستقلال ، وعودة الحكم فيها والسيادة للإسلام والمسلمين، وقد كان للجماعة في هذا المجال جهود نذكر منها :

أ- القيام بحملة إعلامية مركزة في صحف الجماعة ومجلاتها ومختلف وسائل الإعلام فيها ، وتستهدف نصر قضية أندونيسيا ضد الهولنديين وغيرهم من كل من يقف في طريق استقلالها.

ب- كان للجماعة صلات حميمة بعدد كبير من الأندونيسيين الذين وفدوا إلي مصر للدراسة في الأزهر ، وكان لها معهم تفاهم وحوار وتوجيه ، بل كانت تحتضنهم في مصر وتقدم خدمات كثيرة لهم .

جـ- وكان للجماعة جهد مشكور في الاعتراف بأندونيسيا عند إعلان استقلالها ، فلقد رفضت الاعتراف بها معظم الدول العربية كما فعلت بباكستان، ولكن الإمام المؤسس قام بنفس الجهد الذي أدي إلي الاعتراف بباكستان فكتب مذكرة ضافية للجامعة العربية يدعوها فيها إلي الاعتراف بهذه الدولة الإسلامية الناشئة.

وكان من فضل الله سبحانه أن استجابت الجامعة العربية لذلك ، ثم توالي اعتراف الدول بها ، وازدادت صلة الجماعة بالدولة الناشئة وتوثقت أكثر من ذي قبل.

٥- جهود الجماعة من أجل فلسطين :

كانت جماعة الإخوان المسليمن أول هيئة أو جماعة في أي بلد عربي أو إسلامي يهتم بقضية فلسطين اهتمام بالغا ، اهتماما فاق كثيرا ما كان يتوقع من جماعة ناشئة - إذ لم تكن قد عَبرت من عمرها سوى سنوات لا تصل إلي عقد - قليلة الإمكانات وقليلة العدد في هذه الفترة الباكرة من حياتها.

كان هذا الاهتمام من الجماعة بفلسطين في الوقت الذي لم تكن فيه أي دولة عربية قد أعطت قضية فلسطين شيئا من الاهتمام.

لقد كان اهتمام الجماعة بفلسطين قبل عام ١٩٣٦م ، في حين نشأة الجماعة في عام ١٩٢٨م كما ذكرنا.

وقد قامت الجماعة من أجل فلسطين بجهود متنوعة ، بعضها إعلامي أدبي، وبعضها مادي في مجال المال والسلاح ،وكلها جهود سياسية بناءة في التنبيه علي ما يقوم به الإنجليز واليهود من أعمال وحشية ضد المجاهدين الفلسطينيين أصحاب الأرض المعتدى عليهم في ديارهم.

ويمكن أن نشير إلي بعض هذه الجهود فيما يلي :

أ- حملة جيدة من الخطب في المساجد لتوعية المسلمين بما يفعل الإنجليز واليهود في فلسطين ، حتي شعر جمهور المصلين بهذا الحصار الإعلامي الذي فرض عليهم فهم يستمعون دائما إلي خطب وأحاديث عن فلسطين ومأساتها وتعنت الإنجليز واليهود فيها.

ب- وحملة جمع تبرعات من أجل دعم الفلسطينيين المجاهدين وتزويدهم بالمال والسلاح حتي يستطيعوا مواجهة الإنجليز واليهود.

جـ- وحملة مقالات وبحوث ودراسات في صحف الجماعة أو الصحف التي يستطيع أحد كتاب الجماعة أن يكتب فيها ، مما أحدث تنويرا للرأي العام في مصر وإثارة لعواطف المسلمين إلي جانب إخوانهم المجاهدين.

د- وحملة منشورات تطبع وتوزع في سرية ، تهاجم الإنجليز ، وتهاجم وعدهم المشئوم وعد بلفور وزير خارجية انجلترا بأن يعطي لليهود وطنا

في فلسطين - حيث أعطي من لا يملك من لا يستحق - وتهاجم اليهود وما ترتكبه عصاباتهم من أعمال وحشية وفظائع ضد أهل البلاد الشرعيين.

هـ- وحملة قوية تدعو إلي مقاطعة المتاجر اليهودية في القاهرة - وقد كانت كثيرة - مع طبع كشف بأسماء هذه المتاجر وعناوينها والأسماء الحقيقية لأصحابها ، وقد قام الإخوان بتوزيع هذه الكشوف علي أوسع نطاق شمل القطر المصري كله.

وهو أمر حيّر الحكومة المصرية ، وحير الإنجليز كذلك ولم يهتدوا أبدا إلي المكان أو الأفراد الذين يقومون بطبع هذه المنشورات أو توزيعها.

و- وحملة قوية ومكثفة لتوزيع كتاب : « النار والدمار في فلسطين » وهو كتاب أحضرته الهيئة العليا لفلسطين إلي مصر وسلمته للإخوان المسلمين فوزعوه علي أوسع نطاق ، مما أثار حفائظ الإنجليز والحكومة المصرية ، وكان هذا الكتاب يفضح بالصور ما كانت تمارسه عصابات اليهود والجنود الإنجليز من فظائع غير إنسانية وغير أخلاقية ضد المجاهدين الفلسطينين ، حتي إن قوة من الشرطة داهمت المركز العام للجماعة وعثرت فيه علي عدد من النسخ من هذا الكتاب ، وحقق من أجل ذلك مع الإمام المؤسس في حيازته وتوزيعه ، فاعترف بحيازته وتوزيعه وطلب أن يقدم بعد هذا الاعتراف إلي القضاء ، وقبض عليه فعلا ، ولكن عندما علم السفير الإنجليزي بالموضوع خشى أن يستغل حسن البنا الموقف أمام القضاء فيفضح أعمالهم ومخازيهم ، وتنشر الصحف ما يقول فتكون الكارثة ، فأمر بحفظ التحقيق وبالإفراج عن الأستاذ فورا ، ففوت بخبثه علي الإمام المؤسس فرصة دعاية رسمية لقضية فلسطين.

ز- وحملة مظاهرات منظمة لأول مرة في مصر وموقتة توقيتا واحدا في مختلف المديريات « المحافظات » والمدن ، وكلها بمناسبة يوم وعد بلفور المشئوم يوم ١٧ نوفمبر ، مما أذهل الإنجليز أولا ثم الحكومة المصرية من بعد ذلك.

ح- وعقد أول مؤتمر عربي نظمته الجماعة من أجل قضية فلسطين إذ وجهت الجماعة الدعوة إلي قادة البلاد العربية وكبرائها لعقد مؤتمر من أجل فلسطين.

وقد استجاب عدد كبير من الرجال المخلصين الغيورين علي دينهم وعلي أرضهم وحضروا إلي مصر ، بل إلي المركز العام للإخوان المسلمين - وكان آنذاك بالعتبة الخضراء وسط مدينة القاهرة -

وتعاقب الخطباء علي المنصة ، يفيضون في قضية فلسطين وانتهوا إلي عدد من القرارات كان أبرز ما فيها :

مطالبة الدول العربية جميعها بالتدخل من أجل انقاذ فلسطين من المؤامرة الإنجليزية اليهودية.

وقد نفذ هذا القرار بالفعل وتدخلت سبع دول عربية بجيوشها من أجل فلسطين ، وكان ما كان من هذه الحرب بين العرب واليهود .

ط- والإعداد لعقد مؤتمر برلماني عالمي من أجل قضية فلسطين ، إذ كان لنجاح المؤتمر الأول أبلغ الأثر في نفوس عدد كبير من رجالات العالمين العربي والإسلامي ، فأخذوا يتوافدون علي المركز العام للجماعة بمصر.

وكان ممن حضروا :

- الأمير فيصل بن عبد العزيز « الملك فيصل »

- وعدد من إخوته ،

- والأمير أحمد بن الإمام يحيي حميد الدين ،

- وعدد من إخوته ، حضروا للتفاهم مع الحكومة المصرية ومع الإخوان المسلمين فيما يجب عمله من أجله فلسطين .

وكانت خطة الجماعة أن توجه الدعوة إلي برلمانات العالم ليرسل كل برلمان ممثلا أو ممثلين له من أجل التباحث في قضية فلسطين ، وبالفعل حضر عدد كبير من ممثلي برلمانات العالم ، وعقد الإخوان هذا المؤتمر في سراي لطف الله بالقاهرة ، وشرحت القضية الفلسطينية شرحا وقرر

المؤتمر توجيه نداءات إلي دول العام عامة وإلي حكومة انجلترا خاصة بوجوب تسوية هذه القضية علي النحو الذي يحفظ حقوق أهل فلسطين.

ي- وكان من نتيجة هذا الجهد الطيب المتنوع الذي بذلته الجماعة من أجل فلسطين أن استجابت انجلترا فأوقفت حملات التقتيل والتعذيب التي كانت تمارسها ضد الفلسطينين ، وأبدت استعدادها للتفاهم بل طلبت عقد مؤتمر من أجل فلسطين في لندن يحضره العرب واليهود وممثلوا الحكومة البريطانية ، وكان من ممثلي العرب في هذا المؤتمر :

الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود .

والأمير أحمد بن يحيي حميد الدين.

وقد حضر مع الأميرين من الإخوان المسلمين :

الأستاذ محمود أبو السعود ـ الدكتور الآن ـ الذي أقام في الولايات المتحدة الأمريكية يدعو إلي الله ويدعم العمل الإسلامي حتي توفاه الله تعالي.

وقد سمى هذا المؤتمر بمؤتمر المائدة المستديرة.

ك- وكان جهاد الإخوان المسلمين من أجل فلسطين بتطوع المئات من شباب الجماعة للجهاد في سبيل الله من أجل الأرض المقدسة المغتصبة في حرب عام ١٩٤٨م ، مما هو مسطور معروف في أكثر من كتاب [١] .

ولقد كان التطوع للجهاد في سبيل الله من أجل فلسطين يجد من الإخوان إقبالا منقطع النظير ، حتي إن الإمام المؤسس وضع شروطا يحول بها بين هذه الأعداد الكبيرة وبين التطوع ، وكانت تلك الآونة التي تعد فيها كتائب المتطوعين للسفر إلي حرب فلسطين آونة البكاء لمن منعهم الإمام المؤسس من السفر ، وآونة الباحثين عن شفعاء يشفعون لهم عند الإمام حتي يقبلهم ، والذي أعرفه أن عددا كبيرا من المتطوعين قد جهزوا أنفسهم بأموالهم وسعوا إلي جنة عرضها السموات والأرض ،

(١) من أوفي الكتب في ذلك كتاب : الإخوان في حرب فلسطين لكامل إسماعيل الشريف.

ولقى منهم عدد كبير ربه شهداء غفر لهم ما تقدم من ذنوبهم.

وبعــد :

فهذه جهود جماعة الإخوان المسلمين من أجل فلسطين ، جمعت فيها بين الجهاد بالكلمة والجهاد بالمال والجهاد بالسلاح والجهاد بالرجال ، وكانت جهودا تنم عن رغبة حقيقية من الجماعة في أن تساند كل عمل إسلامي ، وأن تساعد كل وطن إسلامي يحتاج إلي مساعدة.

الخاتمة

بفضل الله تعالي وتوفيقه ، شرحنا الركن الثالث من أركان البيعة « ركن العمل » وحللنا نصوصه تحليلا نرجو أن يكون وافيا ، قادرا علي إبراز ما تضمنه ركن العمل من تصورات راشدة مستهدية بالكتاب والسنة لإصلاح الأمة الإسلامية ووضع الحلول الإسلامية لمشكلاتها كلها .

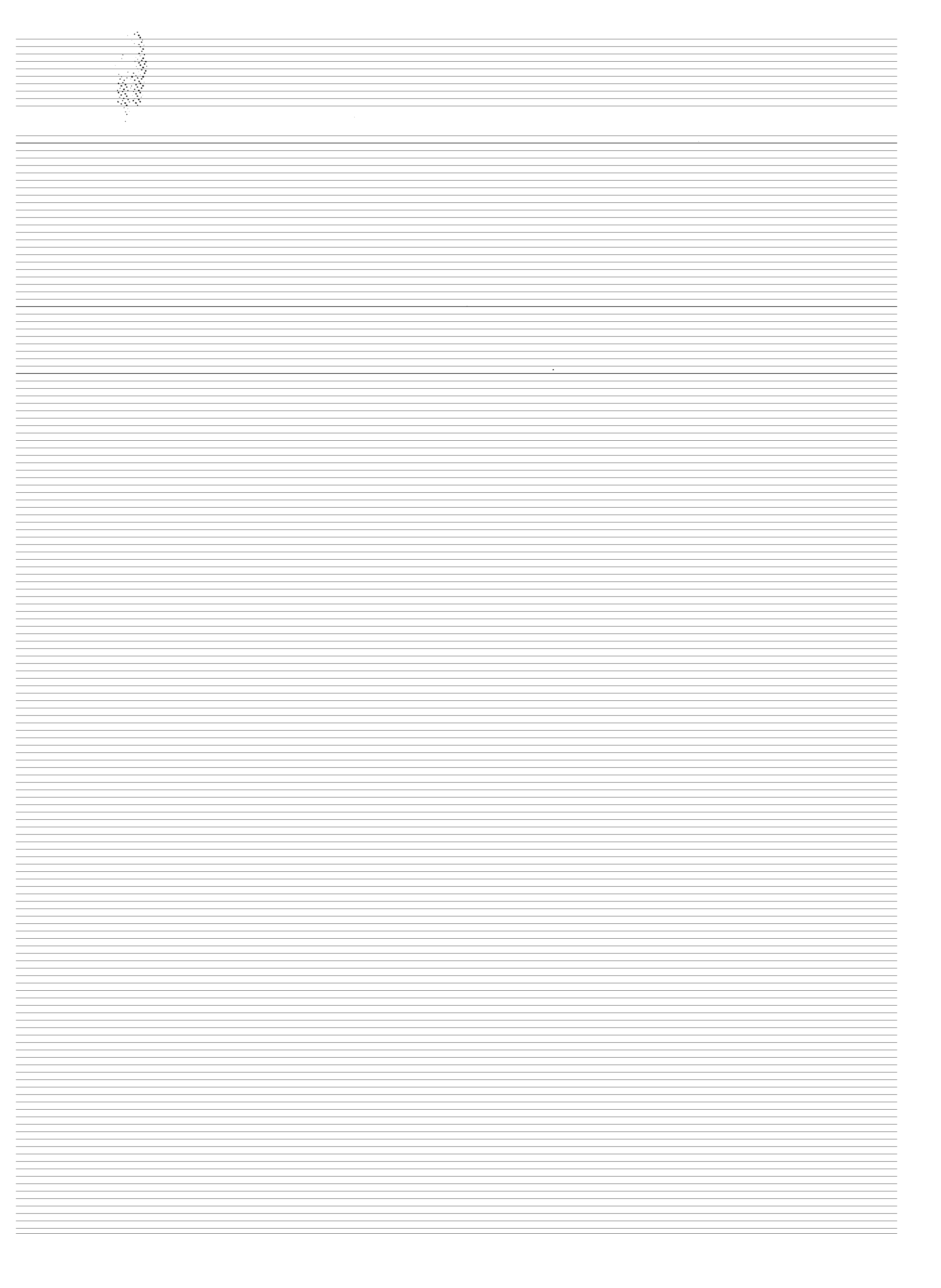
وإذا كان الإصلاح كما طرحه الإمام المؤسس عليه رحمة الله يبدأ بالفرد المسلم ثم بإعداد البيت المسلم ، ثم بإرشاد المجتمع ، ثم بالعمل السياسي علي مستوى الوطن المحلي ثم علي مستوي العالم العربي ثم علي مستوي العالم الإسلامي كله ، فإنه إصلاح يملك رؤية شاملة عميقة ، بل رؤية أصيلة تنبع من نصوص الإسلام القرآن الكريم والنسة النبوية المطهرة .

وإن هذا التصور الشامل الدقيق الذي كتبه الإمام المؤسس سنة ١٩٤٣م أي قبل أكثر من خمسين عاما ، لا يزال حتي اليوم نابضا حيا قادرا علي علاج المشكلات لأنه يُنْبِئُ علي أسلوب الإسلام وطريقته في حل مشكلات الحياة الإنسانية وهذه الطريقة ما دامت مرتبطة بالكتاب والسنة فلن تصاب بالبلى ، ولن تعزل عن المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات الآتية مهما أحاط بها من متغيرات ومستجدات.

وهكذا يبقي لتصور الإمام حسن البنا في الإصلاح جدَّة وقبول ، حتي لو قرأناه بعد مائة سنة أو أكثر من يومنا هذا ، لاستقائة من نبع الإسلام الذي لا ينضب ولا يأسن ولا يعاف .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

القاهرة في غرة شهر رمضان ١٤١٤هـ الموافق : ١١/٢/١٩٩٤م.



فهرس الكتاب

رقم الإيداع ٥٠٢٥ / ١٩٩٤م

الترقيم الدولى

I . S . B . N . 977 - 265 - 099 - 1



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسى ت : ٦١٨١٣٧